



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

### Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

### About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>



32101 076411410

Library of



Princeton University.







الصحيحين فقصده الصلاة فيها منهي عنه وأما إذا حدث سبب تشرع الصلاة لأجله مثل تحية المسجد وصلاة الكسوف وسجود التلاوة وركعتي الطواف واعادة الصلاة مع امام الحى ونحو ذلك فهذه فيها نزاع مشهور بين العلماء والاظهر جواز ذلك واستجاباه فانه خير لا شر فيه وهو يفوت اذا ترك وانما نهى عن قصد الصلاة وتحريها في ذلك الوقت لما فيه من مشابهته الكفار بقصد السجود ذلك الوقت فالا سبب له قد قصد فعله في ذلك الوقت وان لم يقصد الوقت بخلاف ذى السبب فانه فعل لاجل السبب فلا تأثير فيه للوقت بحال ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في المقبرة عموما فقال الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام رواه أهل السنن وقد روى مسندا ومرسلا وقد صحح الحفاظ انه مسند فان الحمام مأوى الشياطين والمقابر نهى عنها لما فيه من التشبه بالتخذين القبور مساجد وان كان المصلى قد لا يقصد الصلاة لاجل فضيلة تلك البقعة بل اتفق لكن فيه تشبه بمن يقصد ذلك فنهى عنه كما ينهى عن الصلاة المطلقة وقت الطلوع والغروب وان لم يقصد فضيلة ذلك الوقت لما فيه من التشبه بمن يقصد فضيلة ذلك الوقت وهم المشركون فنهى عن الصلاة في هذا الزمان كنهيه عن الصلاة في ذلك المكان فلما كان الشرك الذى أضل أكثر بنى آدم أصله وأعظمه من عبادة البشر والتماثيل المصورة على صورهم فان المشركين قد اعتادوا آلهة يلدون ويولدون ويرثون ويورثون ويكفون من شئ من الأشياء فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الهة الذى يعبد من أى شئ هو أمن كذا أم من كذا ومن ورث الدنيا ولمن يورثها فقال تعالى ( قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ) وفي حديث أبى بن كعب لأنه ليس أحد يولد الا يموت ولا أحد يرث الا يورث يقول كل من عبد من دون الله وقد ولد مثل المسيح والعزير وغيرهما من الصالحين وتماثيلهم ومثل الفراعنة المدعين الالهية فهذا مولود يموت وهو وان كان ورث من غيره ما هو فيه فاذا مات ورثه غيره والله سبحانه لا يموت ولا يورث سبحانه وتعالى

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (وبعد) فقد تم طبع تفسير سورة الاخلاص لشيخ الاسلام ابن تيمية وهو خير مؤلف في تفسير معاني هذه السورة وبيان مراد الله فيها من حقيقة التوحيد فجزى الله مؤلفه خيرا وكان ذلك في أوائل سنة ١٣٢٣ والحمد لله أولاً وآخراً

عن ذلك ففي هذا الحديث ذم أهل المشاهد وكذلك سائر الأحداث الصحيحة كما قال  
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا وقال أولئك  
إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة أولئك  
شرار الخلق عند الله يوم القيامة ثم أهل المشاهد كثير من مشاهدهم أو أكثرها  
كذب فإن الشرك مقرون بالكذب في كتاب الله كثيرا قال تعالى (واجتنبوا قول الزور  
خفاء لله غير مشركين به) وقال النبي صلى الله عليه وسلم عدلت شهادة الزور الاشرار  
بالله قالها ثلاثا وذلك كالمشهد الذي بنى بالقاهرة على رأس الحسين وهو كذب باتفاق  
أهل العلم ورأس الحسين لم يحمل الى هناك أصلا وأصله في عسقلان وقد قيل أنه كان رأس  
راهب ورأس الحسين لم يكن بعسقلان وانما أحدث هذا في أواخر دولة الملاحدة بنى  
عييد وكذلك مشهد على رضى الله عنه انما حدث في دولة بنى بويه وقال محمد بن عبد  
الله مطين الحفاظ وغيره انما هو قبر المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وعنى رضى الله عنه  
انما دفن في قصر الامارة بالكوفة ودفن معاوية بقصر الامارة بدمشق ودفن عمرو بن  
الماص بقصر الامارة بمصر خوفا عليهم اذا دفنوا في المقابر البارزة أن ينبشهم الخوارج  
المارقون فان الخوارج كانوا تهاهدوا على قتل الثلاثة فقتل ابن ملجم عليا وجرح  
صاحبه معاوية وعمرو كان استخلف رجلا اسمه خارجة فقتله الخارجي وقال أردت  
عمرا وأراد الله خارجة فسارت مثلا فالقصد ان هذا المشهد انما أحدث في دولة  
الملاحدة دولة بنى عبيد وكان فيهم من الجهل والضلال ومعاودة الملاحدة وأهل  
البدع من المعتزلة والرافضة أمور كثيرة ولهذا كان في زمنهم قد تضعف الاسلام  
تضعضا كثيرا ودخلت النصارى الى الشام فان بنى عبيد ملاحدة منافقون ليس لهم  
غرض لاني الله ولا في رسوله ولا في الجهاد في سبيل الله بل في الكفر والشرك  
ومعاداة الاسلام بحسب الامكان وأتباعهم كلهم أهل بدع وضلال فاستولت النصارى  
في دولتهم على أكثر الشام ثم قبض الله من ملوك السنة مثل نور الدين وصلاح الدين  
واخوته وأتباعهم ففتحوا بلاد الاسلام وجاهدوا الكفار والمنافقين ونهى النبي صلى  
الله عليه وسلم عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لان المشركين يسجدون  
للشمس حينئذ والشيطان يقارنها وان كان المسلم المصلى لا يقصد السجود لها لكن  
سد الذريعة لئلا يتشبه بالمشركين في بعض الامور التي يختصون بها فيفضى الى ما هو  
شرك ولهذا نهى عن تحرى الصلاة في هذين الوقتين هذا لفظ ابن عمر الذي في

مناسك حج المشاهد وذكر فيه من الاكاذيب والاقوال مالا يوجد في سائر الطوائف وان كان في غيرهم أيضا نوع من الشرك والكذب والبدع لكن هو فيهم أكثر وكلنا كان الرجل اتبع لمحمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم توحيدا لله وإخلاصا له في الدين واذا بعد عن متابعتة نقص من دينه بحسب ذلك فاذا أكثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع مالا يظهر فيمن هو أقرب منه الى اتباع الرسول والله انما أمر في كتابه وستة رسوله بالعبادة في المساجد والعبادة فيها أى عمارتها قال تعالى (ومن أنظم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) ولم يقل مشاهد الله وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) ولم يقل عند كل مشهد فان أهل المشاهد ليس فيهم إخلاص الدين لله بل فيهم نوع من الشرك وقال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقاموا الصلاة) الآيات وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رأيتم الرجل يتقاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ثم قرأ هذه الآية فان المراد بعمارتها عمارتها بالعبادة فيها كالصلاة والاعتكاف يقال مدينة عامرة اذا كانت مسكونة ومدينة خراب اذا لم يكن فيها ساكن ومنه قوله تعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوتون عند الله) وأما نفس بناء المساجد فيجوز أن بينها البر والفاجر والمسلم والكافر وذلك يسمى بناء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة فين الله تعالى ان المشركين ما كان لهم عمارة مساجد الله مع شهادتهم على أنفسهم بالكفر وين انما يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله وهذه صفة أهل التوحيد وإخلاص الدين لله الذين لا يخشون الا الله ولا يرجون سواء ولا يستعينون الا به ولا يدعون الا اياه وعمار المشاهد يخافون غير الله ويرجون غيره ويدعون غيره وهو سبحانه لم يقل انما يعمر مشاهد الله فان المشاهد ليست بيوت الله انما هي بيوت الشرك ولهذا ليس في القرآن آية فيها مدح المشاهد ولا عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك حديث وانما ذكره الله عمن كان قبلنا انهم بنوا مسجدا على قبر أهل الكهف وهؤلاء من الذين نهانا الله أن نتشبه بهم حيث قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم



القتال وكانوا مشغولين ببعض مصالح المسلمين الذين هم فيها في جهاد وأيضا أهل السفينة وطلحة والزبير وعثمان لم يكونوا كغيرهم والقتال لم يكن لأجل الغنيمة فليست الغنيمة كمباح اشترك فيه ناس مثل الاحتشاش والاحتطاب والاعطيات فان ذلك الفعل مقصوده هو اكتساب المال بخلاف الغنيمة بل من قاتل فيها لأجل المال لم يكن مجاهدا في سبيل الله ولهذا لم تبسح الفنائم لمن قبلنا وأيحت لنا معونة على مصلحة الدين فالفنائم أيحت لمصلحة الدين وأهله فمن كان قد نفع المجاهدين بنفع استعانوا به على تمام جهادهم جعل منهم وإن لم يحضر ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلمون يد واحدة يسعى بذمتهم أدناهم ويرد متسريهم على قاعدتهم فان المتسرى انما تسرى بقوة القاعد فالمعاونون للمجاهدين من المجاهدين ولبسط هذه الأمور موضع آخر والمقصود هنا ذكر متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أنه يعتبر فيه متابعتة في قصده فاذا قصد مكاناً للعبادة فيه كان قصده لتلك العبادة سنة وأما اذا صلى فيه اتفاقاً من غير قصد لم يكن قصده للعبادة سنة ولهذا لم يكن جمهور الصحابة يقصدون مشابهته في ذلك وابن عمر رضي الله عنهما مع انه كان يحب مشابهته في ظاهر الفعل لم يكن يقصد الصلاة الا في الموضع الذي صلى فيه لاني كل موضع نزل به ولهذا رخص أحمد بن حنبل في ذلك اذا كان شيئاً سيرا كما فعله ابن عمر ونهى عنه رضي الله عنه اذا كثر لأنه يفضي الى المفسدة وهي اتخاذ آثار الانبياء مساجد وهي التي تسمى المشاهد وما أحدث في الاسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهي من البدع المحدث في الاسلام من فعل من لم يعرف شريعة الاسلام وما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من كمال التوحيد واخلاص الدين لله وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبنى آدم ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد واخلاص الدين لله ومعرفة دين الاسلام هم أكثر تعظيماً لمواضع الشرك فالعارفون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديثه أولى بالتوحيد واخلاص الدين لله وأهل الجهل بذلك أقرب الى الشرك والبدع ولهذا يوجد ذلك في الرافضة أكثر مما يوجد في غيرهم لأنهم أجهل من غيرهم وأكثر شركاً وبدعاً ولهذا يعظمون المشاهد أعظم من غيرهم ويخربون المساجد أكثر من غيرهم فالمساجد لا يصلون فيها جمعة ولا جماعة ولا يصلون فيها ان صلوا الا أفذاذاً وأما المشاهد فيعظمونها أكثر من المساجد حتى قد يرون ان زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام ويسمونها الحج الأكبر وصنف ابن المقيد منهم كتاباً سماه

فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أعطى رجلا حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون أن يذهب الناس بالاموال وترجعون الى رحاكم برسول الله فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قدر ضينا قال فانكم ستجدون بهدى أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاني على الحوض قالوا سنصبر وفي رواية لو سلك الناس واديا أو شعبا وسلكت الانصار واديا أو شعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الناس دنار والانصار شعار ولولا الهجرة لكنت أمر من الانصار وحدثهم حتى بكوا رضى الله تعالى عنهم فهذا كله بذل وعطاء لأجل اسلام الناس وهو المقصود بالجهاد ومن قال ان الامام يجب عليه قسمة العقار والمنقول مطلقا فقله في غاية الضعف مخالف لكتاب الله وسنة رسوله المنقونة بالتواتر وليس معه حجة واحدة توجب ذلك فان قسمة النبي صلى الله عليه وسلم خير تدل على جواز ما فعل لا تدل على وجوبه اذ الفعل لا يدل بنفسه على الوجوب وهو لم يقسم مكة ولا شك انها فتحت عنوة وهذا يعلمه ضرورة من تدبر الأحاديث وكذلك المنقول من قال انه يجب قسمة كله بالتسوية بين الغانمين في كل غزاة فقله ضعيف بل يجوز فيه التفضيل للمصلحة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفضل في كثير من المغازي والمؤلفة قلوبهم الذين أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم خير فبا أعطاهم قولان أحدهما أنه من الخمس والثاني أنه من أصل الغنيمة وهذا أظهر فان الذي أعطاهم اياه هو شيء كثير لا يحتمله الخمس ومن قال العطاء كان من خمس الخمس فلم يدرك كيف وقع الأمر ولم يقل هذا أحد من المتقدمين هذا مع قوله ليس لي مما أفاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم وهذا لأن المؤلفة قلوبهم كانوا من العسكر ففضلهم في العطاء للمصلحة كما كان يفضلهم فيما يقسمه من النية للمصلحة وهذا دليل على أن الغنيمة للامام أن يقسمها باجتهاده كما يقسم النية باجتهاده اذا كان امام عدل قسمها بعلم وعدل ليس قسمتها بين الغانمين كقسمة الميراث بين الورثة وقسمة الصدقات في الاصناف الثمانية ولهذا قال في الصدقات ان الله لم يرز فيها بقسمة نبي ولا غيره ولكن جعلها ثمانية أصناف فان كنت من تلك الاصناف أعطيتك فعلم أن ما أفاء الله من الكفار بخلاف ذلك وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم من خير لاهل السفينة الذين قدموا مع جعفر ولم يقسم لأحد غاب عنها غيرهم وقسم من غنائم بدر لطلحة والزبير ولعثمان وكان قد أقام بالمدينة وهؤلاء الذين كانوا يريدون

الطائفتين السبي أو المال فاختاروا السبي فأعطاهم السبي وكان ذلك بعد القسمة فعوض عن نصيبه من لم يرض بأخذه منهم وكان قد قسم المال فلم يردده عليهم وقريش لم تحاربة كما حاربه هوازن وهو انما من على من لم يقاتله منهم كما قال من أغلق بابه فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما كف جمهورهم عن قتاله وعرف أنهم مسلمون أطلقهم ولم يغنم أموالهم ولا حريمهم ولم يضرب الرق لاعليهم ولا على أولادهم بل ساهم الطلقاء من قريش بخلاف ثقيف فانهم سموا العتقاء فانه أعتق أولادهم بعد الاسترقاق والقسمة وكان في هذا ما دل على ان الامام يفعل بالاموال والرجال والعقار والمنقول ما هو أصح فان النبي صلى الله عليه وسلم فتح خير قسمها بين المسلمين وسبي بعض نساءها وأقر سائرهم مع ذراريهم حتى أجلوا بعد ذلك فلم يسترقهم ومكة فتحتها غنوة ولم يقسمها لأجل المصلحة وقد تنازع العلماء في الارض اذا فتحت غنوة هل يجب قسمها كخير لانها مغنم أو تصير فيئا كما دلت عليه سورة الحشر وليست الارض من المغنم أو يخير الامام فيما بين هذا وهذا على ثلاثة أقوال واكثر العلماء على التخيير وهو الصحيح وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في المشهور عنه وغيرهما ولو فتح الامام بلدا وغلب على ظنه ان أهله يسلمون ويجاهدون جازان يمن عليهم بأنفسهم وأموالهم وأولادهم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مكة فانهم أسلموا كلهم بلا خلاف بخلاف أهل خير فانه لم يسلم منهم أحد فأولئك قسم أرضهم لأنهم كانوا كفارا مصرين على الكفر وهؤلاء تركها لهم لأنهم كلهم صاروا مسلمين والمقصود بالجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطى المؤلفة قلوبهم ليتألفهم على الاسلام فكيف لا يتألفهم بإبقاء ديارهم وأموالهم وهم لما حضروا معه خيئا أعطاهم من غنائم خيبن ما تألفهم به حتى عتب بعض الانصار كما في الصحيحين عن أنس بن مالك ان ناسا من الانصار قالوا يوم خيبن حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء ففطق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس فحدث ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الانصار فجمعهم في قبة من آدم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغني عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذوو رأينا يارسول الله فلم يقولوا شيئا وأما أناس منا حديثه أسنانهم

مساكنها والخراج انما جعل على المزارع لاعلى المساكن فلو كانت مكة قد جعلت أرضها للمسلمين وجعل عليها خراج لم يتمتع بيع مساكنها كذلك فكيف ومكة أقرها النبي صلى الله عليه وسلم بيد أهلها على ما كانت عليه مساكنها ومزارعها ولم يقسمها ولم يضرب عليها خراجا ولهذا قال من قال انها فتحت صلحا ولا ريب انها فتحت غنوة كما يدل عليه الأحاديث الصحيحة المتواترة لكن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق أهلها جميعهم فلم يقتل الا من قاتله ولم يسب لهم ذرية ولا غنم لهم مالا ولهذا سموا الطلقاء وأحمد وغيره من السلف انما عللوا ذلك بكونها فتحت غنوة مع كونها مشتركة بين المسلمين كما قال تعالى (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) وهذه أى العلة التي اختصت بها مكة دون سائر الامصار فان الله أوجب حجبها على جميع الناس وشرع اعتمادها دائما لجعلها مشتركة بين جميع عباده كما قال (سواء العاكف فيه والباد) ولهذا كانت منى وغيرها من المشاعر من سبق الى مكان فهو أحق به حتى ينتقل عنه كالمساجد ومكة نفسها من سبق الى مكان فهو أحق به والانسان أحق بمساكنه مادام محتاجا اليها وما استغنى عنه من المنافع فعليه بذله بلا عوض لغيره من الحجيج وغيرهم ولهذا كانت الاقوال في اجارة دورها وبيع رباعها ثلاثة قيل لا يجوز لا هذا ولا هذا وقيل يجوز الأمران والصحيح أنه يجوز بيع رباعها ولا يجوز اجارتها وعلى هذا تدل الآثار المنقولة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضى الله عنهم فان الصحابة كانوا يتبايعون دورها والدور تورث وتوهب واذا كانت تورث وتوهب جاز أن تباع بخلاف الوقف فانه لا يباع ولا يورث ولا يوهب وكذلك أم الولد من لم يجوز بيعها لا يجوز هبتها ولا أن تورث وأما اجارتها فقد كانت تدعى السوائب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر من احتاج سكن ومن استغنى أسكن لأن المسلمين كلهم محتاجون الى المنافع فصارت كمنافع الاسواق والمساجد والطرق التي يحتاج اليها المسلمون فمن سبق الى شيء منها فهو أحق به وما استغنى عنه أخذه غيره بلا عوض وكذلك المباحات التي يشترك فيها الناس ويكون المشتري لها استفاد بذلك أنه أحق من غيره مادام محتاجا واذا باعها الانسان قطع اختصاصه بها وتوريثه اياها وغير ذلك من تصرفاته وهذا له أن لا يبذله الا بموض والنبي صلى الله عليه وسلم من على أهل مكة فان الاسير يجوز المن عليه للمصلحة وأعطاهم مع ذلك ذرايبهم وأموالهم كما من على هوازن لما جاؤا مسلمين باحدى



قوس النذف وفتح الله لهم بها البلاد وقد وبيت آثار في كراهة الرمي بالقوس  
 الفارسية عن بعض السلف لكونها كانت شعار الكفار فاما بعد ان اعتادها المسلمون  
 وكثرت فيهم وهي في انفسها أنفع في الجهاد من تلك القوس فلا تكره في أظهر قول  
 العلماء أو قول أكثرهم لأن الله تعالى قال (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط  
 الخيل) والقوة في هذا أبلغ بلارب والصحابة لم تكن هذه عندهم فعدلوا عنها الى  
 تلك بل لم يكن لهم غيرها فينظر في قصدهم بالرمي أكان لحاجة اليها اذ ليس لهم  
 غيرها أم كان لمعنى فيها ومن كره الرمي بها كرهه لمعنى لازم كما يكره الكفر وما  
 يستلزم الكفر أم كرهها لكونها كانت من شعائر الكفار فكره التشبه بهم وهذا كما  
 أن الكفار من اليهود والنصارى اذا لبسوا ثوب الفجار من أصفر وأزرق نهى عن  
 لباسه لما فيه من التشبه بهم وان كان لو خلا عن ذلك لم يكره وفي بلاد لا يلبس  
 هذه الملابس عندهم الا الكفار قهبي عن لبسها والذين اعتادوا ذلك من المسلمين  
 لا مفسدة عندهم في لبسها ولهذا كره أحمد وغيره لباس السواد لما كان في لباسه تشبه  
 بمن يظلم أو يعين على الظلم وكره بيعه لمن يستعين بلبسه على الظلم فاما اذا لم يكن فيه  
 مفسدة لم ينه عنه وكره من كره من الصحابة والتابعين بيع الارض الخراجية لان  
 المشتري لها اذا أدى الخراج عنها أشبه أهل الذمة في التزام الجزية فان الخراج جزية  
 الارض وان لم يؤدها ظلم الناس باسقاط حقهم من الارض لم يكرهوا بيعها لكونها  
 وقفا فان الوقف انما منع من بيعه لأن ذلك يبطل الوقف ولهذا لا يباع ولا يوهب  
 ولا يورث والارض الخراجية تنتقل الى الوارث باتفاق العلماء ويجوز هبتها والمتهب  
 والمشتري يقوم فيها مقام البائع فيؤدى ما كان عليه من الخراج وليس في بيعها مضرة  
 لمستحق الخراج كما في بيع الوقف وقد غلط كثير من الفقهاء فظنوا أنهم كرهوا بيعها  
 لكونها وقفا واشتبه عليهم الأمر لأنهم رأوا الآثار مروية في كراهة بيعها وقد عرفوا  
 أن عمر جعلها فثما لم يقسمها قط وذلك في معنى الوقف فظنوا ان بيعها مكروه لهذا  
 المعنى ولم يتأمل فيرون أن هذا البيع ليس هو من جنس البيع المنهى عنه  
 في الوقف فان هذه يصرف مغلها الى مستحقها قبل البيع وبعده وعلى حد واحد ليست  
 كالدار التي اذا بيعت تعطل نفعها عن أهل الوقف وصارت للمشتري وأعجب من ذلك  
 أن طائفة من هؤلاء قالوا مكة انما كره بيع رباعها لكونها فتحت عنوة ولم تقسم أيضا  
 وهم قد قالوا مع جميع الناس ان الارض العنوة التي جعلت أرضا فثما يجوز بيع

فسد الجسد كله الا وهى القلب والنية والقصد هى عمل القلب فلا بد في المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم من اعتبار النية والقصد ومن هذا الباب ان النبي صلى الله عليه وسلم لما احتجم وأمر بالحجامة وقال في الحديث الصحيح شفاء أمتى في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وما أحب أن أكتوى كان معلوما ان المقصود بالحجامة اخراج الدم الزائد الذى يضر البدن فهذا هو المقصود وخص الحجامة لان البلاد الحارة يخرج الدم فيها الى سطح البدن فيخرج بالحجامة فلهذا كانت الحجامة في الحجاز ونحوه من البلاد الحارة يحصل بها مقصود استقراغ الدم وأما البلاد الباردة فالدم يغور فيها الى العروق فيحتاجون الى قطع العروق بالفصد وهذا أمر معروف بالحس والتجربة فانه في زمان البرد تسخن الاجواف وتبرد الظواهر لان شبيه الشيء منجذب اليه فاذا برد الهواء برد ما يلاقيه من الابدان والارض فيهرب الحر الذى فيها من البرد المضاد له الى الاجواف فيسخن باطن الارض وأجواف الحيوان ويأوى الحيوان في الاكنان الدافية ولقوة الحرارة في باطن الانسان يأكل في الشتاء وفي البلاد الباردة أكثر مما يأكل في الصيف وفي البلاد الحارة لأن الحرارة تطبخ الطعام وتصرفه ويكون الماء التابع في الشتاء سخنا لسخونة جوف الارض والدم سخن فيكون في جوف العروق لاني سطح الجلد فلو احتجم لم ينفعه ذلك بل قد يضره وفي الصيف والبلاد الحارة تسخن الظواهر فتكون البواطن باردة فلا ينضم الطعام فيها كما ينضم في الشتاء ويكون الماء التابع بارداً لبرودة باطن الارض وتظهر الحيوانات الى البر أى لسخونة الهواء فهو لا ينفعهم الفصد بل قد يضرهم والحجامة أنفع لهم وقوله شفاء أمتى اشارة الى من كان حينئذ من أمته وهم كانوا بالحجاز كما قال ما بين المشرق والمغرب قبة لان هذا كان قبة أمته حينئذ لانهم كانوا بالمدينة وما حولها وهذا كما أنه في آخر الأمر بعد ان فرض الحج سنة تسع أو سنة عشر وقت ثلاث مواقيت للمدينة ولنجدة وللشام ولما فتح اليمن وقت لهم يللم ثم وقت ذات عرق لأهل العراق وهذا كما أنه فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير عن كل صغير وكبير ذكراً وأنثى من المسلمين وكان هذا هو الفرض على أهل المدينة لان الشعير والتمر كان قوتهم ولهذا كان جماهير العلماء على أنه من اقتات الأرز والذرة ونحو ذلك يخرج من قوته وهو احدى الروايتين عن أحمد وهل يجزئه أن يخرج التمر والشعير اذا لم يكن يقاته فيه قولان للعلماء وكان الصحابة يرمون بالقوس العربية الطويلة التي تشبه

العبادة قال الجوهري النسك العبادة والناسك العابد وقد نسك ونسك أي تعبد ونسك بالضم أي صار ناسكاً ثم خص الحج باسم النسك لأنه أدخل في العبادة والذلل لله من غيره ولهذا كان فيه من الأفعال ما لا يقصد فيه إلا مجرد الذلل لله والعبادة له كالسمي ورمى الجمار قال النبي صلى الله عليه وسلم إنما جعل رمي الجمار والسمي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله رواه الترمذي وخص بذلك الذبيح الفداء أيضاً دون مطلق الذبيح لأن إراقة الدم لله أبغ في الخضوع والعبادة له ولهذا كان من كان قبلنا لا يأكلون القربان بل تأتى نار من السماء فتأكله ولهذا قال تعالى (الذين قالوا لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموه إن كنتم صادقين) وكذلك كانوا إذا غنموا غنيمة جمعوها ثم جاءت النار فأكلتها ليكون قتالهم محضا لله لا للمغرم ويكون ذبيحهم عبادة محضة لله لا لأجل أكلهم وأمة محمد صلى الله عليه وسلم وسع الله عليهم لكمال يقينهم وإخلاصهم وانهم يقتلون لله ولو أكلوا المغرم ويذبحون لله ولو أكلوا القربان ولهذا كان عباد الشيطان والأصنام يذبحون لها الذبائح أيضاً فالذبيح للمعبود غاية الذلل والخضوع له ولهذا لم يحز الذبيح لغير الله ولا أن يسمى غير الله على الذبائح وحرم سبحانه ماذبيح على التصب وهو ماذبيح لغير الله وما سمي عليه غير اسم الله وإن قصد به اللحم لا القربان ولعن النبي صلى الله عليه وسلم من ذبح لغير الله ونهى عن ذبائح الجن وكانوا يذبحون للجن بل حرم الله ما لم يذكر اسم الله عليه مطلقاً كما دل على ذلك الكتاب والسنة في غير موضع وقد قال تعالى (فصل لربك وانحر) أي انحر لربك كما قال الخليل (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) وقد قال هو واسماعيل اذ يرفعان القواعد من البيت (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا) فالمناسك هنا مشاعر الحج كلها كما قال تعالى (ولكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه) وقال (ولكل أمة جعلنا منسكاً ليدذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) وقال (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) كما قال تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) فالقصد تقوى القلوب لله وهو عبادتها له وحده دون ماسواه بغاية العبودية له والعبودية فيها غاية المحبة وغاية الذلل والإخلاص وهذه مسألة إبراهيم الخليل وهذا كله مما يبين أن عبادة القلوب هي الأصل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت

وفي ذبح الكبش انه فعل أولا لمقصود ثم شرعه الله نسكا وعبادة لكن هذا يكون اذا شرع الله ذلك وأمر به وليس لأحد أن يشرع ما لم يشرعه الله كما لو قال قائل أنا أستحب الطواف بالصخرة سبعا كما يطاف بالكعبة أو استحب ان اتخذ من مقام موسى وعيسى مصلى كما أمر الله أن يتخذ من مقام ابراهيم مصلى ونحو ذلك لم يكن له ذلك لأن الله تعالى يختص ما يختصه من الاعيان والافعال بأحكام تخصه يتمتع معها قياس غيره عليه اما لمعنى يختص به لا يوجد بغيره على قول أكثر أهل العلم واما لحض تخصيص المشيئة على قول بعضهم كما خص الكعبة بأن يحج إليها ويطاف بها وكما خص عرفات بالوقوف بها وكما خص منى برمي الجمار بها وكما خص الأشهر الحرم بتجريمها وكما خص شهر رمضان بصيامه وقيامه الى أمثال ذلك وابراهيم ومحمد كل منهما خليل الله فانه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقد ثبت في الصحيح أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ياخير البرية قال ذاك ابراهيم فابراهيم أفضل الخلق بعد محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ذاك ابراهيم تواضع منه فانه قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح انه قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر الى غير ذلك من النصوص المينة انه أفضل الخلق وأكرمهم على ربه وابراهيم هو الامام الذى قال الله فيه (انى جاعلك للناس اماما) وهو الأمة أى القدوة الذى قال الله فيه (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله خنيفا) وهو الذى بوأه الله مكان البيت وأمره أن يؤذن في الناس بالحج اليه وقد حرم الله الحرم على لسانه واسماعيل نبأه معه وهو الذبيح الذى بذل نفسه لله وصبر على الحنة كما بينا ذلك بالدلائل الكثيرة في غير هذا الموضع وأمه هاجر هي التى أطاعت الله ورسوله ابراهيم في مقامها مع ابنها في ذلك الوادى الذى لم يكن به أنيس كما قال الخليل (ربنا انى أسكنت من ذريقى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) وكان لابراهيم ولآل ابراهيم من محبة الله وعبادته والايمان به وطاعته ما لم يكن لغيرهم فخصهم الله بان جعل لبيته الذى بنوه له خصائص لا توجد لغيره وجعل ما جعله من أفعالهم قدوة للناس وعبادة يتبعونهم فيها ولا ريب أن الله شرع لابراهيم السعى ورمى الجمار والوقوف بعرفات بعد ما كان من أمر هاجر واسماعيل وقصة الذبيح وغير ذلك ما كان كما شرع لمحمد الرمل في الطواف حيث أمره أن ينادى في الناس بحج البيت والحج مبناه على الذل والخضوع لله ولهذا خص باسم النسك والنسك في اللغة



ولا صلى في أسفاره قط صلاة العيد ولا صلى بهم في أسفاره صلاة جمعة بخطب ثم يصلى ركعتين بل كان يصلى يوم الجمعة في السفر ركعتين كما يصلى في سائر الايام وكذلك لما صلى بهم الظهر والعصر برفقة صلى ركعتين كصلاته في سائر الايام ولم ينقل أحد أنه جهر بالقراءة يوم الجمعة في السفر لابعرفة ولا بغيرها ولا أنه خطب بغير عرفة يوم الجمعة في السفر فعلم أن الصواب ما عليه سلف الأمة وجماهيرها من الائمة الاربعة وغيرهم من أن المسافر لا يصلى جمعة ولا غيرها وجمهورهم أيضا على أنه لا يصلى عيدا وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد في احدى الروايتين وهذا هو الصواب أيضا فان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لم يكونوا يصلون العيد الا في المقام لافي السفر ولم يكن يصلى صلاة العيد الا في مكان واحد مع الامام يخرج بهم الى الصحراء فيصلى هناك فيصلى المسلمون كلهم خلفه صلاة العيد كما يصلون الجمعة ولم يكن أحد من المسلمين يصلى صلاة عيد في مسجد قبيلة ولا بيته كما لم يكونوا يصلون جمعة في مساجد القبائل ولا كان أحد منهم بمكة يوم النحر يصلى صلاة عيد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه بل عيدهم بنى بعد افاضتهم من المشعر الحرام ورمى جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لسائر أهل الامصار يرمون ثم ينحرون والنبي صلى الله عليه وسلم لما أفاض من منى نزل بالحصب فاختلف أصحابه هل التحصيص سنة لاختلافهم في قصده هل قصد النزول به أو نزل به لأنه كان أسمع لخروجه وهذا مما يبين أن المقاصد كانت معتبرة عندهم في المتابعة ولما اعتمر عمرة القضية وكانت مكة مع المشركين لم تقف بعد وكان المشركون قد قالوا يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب وقصد المشركون خلف قيعقان وهو جبل المروة ينظرون اليهم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا ثلاثة أشواط من الطواف ليرى المشركين جلدتهم وقوتهم وروى أنه دعا ابن فعل ذلك ولم يرملوا بين الركنتين لأن المشركين لم يكونوا يرونهم من ذلك الجانب فكان المقصود بالرمل اذ ذاك من جنس المقصود بالجهد فظن بعض المتقدمين أنه ليس من النسك لانه فعل لقصد وزال لكن ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما حجوا رملوا من الحجر الاسود الى الحجر الاسود فكملوا الرمل بين الركنتين وهذا قدر زائد على ما فعلوه في عمرة القضية وفعل ذلك في حجة الوداع مع الأئمة العام فانه لم يحج معه الا مؤمن فدل ذلك على أن الرمل صار من سنة الحج فانه فعل أولا لمقصود الجهاد ثم شرع نسكا كما روى في سعي هاجر وفي رمي الجمار

عن الصلاة في المقبرة الا ما يفعله الرجل عند السلام على الميت من الدعاء له وللمسلمين كما يفعل مثل ذلك في الصلاة على الجنازة فان زيارة قبر المؤمن من جنس الصلاة على جنازته يفعل في هذا من جنس ما يفعل في هذا ويقصد بالدعاء هنا ما يقصد بالدعاء هنا ومما يشبه هذا أن الانصار يبيعوا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بالوادي الذي وراء جرة العقبة لأنه مكان منخفض قريب من منى يستر من فيه فان السبعين الانصار كانوا قد حجبوا مع قومهم المشركين وما زال الناس يحجبون الى مكة قبل الاسلام وبعده فجاءوا مع قومهم الى منى لاجل الحج ثم ذهبوا بالليل الى ذلك المكان لقربه وستره لالفضيلة فيه ولم يقصدوه لفضيلة تخصه بعينه ولهذا لما حج النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه لم يذهبوا اليه ولا زاروه وقد بنى هناك مسجد وهو محدث وكل مسجد بمكة وما حولها غير المسجد الحرام فهو محدث ومنى نفسها لم يكن بها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مسجد مبنى ولكن قال منى مناخ لمن سبق فنزل بها المسلمون وكان يصلي بالمسلمين بمنى وغير منى وكذلك خفافؤه من بعده واجتماع الحاج بمنى أكثر من اجتماعهم بغيرها فانهم يقيمون بها أربعا وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يصلون بالناس بمنى وغير منى وكانوا يقصرون الصلاة بمنى وعرفة ومزدلفة ويجمعون بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بمزدلفة ويصلي بصلاتهم جميع الحاج من أهل مكة وغير أهل مكة كلهم يقصرون الصلاة بالمشاعر وكلهم يجمعون بعرفة ومزدلفة وقد تنازع العلماء في أهل مكة ونحوهم هل يقصرون أو يجمعون فقل لا يقصرون ولا يجمعون كما يقول ذلك من يقول من أصحاب الشافعي وأحمد وقيل يجمعون ولا يقصرون كما يقول ذلك أبو حنيفة وأحمد ومن وافقه من أصحابه وأصحاب الشافعي وقيل يجمعون ويقصرون كما قال ذلك مالك وابن عينة واسحق بن راهويه وبعض أصحاب أحمد وغيرهم وهذا هو الصواب بلا ريب فانه الذي فعله أهل مكة خلف النبي صلى الله عليه وسلم بلا ريب ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم قط ولا أبو بكر ولا عمر بمنى ولا عرفة ولا مزدلفة بأهل مكة أنموا صلاتكم فانا قوم سفر ولكن ثبت ان عمر قال ذلك في جوف مكة وكذلك في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك في جوف مكة في غزوة الفتح وهذا من أقوى الأدلة على أن القصر مشروع لكل مسافر ولو كان سفره بريدا فان عرفة من مكة يريد أربع فراسخ ولم يصل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه بمكة صلاة عيد بل

الله عليه وسلم وصاحبه أقاما به ثلاثا يصلون فيه الصلوات الخمس ولا كانوا أيضا يذهبون الى حراء وهو المكان الذى كان يتعبد فيه قبل النبوة وفيه نزل عليه الوحي أولا وكان هذا مكان يتعبدون فيه قبل الاسلام فان حراء أعلى جبل كان هناك فلما جاء الاسلام ذهب النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة مرات بعد ان أقام بها قبل الهجرة بضع عشرة سنة ومع هذا فلم يكن هو ولا أصحابه يذهبون الى حراء ولما حج النبي صلى الله عليه وسلم استلم الركنين اليمانيين ولم يستلم الشاميين لانهما لم يبنيا على قواعد ابراهيم فان أكثر الحجر من البيت والحجر الاسود استلمه وقبله واليماني استلمه ولم يقبله وصلى بمقام ابراهيم ولم يستلمه ولم يقبله فدل ذلك على ان التمسح بحيطان الكعبة غير الركنين اليمانيين وتقييل شئ منها غير الحجر الاسود ليس بسنة ودل على ان استلام مقام ابراهيم وتقييله ليس بسنة واذا كان هذا نفس الكعبة ونفس مقام ابراهيم بها فعلوم ان جميع المساجد حرمتها دون الكعبة وان مقام ابراهيم بالشام وغيرها وسائر مقامات الانبياء دون المقام الذى قال الله فيه (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) فلم أن سائر المقامات لا تقصد للصلاة فيها كما لا يحج الى سائر المشاهد ولا يتمسح بها ولا يقبل شئ من مقامات الانبياء ولا المساجد ولا الصخرة ولا غيرها ولا يقبل وجه الارض الا الحجر الاسود وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يصل بمسجد بمكة الا المسجد الحرام ولم يأت للعبادات الى المشاعر منى ومزدلفة وعرفة فلهذا كان أئمة العلماء على أنه لا يستحب أن يقصد مسجدا بمكة للصلاة غير المسجد الحرام ولا تقصد بقعة للزيارة غير المشاعر التي قصدها رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان هذا في آثارهم فكيف بالمقابر التي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذها مساجد وأخبر أنهم شرار الخلق يوم القيامة • ودين الاسلام انه لا تقصد بقعة للصلاة الا أن تكون مسجدا فقط ولهذا مشاعر الحج غير المسجد الحرام تقصد للنسك لا للصلاة فلا صلاة بعرفة وانما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر يوم عرفة بعرفة خطب بها ثم صلى ثم بعد الصلاة ذهب الى عرفات فوقف بها وكذلك يذكر الله ويدعى بمرفات ومزدلفة على قرح وبالصفا والمروة وبين الجمرات وعند الرمي ولا تقصد هذه البقاع للصلاة وأما غير المساجد ومشاعر الحج فلا تقصد بقعة لا للصلاة ولا للذكر ولا للدعاء بل يصلى المسلم حيث أدركته الصلاة الا حيث نهى ويذكر الله ويدعوه حيث تيسر من غير تخصيص بقعة بذلك واذا اتخذ بقعة لذلك كالمشاهد نهى عن ذلك كما نهى

ولأبي الدرداء وفيها أحاديث لكن صلاته ثمان ركعات يوم الفتح جعلها بعض العلماء صلاة الضحى وقال آخرون لم يصلها الا يوم الفتح فلم انه صلاها لاجل الفتح وكانوا يستحبون عند فتح مدينة أن يصلى الامام ثمانى ركعات شكراً لله ويسمونها صلاة الفتح قالوا لان الاتباع يعتبر فيه القصد والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد الصلاة لاجل الوقت ولو قصد ذلك لصلى كل يوم أو غالب الايام كما كان يصلى ركعتي الفجر كل يوم وكذلك كان يصلى بعد الظهر ركعتين وقبلها ركعتين أو أربعاً ولما فاتته الركعتان بعد الظهر قضاها بعد العصر وهو صلى الله عليه وسلم لما نام هو وأصحابه عن صلاة الفجر في غزوة خيبر فصلوا بعد طلوع الشمس ركعتين ثم ركعتين لم يقل أحد ان هذه الصلاة في هذا الوقت سنة دائماً لانهم انما صلوا قضاء لكونهم ناموا عن الصلاة ولما فاتته العصر في بعض أيام الحندق فصلها بعد ما غربت الشمس وروى ان الظهر فاتته أيضاً فصلى الظهر ثم العصر ثم المغرب لم يقل أحد انه يستحب أن يصلى بين العشاءين احد عشر ركعة لان ذلك كان قضاء بل ولا نقل عنه أحد انه خص ما بين العشاءين بصلاة وقوله تعالى ( ناشئة الليل ) عند أكثر العلماء هو اذا قام الرجل بعد نوم ليس هو أول الليل وهذا هو الصواب لان النبي صلى الله عليه وسلم هكذا كان يصلى بالليل والأحاديث بذلك متواترة عنه كان يقوم بعد النوم لم يكن يقوم بين العشاءين وكذلك أكله ما كان يجد من الطعام ولبسه الذى يوجد بمدينته طيبة مخلوقاً فيها ومجلوباً اليها من الين وغيرها لانه هو الذى يسره الله له فأكله التمر وخبز الشعير وفاكهته الرطب والبطيخ الأخضر والقناء ولبس ثياب الين لان ذلك هو كان الميسر في بلده من الطعام والثياب لخصوص ذلك فمن كان ببلد آخر وقوتهم البر والذرة وفاكهتهم الغنبل والرمال ونحو ذلك وثيابهم مما ينسج بغير الين لم يكن اذا قصد أن يتكلف من القوت والفاكهة واللباس ما ليس في بلده بل يتعسر عليهم متبعاً للرسول صلى الله عليه وسلم وان كان ذلك الذى يتكلفه تمراً أو رطباً أو خبز شعير فلم أنه لابد في المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم من اعتبار القصد والنية قائماً بالاعمال بالنيات وانما لكل امرئ امرئ فلم أن الذى عليه جمهور الصحابة وأكابرهم هو الصحيح ومع هذا فابن عمر رضى الله عنهما لم يكن يقصد أن يصلى الا في مكان صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصد الى الصلاة في موضع نزوله ومقامه ولا كان أحد من الصحابة يذهب الى الغار المذكور في القرآن للزيارة والصلاة فيه وان كان النبي صلى



بل يستقبل القبلة أيضا ويكون القبر عن يساره وقيل بل يستدير القبلة ومما يبين هذا الأصل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر هو وأبو بكر ذهبوا إلى الغار الذي بجبل ثور ولم يكن على طريقهما بالمدينة فانه من ناحية اليمن والمدينة من ناحية الشام ولكن احتبأ فيه ثلاثا لينقطع خبرهما عن المشركين فلا يعرفون أين ذهبوا فان المشركين كانوا طالين لهما وقد بذلوا في كل واحد منهما ديتة لمن يأتي به وكانوا يقصدون منع النبي صلى الله عليه وسلم أن يصل إلى أصحابه بالمدينة وإن لا يخرج من مكة بل لما عجزوا عن قتله أرادوا حبسه بمكة فلو سلك الطريق ابتداء لادركوه فأقام بالغار ثلاثا لاجل ذلك فلو أراد المسافر من مكة إلى المدينة أن يذهب إلى الغار ثم يرجع لم يكن ذلك مستحبا بل مكروها والنبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة سلك طريق الساحل وهي طويلة وفيها دورة وأما في عمره وحجته فكان يسلك الوسط وهو أقرب إلى مكة فسلك في الهجرة طريق الساحل لأنها كانت أبعد عن قصد المشركين فان الطريق الوسطى كانت أقرب إلى المدينة فيظنون أنه سلكها كما كان إذا أراد غزوة ورأى غيرها وهو صلى الله عليه وسلم لما قسم غنائم حنين بالجمرة اعتمر منها ولما صده المشركون عن مكة حل بالحديبية وكان قد أنشأ الأحرام بالعمرة من ميقات المدينة ذى الحليفة ولما اعتمر من العام القابل عمرة القضية اعتمر من ذى الحليفة ولم يدخل الكعبة في عمره ولا حجته وإنما دخلها عام الفتح وكان بها صور مصورة فلم يدخلها حتى حجت تلك الصور وصلى بها ركعتين وصلى يوم الفتح ثمان ركعات وقت الضحى كما روت أم هانئ ولكن لم يقصد الصلاة وقت الضحى إلا لسبب مثل أن يقدم من سفر فيدخل المسجد فيصل في ركعتين ومثل أن يشغله نوم أو مرض عن قيام الليل فيصل بالنهار ثنى عشرة ركة وكان يصلى بالليل إحدى عشرة ركة فصلى ثنى عشرة ركة شفعاً لفوات وقت الوتر فانه صلى الله عليه وسلم قال المغرب وتر صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل وقال اجملوا آخر صلاتكم بالليل وترا وقال صلاة الليل ثنى ثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة والمأثور عن السلف أنهم إذا ناموا عن الوتر كانوا يوترون قبل صلاة الفجر ولا يؤخرونه إلى ما بعد الصلاة وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة الضحى قط وأنى لا سبجها وإن كان ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم وقد ثبت عنه في الصحيح أنه أوصى بركعتي الضحى لأبى هريرة

شئ من المساجد والمزارات التي بالمدينة وما حولها بعد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم  
 الا مسجد قباء لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد مسجدا بعينه يذهب اليه هو  
 وقد كان بالمدينة مساجد كثيرة لكل قبيلة من الانصار مسجد لكن ليس في قصده دون  
 أمثاله فضيلة بخلاف مسجد قباء فانه أول مسجد بنى بالمدينة على الاطلاق وقد قصده  
 الرسول بالذهاب اليه وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من توضع في بيته ثم أتى  
 مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان كعمرة ومع هذا فلا يسافر اليه لكن اذا كان  
 الانسان بالمدينة أتاه ولا يقصد انشاء السفر اليه بل يقصد انشاء السفر الى المساجد  
 الثلاثة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام  
 والمسجد الأقصى ومسجدي هذا ولهذا لو نذر السفر الى مسجد قباء لم يوف بنذره  
 عند الأئمة الأربعة وغيرهم بخلاف المسجد الحرام فانه يجب الوفاء بالنذر اليه باتفاقهم  
 وكذلك مسجد المدينة وبيت المقدس في أصح قولهم وهو مذهب مالك وأحمد والشافعي  
 في أحد قوليه وفي الآخر وهو قول أبي حنيفة ليس عليه ذلك لكنه جائز ومستحب  
 لان من أصله انه لا يجب بالنذر الا ما كان واجبا بالشرع والا كثرون يقولون يجب بالنذر  
 كل ما كان طاعة لله كما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أنه قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه ويستحب  
 زيارة قبور البقيع وشهداء أحد للدعاء لهم والاستغفار لان النبي صلى الله عليه وسلم  
 كان يقصد ذلك مع ان هذا مشروع لجميع موتى المسلمين كما يستحب السلام عليهم  
 والدعاء لهم والاستغفار وزيارة القبور بهذا القصد مستحبة وسواء في ذلك قبور  
 الانبياء والصالحين وغيرهم وكان عبد الله بن عمر اذا دخل المسجد يقول السلام  
 عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أباه ثم ينصرف وأما زيارة قبور  
 الانبياء والصالحين لاجل طلب الحاجات منهم أو دعائهم والاقسام بهم على الله أو ظن  
 أن الدعاء أو الصلاة عند قبورهم أفضل منه في المساجد والبيوت فهذا ضلال وشرك  
 وبدعة باتفاق أئمة المسلمين ولم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك ولا كانوا اذا سلموا  
 على النبي صلى الله عليه وسلم يقفون يدعون لانفسهم ولهذا كره ذلك مالك وغيره من  
 العلماء لانها من البدع التي لم يفعلها السلف واتفق العلماء الأربعة وغيرهم من السلف  
 على انه اذا أراد أن يدعو يستقبل القبلة ولا يستقبل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأما  
 اذا سلم عليه فأكثرهم قالوا يستقبل القبر قاله مالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة

ومن شاء من أصحابه وفي رواية فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت فقال أين تحب أن أصلى من بيتك فأشرت له الى ناحية من البيت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم الحديث فانه قصد أن يبنى مسجدا وأحب أن يكون أول من يصلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأن يبنيه في الموضع الذي صلى فيه فالمقصود كان بناء المسجد وأراد أن يصلى النبي صلى الله عليه وسلم في المكان الذي يبنيه فكانت الصلاة مقصودة لاجل المسجد لم يكن بناء المسجد مقصودا لاجل كونه صلى فيه اتفاقا وهذا المكان مكان قصد النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه ليكون مسجدا فصار قصد الصلاة فيه متابعة له بخلاف ما اتفق انه صلى فيه بغير قصد وكذلك قصد يوم الاثنين والخميس بالصوم متابعة لانه قصد صوم هذين اليومين وقال في الحديث الصحيح انه تفتح أبواب الجنة في كل خميس واثنين فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيأ الا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا وكذلك قصد آتيان مسجد قباء متابعة له فانه قد ثبت عنه في الصحيحين انه كان يأتي قباء كل سبت راكبا وماشيا وذلك ان الله أنزل عليه (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) وكان مسجده هو الاحق بهذا الوصف وقد ثبت في الصحيح انه سئل عن المسجد المؤسس على التقوى فقال هو مسجدى هذا يريد انه أكمل في هذا الوصف من مسجد قباء ومسجد قباء أيضا أسس على التقوى وبسببه الآية ولهذا قال (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) وكان أهل قباء مع الوضوء والغسل يستنجون بالماء تعلموا ذلك من حيرانهم اليهود ولم تكن العرب تفعل ذلك فأراد النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يظن ظان ان ذاك هو الذي أسس على التقوى دون مسجده فذكر ان مسجده أحق بأن يكون هو المؤسس على التقوى فقوله لمسجد أسس على التقوى يتناول مسجده ومسجد قباء ويتناول كل مسجد أسس على التقوى بخلاف مساجد الضرار ولهذا كان السلف يكرهون الصلاة فيما يشبه ذلك ويرون العتيق أفضل من الجديد لان العتيق أبعد عن أن يكون بنى ضرارا من الجديد الذي يخاف ذلك فيه وعق المسجد مما يحمده به ولهذا قال (ثم محلها الى البيت العتيق) وقال (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة) فان قدمه يقتضى كثرة العبادة فيه أيضا وذلك يقتضى زيادة فضله ولهذا لم يستحب علماء السلف من أهل المدينة وغيره اقصد

أى يرون كما قال (انى آنست نارا) أى رأيتها والجن سموا جنا لاجتنانهم يجتئون عن الابصار أى يستترون كما قال تعالى (فلما جن عليه الليل) أى استولى عليه فغطاه وستره وليس أحد من الانس يستر دائما عن أبصار الانس وإنما يقع هذا لبعض الانس في بعض الاحوال تارة على وجه الكرامة له وتارة يكون من باب السحر وعمل الشياطين ولبسط الكلام على الفرق بين هذا وبين هذا موضع آخر والمقصود ههنا ان الصحابة والتابعين لهم باحسان لم ينوا قط على قبر نبي ولا رجل صالح مسجدا ولا جعلوه مشهدا ومزارا ولا على شئ من آثار الانبياء مثل مكان نزل فيه أو صلى فيه أو فعل فيه شئ من ذلك لم يكونوا يقصدون بناء مسجد لأجل آثار الانبياء والصالحين ولم يكن جمهورهم يقصدون الصلاة في مكان لم يقصد الرسول الصلاة فيه بل نزل فيه أو صلى فيه اتفاقا بل كان أئمتهم كعمر بن الخطاب وغيره ينهى عن قصد الصلاة في مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفاقا لا قصدا وإنما نقل عن ابن عمر خاصة انه كان يتحرقى أن يسير حيث سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل حيث نزل ويصلى حيث صلى وان كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد تلك البقعة لذلك الفعل بل حصل اتفاقا وكان ابن عمر رضى الله عنهما رجلا صالحا شديدا لاتباع فرأى هذا من الاتباع وأما أبوه وسائر الصحابة من الخلفاء الراشدين ثمان وعلى وسائر العشرة وغيرهم مثل ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب فلم يكونوا يفعلون ما فعل ابن عمر وقول الجمهور أصح وذلك أن المتابعة أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذى فعل لأجل أنه فعل فاذا قصد الصلاة والعبادة في مكان معين كان قصد الصلاة والعبادة في ذلك المكان متابعة له وأما اذا لم يقصد تلك البقعة فان قصدها يكون مخالفة لاتباعه له مثال الأول لما قصد الوقوف والذكر والدعاء بعرفة ومزدلفة وبين الجمرتين كان قصد تلك البقاع متابعة له وكذلك لما طاف وصلى خلف المقام ركعتين كان فعل ذلك متابعة له وكذلك لما صعد على الصفا والمروة للذكر والدعاء كان قصد ذلك متابعة له وقد كان سامة بن الأكوع يتحرى الصلاة عند الاسطوانة قال لاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها فلما رآه يقصد تلك البقعة لأجل الصلاة كان ذلك القصد للصلاة متابعة وكذلك لما أراد عتبان ومالك أن يبني مسجدا لما عمى فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انى أحب أن تأتيني تصلى في منزلى فاتخذته مصلى وفي رواية فقال تعالى نخط لى مسجدا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم

إذا ظهرت صورته ولهذا كان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أولا مقبرة للمشركين وفيها نخل وخرب فأمر بالقبور فنبشت وبالنخل فقطع وبالخرب فسويت فخرج عن أن يكون مقبرة فصار مسجداً ولما كان اتخاذ القبور مساجد وبناء المسجد عليها محرماً ولم يكن شيء من ذلك على عهد الصحابة والتابعين لهم باحسان ولم يكن يعرف قط مسجد على قبر وكان الحليل عليه السلام في المغارة التي دفن فيها وهي مسدودة لأحد يدخل إليها ولا تشد الصحابة الرحال لآله ولا إلى غيره من المقابر لأن في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا فكان يأتي من يأتي منهم إلى المسجد الأقصى يصلون فيه ثم يرجعون لا يأتون مغارة الحليل ولا غيرها وكانت مغارة الحليل مسدودة حتى استولى النصارى على الشام في أواخر المائة الرابعة ففتحو الباب وجعلوا ذلك المكان كنيسة ثم لما فتح المسلمون البلاد اتخذوه بعض الناس مسجداً وأهل العلم ينكرون ذلك والذي يرويه بعضهم في حديث الاسراء أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هذه طيبة أنزل فصل فزل فصلى هذا مكان أبيك أنزل فصل كذب موضوع لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة إلا في المسجد الأقصى خاصة كما ثبت ذلك في الصحيح ولا نزل إلا فيه ولهذا لما قدم الشام من الصحابة من لا يحصى عددهم إلا الله وقدمها عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وبعد فتح الشام لما صالح النصارى على الجزية وشرط عليهم الشروط المعروفة وقدمها مرة ثالثة حتى وصل إلى سرغ ومعه أكبر السابقين الأولين من المهاجرين والانصار فلم يذهب أحد منهم إلى مغارة الحليل ولا غيرها من آثار الأنبياء التي بالشام لا بيت المقدس ولا بدمشق ولا غير ذلك مثل آثار الثلاثة التي بجبل قاسيون في غربيه الربوة المضافة إلى عيسى عليه السلام وفي شرقيه المقام المضاف إلى الحليل عليه السلام وفي وسطه وأعلاه مغارة الدم المضافة إلى هابيل لما قتله قابيل فهذه البقاع وأمثالها لم يكن السابقون الأولون يقصدونها ولا يزورونها ولا يرجون منها بركة فانها محل الشرك ولهذا توجد فيها الشياطين كثيراً وقد رآهم غير واحد على صورة الانس ويقولون لهم رجال الغيب يظنون أنهم رجال من الانس غاشين عن الابصار وانما هم جن والجن يسمون رجالاً كما قال الله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) والانس سموا انسا لانهم يؤنسونه

الشرك سد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب كما سد باب الشرك بالكواكب في صحيح مسلم عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس أن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد إلا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك وفي الصحيحين عنه أنه صلى الله عليه وسلم ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسناتها وتصاوير فيها فقال إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة وفي الصحيحين عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا وفي مسند أحمد ومحيي بن حاتم عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم إن من شرار الناس من تدركم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد وفي سنن أبي داود وغيره عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم لاتخذوا قبري عيدا وصلوا على حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني وفي موطأ مالك عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن لأدع قبرا مشرقا لا سويته ولا تمثالا إلا طمسته فأمره بمحو التماثيل الصورة الممثلة على صورة الميت والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره فان الشرك يحصل بهذا وبهذا وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في سفر فرأى قوما ينتابون مكانا للصلاة فقال ما هذا فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا انهم اتخذوا آثار انبيائهم مساجد من أدركته الصلاة فليصل والا فليمض وبلغه أن قوما يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها فأمر بقطعها وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بستر قبر دانيال وعنده مصحف فيه أخبار ماسيكون وأنهم إذا أجدبوا كشفوا عن القبر فطروا فأرسل اليه عمر يأمره أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا ويدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتنوا به فاتخذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله وإن لم يكن عليها مسجدا كان بناء المساجد عليها أعظم وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك انما يحصل



به بعرفات ثم يمسكونه الى بلده وهو لابس ثيابه لم يحرم حين حاذى المواقيت ولا كشف رأسه ولا تجرد عما يجرد عنه المحرم ولا يدعو به بعد الوقوف يطوف طواف الافاضة ويرمى الجمار ويكمل حجه بل يظن أن مجرد الوقوف كما فعل به عبادة وهذا من قلة علمه بدين الاسلام ولو علم دين الاسلام لعلم أن هذا الذي فعله ليس عبادة لله والا من استحل هذا فهو مرتد يجب قتله بل اتفق المسلمون على أنه يجب الاحرام عند الميقات ولا يجوز للأنسان المحرم اللبس في الاحرام الا من عذر وانه لا يكتفى بالوقوف بل لابد من طواف الافاضة باتفاق المسلمين بل وعليه أن يفيض الى المشعر الحرام ويرمى جرة العقبة وهذا مما تتوزع فيه هل هو ركن أو واجب يجبره دم وعليه أيضا رمى الجمار أيام منى باتفاق المسلمين وقد تحمل أحدهم الجن قنوزة بيت المقدس وغيره وتطير به في الهواء وتمشي به في الماء وقد تربه أنه قد ذهب به الى مدينة الاولياء وربما أرتته أنه يأكل من ثمار الجنة ويشرب من أنهارها وهذا كله وأمثاله مما أعرفه قد وقع لمن أعرفه لكن هذا باب طويل ليس هذا موضع بسطه وانما المقصود أن أصل الشرك في العالم كان من عبادة البشر الصالحين وعبدوا تماثيلهم وهم المقصودون ومن الشرك ما كان أصله عبادة الكواكب اما الشمس واما القمر واما غيرهما وصورت الاصنام طلاس لتلك الكواكب وشرك قوم ابراهيم والله أعلم كان من هذا أو كان بعضه من هذا ومن الشرك ما كان أصله عبادة الملائكة أو الجن وضعت الاصنام لاجلهم والافنفس الاصنام الجمادية لم تعبد لذاتها بل لأسباب اقتضت ذلك وشرك العرب كان أعظمه الأول وكان فيه من الجميع فان عمرو بن لحي هو أول من غير دين ابراهيم عليه السلام وكان قد أتى الشام وراهم بالبقاء لهم أصنام يستجلبون بها المنافع ويدفعون بها المضار فصنع مثل ذلك في مكة لما كانت خزاعة ولاة البيت قبل قريش وكان هو سيد خزاعة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف يحرق قصبة في النار أي أمعاءه وهو أول من غير دين ابراهيم وسبب السوائب وبحر البحيرة وكذلك والله أعلم شرك قوم نوح وان كان مبدؤه من عبادة الصالحين فالشيطان يحجر الناس من هذا الى غيره لكن هذا أقرب الى الناس لانهم يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعائه فيعكفون على قبره ويقصدون ذلك منه فتارة يسألونه وتارة يسألون الله به ويدعون عند قبره ظانين أن الصلاة والدعاء عند قبره أفضل منه في المساجد والبيوت ولما كان هذا مبدأ

أصحابه رسائل بخطاب وقد كان يجتمع بي بعض اتباع هذا الشيخ وكان فيه زهد وعبادة وكان يحبني ويحب هذا الشيخ ويظن أن هذا من الكرامات وان الشيخ لم يمت وذكر الى الكلام الذي أرسله اليه بعد موته فقرأه فاذا هو كلام الشياطين بعينه وقد ذكر لي غير واحد ممن أعرفهم أنهم استغاثوا بي فأروني في الهواء قد أتيتهم وخلصتهم من تلك الشدائد مثل من أحاط بهم النصارى الارمن ليأخذوه وآخر قد أحاط به العدو ومعه كتب ملطفات من مناصحين لو اطاعوا على مامعه لقتلوه ونحو ذلك فذكرت لهم اني مادريت بما جرى أصلا وحلفت لهم حتى لا يظنوا اني كتبت ذلك كما تكتب الكرامات وانا قد علمت ان الذي فعلوه ليس بمشروع بل هو شرك وبدعة ثم تبين لي فيما بعد وبينت لهم ان هذه شياطين تتصور على صورة المستغاث به وحكي لي غير واحد من أصحاب الشيخ انه جرى لمن استغاث بهم مثل ذلك وحكي خالق كثير أنهم استغاثوا باحياء وأموات فأروا مثل ذلك واستفاض هذا حتى عرف ان هذا من الشياطين تفوى الانسان بحسب الامكان فان كان ممن لا يعرف دين الاسلام أوقفه في الشرك الظاهر والكفر المحض فأمرته أن لا يذكر الله وأن يسجد للشيطان ويذبح له وأمرته بأكل الميتة والدم وفعل الفواحش وهذا يجري كثيرا في بلاد الكفر المحض وبلاد فيها كفر واسلام ضعيف ويجرى في بعض مدائن الاسلام في المواضع التي يضعف ايمان أصحابها حتى قد جرى ذلك في مصر والشام على أنواع يطول وصفها وهو في أرض الشرق قبل ظهور الاسلام في التار كثير جدا وكلما ظهر فيهم الاسلام وعرفوا حقيقة قلت آثار الشياطين فيهم وان كان مسالما يختار الفواحش والظلم اعانته على الظلم والفواحش وهذا كثير جدا أكثر من الذي قبله في البلاد التي في أهلها اسلام وجاهلية وبر وفجور وان كان الشيخ فيه اسلام وديانة ولكنه عنده قلة معرفة بحقيقة ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وقد عرف من حيث الجملة ان لأولياء الله كرامات وهو لا يعرف كمال الولاية وانها الايمان والتقوى واتباع الرسول باطنا وظاهرا أو يعرف ذلك مجملا ولا يعرف من حقائق الايمان الباطن وشرائع الاسلام الظاهرة ما يفرق به بين الاحوال الرحمانية وبين النفسانية والشيطانية كما أن الرؤيا ثلاثة أقسام رؤيا من الله ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فيراه في المنام ورؤيا من الشيطان فكذلك الاحوال فاذا كان عنده قلة معرفة بحقيقة دين محمد صلى الله عليه وسلم أمرته الشياطين بأمر لا ينكره فتارة يحملون أحدهم في الهواء ويقفون

یصورون فی الكنائس صور من یعظمونه من الانس غیر عیسی وأمه مثل مار جرجس وغیره من القدادیس ویسجدون تلك الصور ویسألونها ویدعونها ویقربون لها القراین وینذرون لها النذور ویقولون هذه تذکرا بأولئك الصالحین والشیاطین تضلهم كما كانت تضل المشرکین تارة بأن یتمثل الشیطان فی صورة ذلك الشخص الذی بدعی ویعبد فیظن داعیه انه قد أتى ویظن ان الله صور ملکا علی صورته فان الثصرانی مثلاً یدعو فی الأسر وغیره مار جرجس أو غیره فیراه قد أتاه فی الهواء وكذلك غیره وقد سألوا بعض تبارکهم عن هذا کیف یوجد فی هذه الاماکن فقال هذه ملائکة یتخلقهم الله علی صورته تغیب من یدعوه وانما تلك شیاطین أضلت المشرکین وهكذا یحسب کثیر من أهل البدع والضلال والشرک المنتسین الی هذه الامة فان أحدهم یدعو یتستغیث بشیخه الذی یعظمه وهو میت أو یتستغیث به عند قبره ویسأله وقد ینذرله نذراً ونحو ذلك ویری ذلك الشخص قد أتاه فی الهواء ودفع عنه بعض ما یکره أو کلمه ببعض ماسأله عنه ونحو ذلك فیظنه الشیخ نفسه أتى ان کان حیا حتی انی أعرف من هؤلاء جماعات یأتون الی الشیخ نفسه الذی استغاثوا به وقد رأوه أنهم فی الهواء فیزکرون ذلك له هؤلاء یأتون الی هذا الشیخ وهؤلاء یأتون الی هذا الشیخ فکثرة یتکون الشیخ نفسه لم یعلم بتلك القضية فان کان یحب الریاسة سکت وأوهم انه نفسه أنهم وأغاثهم وان کان فیہ صدق مع جهل وضلال قال هذا ملک صوره الله علی صورتی وجعل هذا من کرامات الصالحین وجعله عمدة لمن یتستغیث بالصالحین ومتخذهم أرباباً وانهم اذا استغاثوا بهم بعث الله ملائکة علی صورهم تغیب المستغیث بهم ولهذا أعرف غیر واحد من الشیوخ الا کابر الذین فیهم صدق وزهد وعبادة لما ظنوا هذا من کرامات الصالحین صار أحدهم یوصی مریدیه یقول اذا كانت لاحدکم حاجة فلیستغث بى ویستجدنى ویستوصى ویقول أنا أفعل بعد موتى ما کنت أفعل فی حیاتی وهو لا یعرف ان تلك شیاطین تصورت علی صورته لتضله وتضل أتباعه فتحسن لهم الاشرک بالله ودعاء غیر الله والاستغاثة بغير الله وانها قد تلقی فی قلبه أنا نفعل بعد موتک بأصحابک ما کنا نفعل بهم فی حیاتک فیظن هذا من خطاب الهی أتى الیه فیامر أصحابه بذلك وأعرف من هؤلاء من کان له شیاطین تخدمه فی حیاته بأنواع الخدم مثل خطاب أصحابه المستغیثین به واعانهم وغیر ذلك فلما مات صاروا یأتون أحدهم فی صورة الشیخ ویشعرون أنه لم یمت بهم یصلون الی

تنزيه نفسه عن أن يولد فلا يكون من مثله تنزيه له أن يكون من سائر المواد بطريق الأولى والأخرى وقد تقدم في حديث أبي بن كعب أنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا يورث والله تعالى لا يموت ولا يورث وهذا رد لقول اليهود بمن ورث الدنيا ولمن يورثها وكذلك ما نقل من سؤال النصراني صف لنا ربك من أي شيء هو فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن ربي ليس من شيء وهو بائن من الأشياء وكذلك سؤال المشركين واليهود أمن فضة هو أم من ذهب هو أم من حديد وذلك لأن هؤلاء عهدوا الآلهة التي يعبدونها من دون الله يكون لها مواد صارت منها أعباد الأوثان تكون أصنامهم من ذهب وفضة وحديد وغير ذلك وعباد البشر سواء كان البشر لم يأمرهم بعبادتهم أو أمرهم بعبادتهم كالذين يعبدون المسيح وعزيراً وكقوم فرعون الذين قال لهم أنا ربكم الأعلى وما علمت لكم من اله غيري وقال موسى لئن اتخذت الهاً غيري لأجعلنك من المسجونين وكذلك آتاه الله نصيباً من الملك الذي حاج إبراهيم في ربه إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت وكان الرجل الذي يدعى الإلهية وما من خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال وكذلك قالوا (لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) وقد قال غير واحد من السلف إن هذه أسماء قوم صالحين كانوا فيهم فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم وذلك أول ما عبدت الأصنام وإن هذه الأصنام صارت إلى العرب وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد أماد فكانت لكلب بدومة الجندل وأماسواع فكانت لهذيل وأماليغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ وأماليغوث فكانت لهمدان وأماسر فكانت لحير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت ونوح أقام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى التوحيد وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض كما ثبت ذلك في الصحيح ومحمد خاتم الرسل وكلا المرسلين بعث إلى مشركين يعبدون هذه الأصنام التي صورت على صورة الصالحين من البشر والمقصود بعبادتها عبادة أولئك الصالحين وكذلك المشركون من أهل الكتاب ومن مبتدعة هذه الأمة وضلالها هذا غاية شرهم فلن النصراني

هو ومن أي جنس هو أمن ذهب أم من نحاس هو أم من صفر أم من حديد أم من فضة وهل يأكل ويشرب ومن ورث الدنيا ولمن يورثها فأُنزل الله هذه السورة وهي نسبة الله خاصة\* والرابع ما روى عن الضحاك عن ابن عباس أن وفد نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة أساقفة من بني الحرث بن كعب منهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك من أي شيء هو قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ربي ليس من شيء وهو بائن من الأشياء فأُنزل الله تعالى (قل هو الله أحد) فهؤلاء سألوا هل هو من جنس من أجناس المخلوقات وهل هو من مادة فين الله تعالى أنه أحد ليس من جنس شيء من المخلوقات وأنه صمد ليس من مادة بل هو صمد لم يلد ولم يولد وإذا نفى عنه أن يكون مولوداً من مادة الوالد فلأن ينفي عنه أن يكون من سائر المواد أولى وأحرى فإن المولود من نظير مادته أكمل من مادة ما خلق من مادة أخرى كما خلق آدم من الطين فالمادة التي خلق منها أولاده أفضل من المادة التي خلق منها هو ولهذا كان خلقه أعجب فإذا نزهه الرب عن المادة الدنيا فهو عن المادة السفلى أعظم تنزيهاً وهذا كما أنه إذا كان منزهاً عن أن يكون أحد كفواً له فلأن يكون منزهاً عن أن يكون أحد أفضل منه أولى وأحرى وهذا مما يبين أن هذه السورة اشتملت على جميع أنواع التنزيه والتحميد على التفي والاثبات ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقائص والاحدية تثبت الانفراد بذلك وكذلك إذا نزه نفسه عن أن يلد فيخرج منه مادة الولد التي هي أشرف المواد فلأن ينزه نفسه عن أن يخرج منه مادة غير الولد بالطريق الأولى والأحرى وإذا نزه نفسه عن أن يخرج منه مواد للمخلوقات فلأن ينزه عن أن يخرج منه فضلات لاتصلح أن تكون مادة بطريق الأولى والأحرى والانسان يخرج منه مادة الولد ويخرج منه مادة غير الولد كما يخلق من عرقه ورطوبته القمل والدود وغير ذلك ويخرج منه الحنظل والبصاق وغير ذلك وقد نزه الله أهل الجنة عن أن يخرج منهم شيء من ذلك وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم لا يولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخطون وأنه يخرج منهم مثل رشح المسك وأنهم يجامعون بذكر لا ينفخون وشهوة لاتقطع ولا منى وإذا اشتهى أحدهم الولد كان حمله ووضعته في زمن يسير فقد تضمن تنزيه نفسه عن أن يكون له ولد يخرج منه شيء من الأشياء كما يخرج من غيره من المخلوقات وهذا أيضاً من تمام معنى الصمد كما سبق في تفسيره أنه الذي لا يخرج منه شيء وكذلك

لا يشار إليه بحال أو من جنس ما يمتنع بالجواهر الفرد أنه لا يشار إلى شيء منه دون شيء فهذا عند أكثر العقلاء يمتنع وجوده وإنما يقدر في الذهن تقديرا وقد علمنا أن العرب حيث أطلقت لفظ الواحد والاحد نفيا وأثباتا لم ترد هذا المعنى فقوله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره) لم يرد به هذا المعنى الذي فسروا به الواحد الاحد وكذلك قوله (وان كانت واحدة فلها النصف) وكذلك قوله ( ولم يكن له كفوا أحد ) فان المعنى لم يكن له أحد من الآحاد كفوا له فان كان الواحد عبارة عما لا يتميز منه شيء عن شيء ولا يشار إلى شيء منه دون شيء فليس في الموجودات ما هو أحد الا ما يدعونه من الجوهر الفرد ومن رب العالمين وحينئذ لا يكون قد نفى عن شيء من الموجودات أن يكون كفوا للرب لانه لم يدخل في مسمى أحد وقد بسطنا الكلام على هذا بسطا كثيرا في المباحث العقلية والسمعية التي يذكرها نفاة الصفات من الجهمية وأتباعهم في كتابنا المسمى ببيان تليس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ولهذا لما احتجت الجهمية على السلف كالامام أحمد وغيره على نفي الصفات باسم الواحد قال أحمد قالوا لا تكونوا موحدين أبدا حتى تقولوا قد كان الله ولا شيء قلنا نحن نقول كان الله ولا شيء ولكن اذا قلنا ان الله لم يزل بصفاته كلها أليس انما نصف الها واحدا وضربتنا لهم في ذلك مثلا قلنا أخبرونا عن هذه النحلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجار واسمها شيء واحد وسميت نحلة بجميع صفاتها فكذلك الله وله المثل الاعلى بجميع صفاته اله واحد لا نقول انه قد كان في وقت من الاوقات ولا يعلم حتى خلق له علما ولكن نقول لم يزل علما قادرا مالكا لامتى ولا كيف ومما بين هذا أن سبب نزول هذه السورة الذي ذكره المفسرون يدل على ذلك فانهم ذكروا أسبابا أحدها ما تقدم عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنت لنا ربك فزلت هذه السورة\* والثاني أن عامر بن الطفيل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إلام تدعوننا اليه يا محمد قال الى الله قال فضفه لي أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد فزلت هذه السورة وروى ذلك عن ابن عباس من طريق أبي ظبيان وأبي صالح عنه\* والثالث أن بعض اليهود قال ذلك قالوا من أى جنس هو ومن ورث الدنيا ولمن يورثها فزلت هذه السورة قاله قتادة والضحاك قال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء من أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله أنزل نعته في التوراة فأخبرنا به من أى شيء

وانما نقل عنه انه كان يسميه قادرا لأن جميع الاسماء يسمي بها الخلق فزعم أنه يلزم منها التشبيه بخلاف القادر فانه كان رأس الجبرية وعنده ليس للعبد قدرة ولا فعل ولا يسمي غير الله قادرا فلهذا نقل عنه أنه سمي الله قادرا وشر منه نفاة الاسماء والصفات وهم الملاحدة من الفلاسفة والقرامطة ولهذا كان هؤلاء عند الأئمة قاطبة ملاحدة منافقين بل فيهم من الكفر الباطن ماهو أعظم من كفر اليهود والنصارى وهؤلاء لا ريب أنهم ليسوا من التثنية وسبعين فرقة واذا أظهرنا الاسلام ففاتيهم أن يكونوا من المنافقين كالمنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولئك كانوا أقرب الى الاسلام من هؤلاء فانهم كانوا يلتزمون شرائع الاسلام الظاهرة وهؤلاء قد يقولون برفعها فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة لكن قد يقال ان أولئك كانوا قد قامت عليهم الحجة بالرسالة أكثر من هؤلاء واما من يقول ببعض التجهم كالمعتزلة ونحوهم الذين يتدينون بدين الاسلام باطنا وظاهرا فهؤلاء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بلا ريب وكذلك من هو خير منهم كالكلابية والكرامية وكذلك الشيعة المفضلين لعلى ومن كان منهم من يقول بالنص والعصمة مع اعتقاده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا وظنه ان ماهو عليه هو دين الاسلام فهؤلاء أهل ضلال وجهل ليسوا خارجين عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم بل هم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وعامة هؤلاء ممن يتبع ماتشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما أن من المنافقين والكفار من يفعل ذلك ولهذا قال طائفة من المفسرين كالربيع بن أنس هم النصارى كنصارى نجران وقالت طائفة كالكلبي هم اليهود وقالت طائفة كابن جريج هم المنافقون وقالت طائفة كالحسن هم الخوارج وقالت طائفة كقتادة هم الخوارج والشيعة وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية (فأما الذين في قلوبهم زيغ) يقول ان لم يكونوا الحزورية والسبائية فلا أدري من هم والسبائية نسبة الى عبد الله بن سبأ رأس الرافضة

فصل في المعنى الصحيح الذي هو نفى المثل والشريك والتد قد دل عليه قوله سبحانه أحد وقوله (ولم يكن له كفوا أحد) وقوله (هل تعلم له سميا) وأمثال ذلك فالمعاني الصحيحة ثابتة بالكتاب والسنة والعقل يدل على ذلك وقول القائل الاحد أو الصمد أو غير ذلك هو الذي لا ينقسم ولا يتفرق أو ليس بمركب ونحو ذلك هذه العبارات اذا عني بها انه لا يقبل التفرق والافتصال فهذا حق واما ان عني أنه



يقينا بعامة المتون الصحيحة التي في الصحيحين كما قد بسطنا في غير هذا الموضع وأما المقدمة الثانية فانهم قد لا يعرفون معاني القرآن والحديث ومنهم من يقول الادلة اللفظية لاتفيد اليقين بمراد المتكلم وقد بسطنا الكلام على فساد ذلك في غير هاذ الموضع وكثير منهم انما ينظر من تفسير القرآن والحديث فيما يقوله موافقوه على المذهب فيتأول تأويلاتهم فالنصوص التي توافقهم يحتجون بها والتي تخالفهم يتأولونها وكثير منهم لم يكن عمدتهم في نفس الأمر اتباع نص أصلا وهذا في البدع الكبار مثل الرافضة والجهمية فان الذي وضع الرفض كان زنديقا ابتداء بعمل الكذب الصريح الذي يعلم انه كذب كالذين ذكرهم الله من اليهود الذين يفترون على الله الكذب وهم يملكون ثم جاء من بعدهم من ظن صدق ما افتروه أولئك وهم في شك منه كما قال تعالى (وان الذين أوتوا العلم من بعدهم لنى شك منه مريب) وكذلك الجهمية ليس معهم على نفي الصفات وعلو الله على العرش ونحو ذلك نص أصلا لا آية ولا حديث ولا أثر عن الصحابة بل الذي ابتداء ذلك لم يكن قصده اتباع الانبياء بل وضع ذلك كما وضعت عبادة الاوثان وغير ذلك من أديان الكفار مع علمهم بان ذلك مخالف للرسول كما ذكر عن مبدلة اليهود ثم فشا ذلك فيمن لم يعرفوا أصل ذلك وهذا بخلاف بدعة الخوارج فان أصلها ما فهموه من القرآن فغلطوا في فهمه ومقصودهم اتباع القرآن باطنا وظاهرا ليسوا زنادقة وكذلك القدرية أصل مقصودهم تعظيم الأمر والنهى والوعد والوعيد والذي جاءت به الرسل ويتبعون من القرآن ما دل على ذلك فعمرو بن عبيد وأمثاله لم يكن أصل مقصودهم معاندة الرسول كالذى ابتدع الرفض وكذلك الا رجاء انما أحدثه قوم قصدهم جعل أهل القبلة كلهم مؤمنين ليسوا كفارا قابلو الخوارج والمعتزلة فصاروا في طرف آخر وكذلك التشيع المتوسط الذى مضمونه تفضيل على وتقديمه على غيره ونحو ذلك لم يكن هذا من احداث الزنادقة بخلاف دعوى النص فيه والعصمة فان الذى ابتدع ذلك كان منافقا زنديقا ولهذا قال عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرهما أصول البدعة أربعة الشيعة والخوارج والقدرية والمرجئة قالوا والجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة وكذلك ذكر أبو عبد الله بن حامد عن أصحاب أحمد في ذلك قولين هذا أحدهما وهذا ارادوا به التجهم المحض الذى كان عليه جهم نفسه ومتبعوه عليه وهو نفي الاسماء مع نفي الصفات بحيث لا يسمى الله بشئ من أسمائه الحسنى ولا يسميه شيئا ولا موجودا ولا غير ذلك

قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن أمتي مأخذ الأمم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا يا رسول الله فارس والروم قال ومن الناس الا أولئك فهذا دليل على أن ما ذم الله به أهل الكتاب في هذه الآية يكون في هذه الأمة من يشبههم فيه وهذا حق قد شوهد قال تعالى ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ) فمن تدبر ما أخبر الله به ورسوله رأى أنه قد وقع من ذلك أمور كثيرة بل أكثر الامور ودله ذلك على وقوع الباقي

فصل في ما ينبغي أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد بذلك كما كان على ذلك الصحابة والتابعون لهم باحسان ومن سلك سبيلهم فكل ما يحتاج الناس اليه في دينهم فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا فكيف بأصول التوحيد والايمان ثم اذا عرف ما بينه الرسول نظر في أقوال الناس وما أرادوه بها فعرضت على الكتاب والسنة والعقل الصريح دائما موافق للرسول لا يخالفه قط فان الميزان مع الكتاب والله أنزل الكتاب بالحق والميزان لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وطاروا فيه لا يلبثوا يعلمون بعقولهم بطلانه فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحيرات العقول لا تخبر بمحالات العقول فهذا سبيل الهدى والسنة والعلم وأما سبيل الضلال والبدعة والجهل فمكس ذلك أن يتبدع بدعة يرى رجال وتأويلاتهم ثم يجعل ما جاء به الرسول تبعاً لها ويحرف ألفاظه ويتأول على وفق مآصلوه وهؤلاء نجدهم في نفس الأمر لا يعتمدون على ما جاء به الرسول ولا يتلقون الهدى منه ولكن ما وافقهم منه قبلوه وجعلوه حجة لا عمدة وما خالفهم تأولوه كالذين يحرفون الكلم عن مواضعه أو فوضوه كالذين لا يعلمون الكتاب الا أماني وهؤلاء قد لا يعرفون ما جاء به الرسول اما عجزا واما تفريطا فانه يحتاج الى مقدمتين ان الرسول قال كذا وانه أراد به كذا أما الاولى فعامتهم لا يرتابون في انه جاء بالقرآن وان كان من غلاة أهل البدع من يرتاب في بعضه لكن الاحاديث عامة أهل البدع جهال بها وهم يظنون أن هذه رواها آحاد يجوزون عليهم الكذب والخطأ ولا يعرفون من كثرة طرقها وصفات رجالها والاسباب الموجبة للتصديق بها ما يعلمه أهل العلم بالحديث فان هؤلاء يقطعون قطعاً

يروى عن بعض السلف قيل كلا القولين ضعيف والصواب الأول لأنه سبحانه قال (ومنهم أमीون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) وهذا الاستثناء أمانى يكون متصلاً أو منقطعاً فان كان متصلاً لم يجز استثناء الكذب ولا أمانى القلب من الكتاب وان كان منقطعاً فالاستثناء المنقطع انما يكون فيما كان نظير المذكور وشبهها له من بعض الوجوه فهو من جنسه الذى لم يذكر في اللفظ ليس من جنس المذكور ولهذا يصلح المنقطع حيث يصلح الاستثناء المفرغ وذلك كقوله (لا يذوقون فيها الموت) ثم قال (إلا الموتة الأولى) فهذا منقطع لأنه يحسن أن يقال لا يذوقون إلا الموتة الأولى وكذلك قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) لأنه يحسن أن يقال لا تأكلوا أموالكم بينكم إلا أن تكون تجارة وقوله (وما لهم به من علم إلا اتباع الظن) يصلح أن يقال وما لهم إلا اتباع الظن فهذا قال (لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) يحسن أن يقال لا يعلموه إلا أمانى فانهم يعلمونه تلاوة ويقرؤها ويسمعونها ولا يحسن أن يقال لا يعلمون إلا ماتمناه قلوبهم أو لا يعلمون إلا الكذب فانهم قد كانوا يعلمون ما هو صدق أيضاً فليس كل ما علموه من علمائهم كان كذباً بخلاف الذى لا يعقل معنى الكتاب فانه لا يعلم إلا تلاوة وأيضاً فهذه للأمانى الباطلة التى تمنوها بقلوبهم وقالوها بألسنتهم كقوله تعالى (تلك أمانيتهم قد اشتهروا فيها كلهم) لا يخص بالذم الأميون منهم وليس لكونهم أमीين مدخل في الذم بهذه ولا لنفى العلم بالكتاب مدخل في الذم بهذه بل الذم بهذه مما يعلم أنها باطل أعظم من ذم من لا يعلم أنها باطل ولهذا لما ذم الله بها عمن ولم يخص فقال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيتهم) الآية وأيضاً فانه قال (وان هم الا يظنون) فدل على أنه ذمهم على نفي العلم وعلى أنه ليس منهم إلا الظن وهذا حال الجاهل بمعانى الكتاب لاحال من يعلم أنه يكذب فظهر أن هذا الصنف ليس هم الذين يقولون بأفواههم الكذب والباطل ولو أريد ذلك لقليل لا يقولون إلا أمانى لم يقل لا يعلمون الكتاب إلا أمانى بل ذلك الصنف هم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويكتبون الكتاب بأيديهم ليشتروا به ثمناً قليلاً فهم يحرفون معانى الكتاب وهم يحرفون لفظه لمن لم يعرفه ويكذبون في لفظهم وخطهم وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لتبعن سنن من كان

أهل الكتاب كما نقول نحن لمن كان كذلك هو أمي وساذج وعامى وإن كان يحفظ القرآن ويقرأ المكتوب إذا كان لا يعرف معناه وإذا كان الله قد ذم هؤلاء الذين لا يعرفون الكتاب إلا تلاوة دون فهم معانيه كما ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون دل على أن كلا النوعين مذموم الجاهل الذي لا يفهم معاني النصوص والكاذب الذي يحرف الكلم عن مواضعه ويتكلم برأيه ويؤوله بما يضيفه إلى الله فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله ويحملون تلك المقالات التي ابتدعوها هي مقالة الحق وهي التي جاء بها الرسول والتي كان عليها السلف ونحو ذلك ثم يحرفون النصوص التي تعارضها فهؤلاء إذا تعمدوا ذلك وعلموا أن الذي يفعلونه مخالف للرسول فهم من جنس هؤلاء اليهود وهذا يوجد في كثير من الملاحدة ويوجد في بعض الأشياء في غيرهم وأما الذين قصدهم اتباع الرسول باطنا وظاهرا وغلطوا فيما كتبوه وتأولوه فهؤلاء ليسوا من جنسهم لكن وقع بسبب غلطهم ما هو من جنس ذلك الباطل كما قيل إذا زل العالم زل بزلته عالم وهذا حال المتأولين من هذه الأمة وأما رجل مقلد أمي لا يعرف من الكتاب إلا ما يسمعه منهم أو ما يتلو هو ولا يعرف إلا أمانى وقد ذمه الله على ذلك فعلم أن ذم الله الذين لا يعرفون معاني القرآن ولا يتدبرونه ولا يعقلونه كما صرح القرآن بذمهم في غير موضع فيمتنع مع هذا أن يقال إن أكثر القرآن أو كثيرا منه لا يعلمه أحد من الخلق إلا أمانى لا جبريل ولا محمد ولا الصحابة ولا أحد من المسلمين فإن هذا تشبيه لهم بهؤلاء فيما ذمهم الله به فإن قيل فلا يجب على كل مسلم معرفة معنى كل آية قيل نعم لكن معرفة معاني الجميع فرض على الكفاية وعلى كل مسلم معرفة ما لا بد منه وهؤلاء ذمهم الله لانهم لا يعلمون معاني الكتاب إلا تلاوة وليس عندهم الا ظن وهذا يشبه قوله (وانهم لفي شك منه مريب) فإن قيل فقد قال بعض المفسرين الا أمانى الا ما يقولونه بأفواههم كذبا وباطلا وروى هذا عن بعض السلف واختاره الفراء وقال الا أمانى الا أكاذيب المتعلقة قال بعض العرب لابن دأب وهو يحدث أهذا شئ رويته أم تمنيته أى اقتلته فأراد بالا أمانى التي كتبها علماؤهم من قبل أنفسهم ثم أضافوها إلى الله من تغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم الا أمانى يتمنون على الله الباطل والكذب كتولهم (لن تمسنا النار الا أياما معددة) وقولهم (لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى) وقولهم (نحن أبناء الله وأحباؤه) وهذا أيضا

لو عدت لم يعرفوا دينهم ولهذا يوجد أهل السنة يحفظون القرآن والحديث أكثر من أهل البدع وأهل البدع فيهم شبه بأهل الكتاب من بعض الوجوه وقوله (فآمنوا بالله ورسوله التي الأمي) هو أمي بهذا الاعتبار لأنه لا يكتب ولا يقرأ ما في الكتب لا باعتبار أنه لا يقرأ من حفظه بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ والأي في اصطلاح الفقهاء خلاف الفارسي ليس هو خلاف الكاتب بالمعنى الأول ويضون به في الغالب من لا يحسن الفاتحة فقوله تعالى (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) أي لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة لا يفهمون معناها وهذا يتناول من لا يحسن الكتابة ولا القراءة من قبله وإنما يسمع أمانى علما كما قال ابن السائب ويتناول من يقرأ عن ظهر قلبه ولا يقرأ من الكتاب كما قال أبو روق وأبو عبيدة وقد يقال إن قوله لا يعلمون الكتاب أى الخط أى لا يحسنون الخط وإنما يحسنون التلاوة ويتناول أيضا من يحسن الخط ولا يفهم ما يقرأ ويكتبه كما قال ابن عباس وقادة غير عارفين معانى الكتاب يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه والكتاب هذا المراد به الكتاب المنزل وهو التوراة ليس المراد به الخط فإنه قال وإن هم إلا يظنون فهذا يدل على أنه نفى عنهم العلم بمعانى الكتاب والا فكون الرجل لا يكتب بيده لا يستلزم أن يكون لاعلم عنده بل يظن ظنا بل كثير ممن يكتب بيده لا يفهم ما يكتب وكثير ممن لا يكتب يكون عالما يعلم ما يكتبه غيره وأيضا فإن الله ذكر هذا في سياق الذم لهم وليس في كون الرجل لا يخط ذم إذا قام بالواجب وإنما الذم على كونه لا يعقل الكتاب الذى أنزل إليه سواء كتبه وقرأه أو لم يكتبه ولم يقرأه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أو أن يرفع العلم فقال له زياد بن ليلى كيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأه ولنقرئه لساءنا فقال له إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة أولست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فإذا نفى عنهم وهو حديث معروف رواه الترمذى وغيره ولأنه قال تعالى قبل هذا (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) فأولئك عقلوه ثم حرفوه وهم مذمومون سواء كانوا يحفظونه بقلوبهم ويكتبونه ويقرؤنه حفظا وكتابة أو لم يكونوا كذلك فكان من المناسب أن يذكر الذين لا يعقلونه وهم الذين لا يعلمونه إلا أمانى فإن القرآن أنزله الله كتابا متشابها متانى ويذكر فيه الأقسام والأمثال فيستوعب الأقسام فيكون مثانى ويذكر الأمثال فيكون متشابها وهو لاء وإن كانوا يكتبون ويقرؤن فهم أميون من

ثم قال الا أمانى وهذا استثناء منقطع لكن يعلمون أمانى اما بقراءتهم لها واما بسماعهم قراءة غيرهم وان جمل الاستثناء متصلا كان التقدير لا يعلمون الكتاب الا علم أمانى لا علم تلاوة فقط بلا فهم والامانى جمع أمانة وهى التلاوة ومنه قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) قال الشاعر

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

والأميون نسبة الى الأمة قال بعضهم الى الأمة وما عليه العامة فعنى الأمى العامى الذى لا تميز له وقد قال الزجاج هو على خلق الامة التى لم تتعلم فهو على جبلته وقال غيره هو نسبة الى الامة لان الكتابة كانت في الرجال دون النساء ولأنه على ما ولدته أمه والصواب انه نسبة الى أمة كما يقال عامى نسبة الى العامة التى لم تتميز عن عامة بما يمتاز به الخاصة وكذلك هذا لم يتميز عن الامة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة والقراءة ويقال الامى لمن لا يقرأ ولا يكتب كتابا ثم يقال لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرؤنه وان كان قد يكتب ويقرأ ما لم ينزل وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين فانه لم يكن عندهم كتاب منزل من الله قال الله تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا) وقال (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم) وقد كان في العرب كثير ممن يكتب ويقرأ المكتوب وكلهم أميون فلما نزل القرآن عليهم لم يبقوا أميين باعتبار أنهم لا يقرؤن كتابا من حفظهم بل هم يقرؤن القرآن من حفظهم وأناجيلهم في صدورهم لكن بقوا أميين باعتبار أنهم لا يحتاجون الى كتابة دينهم بل قرآهم محفوظ في قلوبهم كما في الصحيح عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت عبادة حنفاء وقال فيه اتى مبتليكم ومبتليكم بأنزلت عليكم كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا فأمتنا ليست مثل أهل الكتاب الذين لا يحفظون كتبهم في قلوبهم بل لو عدت المصاحف كلها كان القرآن محفوظا في قلوب الامة وبهذا الاعتبار فالمسلمون أمة أمية بعد نزول القرآن وحفظه كما في الصحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا أمة أمية لانحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا فلم يقل لا تقرأ كتابا ولا نحفظ بل قال لانكتب ولا نحسب فديننا لا يحتاج أن يكتب ويحسب كما عليه أهل الكتاب من أنهم يعلمون مواقيت صومهم وفطرهم يكتب وحساب ودينهم معلق بالكتب

لا يحكم بشئ وكذلك اذا قيل هو الحاكم بالكتاب فان حكمه فصل يفصل به بين الحق والباطل وهذا انما يكون بالبيان وقد قال تعالى في القرآن (انه لقول فصل) أى فاصل يفصل بين الحق والباطل فكيف يكون فصلا اذا لم يكن الى معرفة معناه سبيل وأيضا فان الله قال (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون) فذم هؤلاء الذين لا يعلمون الكتاب الا أماني كما ذم الذين يحرفون معناه ويكذبون فقال تعالى (أقطعهم أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) الى قوله (أفلا تعقلون) فهذا أحد الصنفين ثم قال تعالى (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني أى تلاوة وان هم الا يظنون) ثم ذم الذين يفترون كذبا يقولون هي من عند الله وما هي من عند الله فقال (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) الى قوله (يكسبون) وهذه الاصناف الثلاثة تستوعب أهل الضلال والبدع فان أهل البدع الذين ذمهم الله ورسوله نوعان أحدهما عالم بالحق يعتمد خلافا والثاني جاهل متبع لغيره فالاولون يتدعون ما يخالف كتاب الله ويقولون هو من عند الله اما أحاديث مفتريات واما تفسير وتأويل للنصوص باطل ويعضدون ذلك بما يدعون من الرأي والعقل وقصدهم بذلك الرياسة والمآكل فهؤلاء يكتبون الكتاب بأيديهم ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم من الباطل وويل لهم مما يكسبون من المال على ذلك وهؤلاء اذا عورضوا بنصوص الكتب الالهية وقيل لهم هذه تخالفكم حرفوا الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة قال الله تعالى (أقطعهم أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) واما النوع الثاني الجهال فهؤلاء الاميون الذين لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون فمن ابن عباس وقتادة في قوله ومنهم أميون أى غير عارفين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظا وقراءة بلا فهم ولا يدرون ما فيه وقوله الا أماني أى تلاوة فهم لا يعلمون فقه الكتاب انما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم قاله المكسائي والزجاج وكذلك قال ابن السائب لا يحسنون قراءة الكتاب ولا كتابته الا أماني الا ما يحذتهم به علماؤهم وقال أبو روق وأبو عبيدة أى تلاوة وقراءة عن ظهر القلب ولا يقرؤها في الكتب ففي هذا القول جمل الأماني التي هي التلاوة تلاوة الاميين أنفسهم وفي ذلك جملة ما يسمعونه من تلاوة علماءهم وكلا القولين حق والآية تعمهما فانه سبحانه وتعالى قال لا يعلمون الكتاب لم يقل لا يقرؤون ولا يسمعون



الآيات الخبرية والاخبار عن اليوم الآخر أو الجنة والنار وعن نفي الشركاء والاولاد عن الله وتسميته بالرحمن فكان عامة انكارهم لما يخبرهم به من صفات الله نفيًا واثباتًا وما يخبرهم به عن اليوم الآخر وقد ذم الله من لا يعقل ذلك ولا يفقهه ولا يتدبره فعلم أن الله يأمر بعقل ذلك وتدبره وقد قال تعالى (ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) وقال (ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) والآية (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) والآية وقد استدل بعضهم بأن الله لم ينف عن غيره علم شيء إلا كان منفرداً به كقوله (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) وقوله (لا يجليها لوقتها الا هو) وقوله (وما يعلم جنود ربك الا هو) فيقال ليس الأمر كذلك بل هذا بحسب العلم المنفي فان كان مما استأثر الله به قيل فيه ذلك وان كان مما علمه بعض عباده ذكر ذلك كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) الى قوله (رصداً) وقوله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقوله (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) وقوله (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه) الى قوله (شهيداً) وقوله (قل ربي أعلم بعتهم ما يعلمهم الا قليل) وقال للملائكة (اني أعلم ما لا تعلمون) وقالت الملائكة (لاعلم لنا الا ما علمتنا) وفي كثير من كلام الصحابة الله ورسوله أعلم وفي الحديث المشهور أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك وأنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول) وأول النزاع النزاع في معاني القرآن فان لم يكن الرسول عالماً بمعانيه امتنع الرد اليه وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبّر عن مجمله وانها تفسر مجمل القرآن من الأمر والخبر وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) الى قوله (فيما اختلفوا فيه) ومن أعظم الاختلاف الاختلاف في المسائل العلمية الخبرية المتعلقة بالايان بالله واليوم الآخر فلا بد أن يكون الكتاب حاكبين الناس فيما اختلفوا فيه من ذلك ويمتنع أن يكون حاكماً ان لم يكن معرفة مضاه ممكنة وقد نصب الله عليه دليلاً والا فالحاكم الذي لا يتين ما في نفسه

على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال النبي صلى الله عليه وسلم إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد فقد عرف تأويلها وهو وقوع الاختلاف والفتن وإن لم يعرف متى يقع وقد لا يعرف صفته ولا حقيقته فإذا وقع عرف العارف أن هذا هو التأويل الذي دلت عليه الآية وغيره قد لا يعرف ذلك أو ينساه بعد ما كان عرفه فلا يعرف أن هذا تأويل القرآن فانه لما نزل قوله تعالى (واقتوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما أراءنا من أهلها وإذا نحن المعنيون بها (واقتوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وأيضا فإن الله قد ذم في كتابه من يسمع القرآن ولا يفقه معناه وذم من لم يتدبره ومدح من يسمعه ويفقهه فقال تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك) الآية فآخبر أنهم كانوا يقولون لاهل العلم ماذا قال الرسول في هذا الوقت المتقدم فدل على ان أهل العلم من الصحابة كانوا يعرفون من معاني كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يعرفه غيرهم وهؤلاء هم الراسخون في العلم الذين يعلمون معاني القرآن بحكمه ومتشابهه وهذا كقوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) فدل على ان العالمين يعقلونها وإن كان غيرهم لا يعقلها والامثال هي ما يمثل به من المتشابه وعقل معناها وهو معرفة تأويلها الذي يعرفه الراسخون في العلم دون غيرهم ويشبه هذا قوله تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد) فلو لا أنهم عرفوا معنى ما أنزل كيف عرفوا انه حق أو باطل وهل يحكم على كلام لم يتصور معناه انه حق أو باطل وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وقال تعالى (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) وقال تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقال (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) وقال (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقال (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) وقال (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا) الى قوله (ومن بيننا وبينك حجاب) فإذا كان كثير من القرآن أو أكثره مما لا يفهم أحد معناه لم يكن المتدبر المعقول الا بعضه وهذا خلاف ما دل عليه القرآن لاسيما عامة ما كان المشركون ينكرونه

على أنهم يعرفون تأويل المحكم ومعلوم أنهم لا يعرفون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه في الآيات المحكمات فدل ذلك على أن عدم العلم بالكيفية لا ينفي العلم بالتأويل الذي هو تفسير الكلام وبيان معناه بل يعلمون تأويل المحكم والمتشابه ولا يعرفون كيفية الرب لا في هذا ولا في هذا فإن قيل هذا يقدر فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذي يراد به التفسير وبين التأويل الذي في كتاب الله تعالى قيل لا يقدر في ذلك فإن معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك في القلب غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج المرادة بذلك الكلام فإن الشيء له وجود في الالهيان ووجود في الالهيان ووجود في اللسان ووجود في البيان فالكلام لفظ له معنى في القلب ويكتب ذلك اللفظ بالخط فاذا عرف الكلام وتصور معناه في القلب وعبر عنه باللسان فهذا غير الحقيقة الموجودة في الخارج وليس كل من عرف الأول عرف عين الثاني مثال ذلك أن أهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وخبره ونعته وهذا معرفة الكلام ومعناه وتفسيره وتأويل ذلك هو نفس محمد المبعوث فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام وكذلك الإنسان قد يعرف الحج والمشاعر كالبيت والمساجد ومنى وعرفة ومزدلفة ويفهم معنى ذلك ولا يعرف الامكنة حتى يشاهدها فيعرف أن الكعبة المشاهدة المذكورة في قوله (ولله على الناس حج البيت) وكذلك أرض عرفات هي المذكورة في قوله (فاذا أفضم من عرفات فاذكروا الله) وكذلك المشعر الحرام هي المزدلفة التي بين مازمي وعرفة ووادي محسر يعرف أنها المذكورة في قوله (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وكذلك الرؤيا يراها الرجل ويذكر له العابر تأويلها يفهمه ويتصوره مثل أن يقول هذا يدل على أنه كان كذا ويكون كذا وكذا ثم إذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا ليس تأويلها نفس علمه وتصوره وكلامه ولهذا قال يوسف الصديق (هذا تأويل رؤياي من قبل) وقال (لا يا بنيكما طعام ترزقانه الا نبأ تكما بتأويله قبل أن يأتكما) فقد أنبأهما بالتأويل قبل أن يأتى التأويل وإن كان التأويل لم يقع بعد وإن كان لا يعرف متى يقع فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في القرآن من الوعد والوعيد وإن كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله) الآية وقال تعالى (لكل نبأ مستقر) فنحن نعلم مستقر نبأ الله وهو الحقيقة التي أخبر الله بها ولا نعلم متى يكون وقد لا نعلم كيفيتها وقدرها وسواء في هذا تأويل المحكم والمتشابه كما قال الله تعالى (قل هو القادر

والبعض الذى تنازع الناس في معناه انما ذم السلف منه تأويلات الجهمية ونفوا علم الناس بكيفيته كقول مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول وكذلك قال سائر أئمة السنة وحينئذ ففرق بين المعنى المعلوم وبين الكيف المجهول فان سمي الكيف تأويلا ساغ أن يقال هذا التأويل لا يعلمه الا الله كما قدمناه أولا وأما اذا جعل معرفة المعنى وتفسيره تأويلا كما يجعل معرفة سائر آيات القرآن تأويلا وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل والصحابة والتابعين ما كانوا يعرفون معنى قوله ( الرحمن على العرش استوى ) ولا يعرفون معنى قوله ( ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ) ولا معنى قوله ( غضب الله عليهم ) بل هذا عندهم بمنزلة الكلام المعجمى الذى لا يفهمه العربى وكذلك اذا قيل كان عندهم قوله تعالى ( وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ) وقوله ( لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ) وقوله ( وكان سميعا بصيرا ) وقوله ( رضى الله عنهم ورضوا عنه ) وقوله ( ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ) وقوله ( وأحسنوا ان الله يحب المحسنين ) وقوله ( وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ) وقوله ( انا جعلناه قرآنا عربيا ) وقوله ( فأجره حتى يسمع كلام الله ) وقوله ( فلما أتاهَا نودى أن بورك من في النار ومن حولها ) وقوله ( هل ينظرون الا أن يأتهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ) وقوله ( وجاء ربك والملك صفا صفا هل ينظرون الا أن يأتهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك ثم استوى الى السماء وهى دخان انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون ) الى أمثال هذه الآيات فمن قال عن جبريل ومحمد صلوات الله عليهما وعن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين والجماعة أنهم كانوا لا يعرفون شيأ من معانى هذه الآيات بل استأثر الله بعلم معناها كما استأثر بعلم وقت الساعة وانما كانوا يقرؤن ألفاظا لا يفهمون لها معنى كما يقرأ الانسان كلاما لا يفهم منه شيأ فقد كذب على القوم والنقول المتواترة عنهم تدل على نقيض هذا وانهم كانوا يفهمون هذا كما يفهمون غيره من القرآن وان كان كنه الرب عز وجل لا يحيط به العباد ولا يحصون ثناء عليه فذاك لا يمنع أن يعلموا من أسمائه وصفاته ما علمهم سبحانه وتعالى كما أنهم اذا علموا أنه بكل شيء عليم وأنه على كل شيء قدير لم يلزم أن يعرفوا كيفية علمه وقدرته واذا بحرفوا أنه حق موجود لم يلزم أن يعرفوا كيفية غايته وهذا مما يستدل به على أن الراسخين يعلمون التأويل فان الناس متفقون

تعالى قال ( منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ) وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء وإنما يعدها آيات الكوفيون وسبب نزول هذه الآية الصحيح يدل على أن غيرها أيضا متشابه ولكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء والرابع أن المتشابه ما اشتبهت معانيه قاله مجاهد وهذا يوافق قول أكثر العلماء وكلهم يتكلم في تفسير هذا المتشابه وبين معناه والخامس أن المتشابه ما تكررت ألفاظه قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال المحكم ما ذكر الله في كتابه من قصص الانبياء ففصله وبينه والمتشابه هو ما اختلفت ألفاظه في قصصهم عند التكرير كما قال في موضع من قصة نوح أحل فيها وقال في موضع آخر اسلك فيها وقال في عصا موسى فإذا هي حية تسعى وفي موضع فإذا هي ثعبان ميين وصاحب هذا القول جعل المتشابه اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى كما يشبهه على حافظ القرآن هذا اللفظ بذلك اللفظ وقد صنف بعضهم في هذا المتشابه لأن القصة الواحدة يتشابه معناها في الموضوعين فاشتبه على القارئ أحد اللفظين بالآخر وهذا التشابه لا ينفي معرفة المعاني بلا ريب ولا يقال في مثل هذا أن الراسخين يختصون بعلم تأويله فهذا القول ان كان صحيحا كان حجة لنا وان كان ضعيفا لم يضرنا السادس أنه ما احتاج الى بيان كما نقل عن أحمد والسابع انه ما احتمل وجوها كما نقل عن الشافعي وأحمد وقد نقل عن أبي الدرداء رضى الله عنه انه قال انك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها وقد صنف الناس كتب الوجوه والنظائر فالنظائر اللفظ الذى اتفق معناه في الموضوعين وأكثر والوجوه الذى اختلف معناه كما يقال الاسماء المتواطئة والمشاركة وان كان بينهما فرق لبسطه موضع آخر وقد قيل هي نظائر في اللفظ ومعانيها مختلفة فتكون كالمشاركة وليس كذلك بل الصواب أن المراد بالوجوه والنظائر هو الأول وقد تكلم المسلمون سلفهم وخلفهم في معاني الوجوه وفيما يحتاج الى بيان وما يحتمل وجوها فلم يقينا أن المسلمين متفقون على أن جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه واعلم أن من قال ان من القرآن كلاما لا يفهم أحد معناه ولا يعرف معناه الا الله فإنه مخالف لاجماع الأمة مع مخالفته للكتاب والسنة والثامن أن المتشابه هو القصص والامثال وهذا أيضا يعرف معناه والتاسع أنه ما يؤمن به ولا يعمل به وهذا أيضا مما يعرف معناه والعاشر قول بعض المتأخرين أن المتشابه آيات الصفات وأحاديث الصفات وهذا أيضا مما يعلم معناه فان أكثر آيات الصفات اتفق المسلمون على أنه يعرف معناه

بالتأويل واما أن يراد بالتأويل التفسير ومعرفة المعنى ويقف على قوله الا الله فهذا خطأ قطعاً يخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين ومن قال ذلك من المتأخرين فانه متناقض يقول ذلك ويقول ما يناقضه وهذا القول يناقض الايمان بالله ورسوله من وجوه كثيرة ويوجب القدح في الرسالة ولا ريب أن الذي قالوه لم يتدبروا لوازمه وحقيقة ما أطلقوه وكان أكبر قصدهم دفع تأويلات أهل البدع المتشابهة وهذا الذي قصده هو حق وكل مسلم يوافقهم عليه لكن لا ندفع باطلاً بباطل آخر ولا نرد بدعة بدعة ولا يرد تفسير أهل الباطل للقرآن بان يقال الرسول والصحابة كانوا لا يعرفون تفسير ما تشابه من القرآن ففي هذا من الظن في الرسول وسلف الأمة ما قد يكون أعظم من خطأ طائفة في تفسير بعض الآيات والعاقل لا يبنى قصراً ويهدم مصراً والقول الثالث أن المتشابه الحروف المقطعة في أوائل السور يروى هذا عن ابن عباس وعلى هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاماً تاماً من الجمل الاسمية والفعلية وانما هي أسماء موقوفة ولهذا لم تعرب فان الاعراب انما يكون بعد العقد والتركيب وانما نطق بها موقوفة كما يقال ا ب ت ولهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الاسم الذي ينطق به فانها في النطق أسماء ولهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاي من زيد قالوا ز ا قال نطقم بالاسم وانما النطق بالحرف زه فهي في اللفظ أسماء وفي الخط حروف مقطعة الم لا تكتب الف لام ميم كما يكتب قول النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات اما أنى لأقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف والحرف في لغة الرسول وأصحابه يتناول الذي يسميه النحاة اسماً وفعلًا وحرفًا ولهذا قال سيبويه في تقسيم الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فانه لما كان معروفاً من اللغة أن الاسم حرف والفعل حرف خص هذا القسم الثالث الذي يطلق النحاة عليه الحرف انه جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وهذه حروف المعاني التي يتألف منها الكلام وأما حروف الهجاء فتلك انما تكتب في صورة الحرف المجرد وينطق بها غير معربة ولا يقال فيها معرب ولا مبنى لان ذلك انما يقال في المؤلف فاذا كان على هذا القول كل ماسوى هذه محكم حصل المقصود فانه ليس المقصود الا معرفة كلام الله وكلام رسوله ثم يقال هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس فان كان معناها معروفاً فقد عرف معنى المتشابه وان لم يكن معروفاً وهو المتشابه كان ماسواها معلوم المعنى وهذا المطلوب وأيضا فان الله

ما احتاج الى بيان وكذلك قال الامام أحمد في رواية وعن الشافعي قال المحكم مالا  
يحتمل من التأويل الاوجها واحدا والمتشابه ما احتمل من التأويل وجوها وكذلك  
قال الامام أحمد وكذلك قال ابن الانباري المحكم ما لم يحتمل من التأويل الاوجها  
واحدا والمتشابه الذي تعوره التأويلات فيقال حينئذ جميع الأمة سلفها وخلفها  
يتكلمون في معاني القرآن التي تحتل التأويلات وهؤلاء الذين ينصرون ان الراسخين  
في العلم لا يعلمون معنى المتشابه هم من أكثر الناس كلاما فيه والأئمة كالشافعي  
وأحمد ومن قبلهم كلهم يتكلمون فيما يحتمل معاني ويرجحون بعضها على بعض بالأدلة  
في جميع مسائل العلم الاصولية والفروعية لا يعرف عن عالم من علماء المسلمين انه قال  
عن نص احتج به محتج في مسألة ان هذا لا يعرف أحد معناه فلا يحتج به ولو قال أحد  
ذلك لقليل له مثل ذلك واذا ادعى في مسائل النزاع المشهورة بين الأئمة ان نصه  
محكم يعلم معناه وان النص الآخر متشابه لا يعلم أحد معناه قوبل بمثل هذه الدعوى  
وهذا بخلاف قول القائل ان من النصوص ما معناه جلي واضح ظاهر لا يحتل الا  
وجها واحدا لا يقع فيه اشتباه ومنها ما فيه خفاء واشتباه يعرف معناه الراسخون في  
العلم فان هذا مستقيم صحيح وحينئذ فالخلف في المتشابه يدل على انه كله يعرف معناه  
فمن قال انه يعرف معناه بين حجة على ذلك وأيضا فذكره السلف والخلف في  
المتشابه يدل على انه كله يعرف معناه فمن قال ان المتشابه هو المنسوخ فعنى المنسوخ  
معروف وهذا القول مأثور عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم  
وابن مسعود وابن عباس وقتادة هم الذين نقل عنهم ان الراسخين في العلم لا يعلمون  
تأويله ومعلوم قطعا باتفاق المسلمين ان الراسخين يعلمون معنى المنسوخ فكان هذا  
الثقل عنهم يناقض ذلك الثقل ويدل على انه كذب ان كان هذا صدقا والا تعارض  
النقلان عنهم والمتواتر عنهم ان الراسخين يعلمون معنى المتشابه والقول الثاني مأثور  
عن جابر بن عبد الله انه قال المحكم ما علم العلماء تأويله والمتشابه ما لم يكن للعلماء الى  
معرفة سبيل كقيام الساعة ومعلوم ان وقت قيام الساعة عما اتفق المسلمون على انه  
لا يعلمه الا الله فاذا أريد بلفظ التأويل هذا كان المراد به لا يعلم وقت تأويله الا الله  
وهذا حق ولا يدل ذلك على انه لا يعرف معنى الخطاب بذلك وكذلك ان أريد  
بالتأويل حقائق ما يوجد وقيل لا يعلم كيفية ذلك الا الله فهذا قد قدمناه وذكر انه على  
قول هؤلاء من وقف عند قوله (وما يعلم تأويله الا الله) هو الذي يجب أن يراد

بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين الذين بلغهم الصحابة معاني القرآن كما بلغوهم ألفاظه ونقلوا هذا كما نقلوا هذا لكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأويلات تخالف مراد الله ورسوله ويدعون أن هذا هو التأويل الذي يعلمه الراسخون وهم مبطلون في ذلك لاسيما تأويلات القرامطة والباطنية الملاحدة وكذلك أهل الكلام المحدث من الجهمية والقدرية وغيرهم ولكن هؤلاء يعترفون بأنهم لا يعلمون التأويل وإنما غايتهم أن يقولوا ظاهر هذه الآية غير مراد ولكن يحتمل أن يراد كذا وأن يراد كذا ولو تأولها الواحد منهم بتأويل معين فهو لا يعلم أنه مراد الله ورسوله بل يجوز أن يكون مراد الله ورسوله عندهم غير ذلك كالتأويلات التي يذكرونها في نصوص الكتاب كما يذكرونه في قوله ( وجاء ربك والملك صفا صفا ) وينزل ربنا ( والرحمن على العرش استوى ) ( وكلم الله موسى تكليما ) وغضب الله عليهم ( وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ) وأمثال ذلك من النصوص فإن غاية ما عندهم يحتمل أن يراد به كذا ويجوز كذا ونحو ذلك وليس هذا علما بالتأويل وكذلك كل من ذكر في نص أقوالا واحتمالات ولم يعرف المراد فانه لم يعرف تفسير ذلك وتأويله وإنما يعرف ذلك من عرف المراد ومن زعم من الملاحدة أن الأدلة السمعية لا تفيد العلم فمضمون مدلولاته لا يعلم أحد تفسير المحكم ولا تفسير المتشابه ولا تأويل ذلك وهذا أقرار منه على نفسه بأنه ليس من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل المتشابه فضلا عن تأويل المحكم فإذا انضم إلى ذلك أن يكون كلامهم في العقليات فيه من السفسطة والتلبيس مالا يكون معه دليل على الحق لم يكن عند هؤلاء لا معرفة بالسمعيات ولا بالعقليات وقد أخبر الله عن أهل النار أنهم قالوا ( لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ) ومدح للذين إذا ذكروا بآياته لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يفقهون ويعقلون وذم للذين لا يفقهون ولا يعقلون في غير موضع من كتابه وأهل البدع المخالفون للكتاب والسنة يدعون العلم والعرفان والتحقيق وهم من أجهل الناس بالسمعيات والعقليات وهم يجعلون ألفاظهم جملة متشابهة تتضمن حقا وباطلا يجعلونها هي الأصول المحكمة ويجعلون معارضها من نصوص الكتاب والسنة من المتشابه الذي لا يعلم معناه عندهم إلا الله وما يتأولونه بالاحتمالات لا يفيد فيجعلون البراهين شبهات والشبهات براهين كما قد بسط ذلك في موضع آخر وقد نقل القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد أنه قال المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتاج إلى بيان والمتشابه



بنص يخالف قولهم لاني مسألة أصلية ولا فرعية الا تأولوا ذلك النص بتأويلات  
متكلفة مستخرجة من جنس تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تأويلات  
الجهمية والقدرية التي تخالفهم فأين هذا من قوهم لا يعلم معاني النصوص المتشابهة الا  
الله واعتبر هذا مما تجد في كتبهم من مناظرتهم للمعتزلة على قولهم بالآيات التي تناقض  
قول هؤلاء مثل أن يحتجوا بقوله (والله لا يحب الفساد) (ولا يرضى لعباده الكفر) (وما  
خلفت الجن والانس الا ليعبدون) (لا تدركه الابصار) (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له  
كن فيكون) (واذ قال ربك للملائكة) ونحو ذلك كيف تجدهم يتأولون هذه النصوص  
بتأويلات غالبها فاسد وإن كان في بعضها حق فإن كان ماتأولوه حقاً دل على أن  
الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه فظهر تناقضهم وإن كان باطلاً فذلك أبعدهم  
وهذا أحمد بن حنبل امام أهل السنة الصابر في المحنة الذي قد صار للمسلمين معياراً  
يفرقون به بين أهل السنة والبدعة لما صنف كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية  
فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله تكام في معاني المتشابه الذي  
اتبعه الزائفون ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله آية آية وبين معناها وفسرها ليبين فساد  
تأويل الزائعين واحتج على أن الله يرى وأن القرآن غير مخلوق وأن الله فوق العرش  
بالحجج العقلية والسمعية ورد ما احتج به النفاة من الحجج العقلية والسمعية وبين معاني  
الآيات التي سماها هو متشابهة وفسرها آية آية وكذلك لما ناظره واحتجوا عليه  
بالنصوص جعل يفسرها آية آية وحديثاً حديثاً وبين فساد ماتأولها عليه الزائفون  
وبين هو معناها ولم يقل أحد أن هذه الآيات والاحاديث لا يفهم معناها الا الله ولا  
قال أحد له ذلك بل الطوائف كلها مجتمعة على إمكان معرفة معناها لكن يتنازعون  
في المراد كما يتنازعون في آيات الأمر والنهي وكذلك تفسير المتشابه من الآيات  
والاحاديث التي يحتج بها الزائفون من الحوارج وغيرهم كقوله لا يزني الزاني حين  
يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الشارب  
الحمر حين يشرب وهو مؤمن وأمثال ذلك ويبطل قول المرجئة والجهمية وقول  
الحوارج والمعتزلة وكل هذه الطوائف تحتج بنصوص المتشابهة على قولها ولم يقل أحد  
لامن أهل السنة ولا من هؤلاء لما يستدل به هو أو يستدل به عليه منازعه هذه  
آيات واحاديث لا يعلم معناها أحد من البشر فامسكوا عن الاستدلال بها وكان الامام  
أحمد ينكر طريقة أهل البدع الذين يفسرون القرآن برأيهم وتأويلهم من غير استدلال

تقم هو وغيره على ابن قتيبة كونه رد على أبي عبيد أشياء من تفسير غريب الحديث وابن قتيبة قد اعتذر عن ذلك وسلك في ذلك مسلك أمثاله من أهل العلم وهو وأمثاله يصيبون تارة ويخطئون أخرى فإن كان المتشابه لا يعلم معناه إلا الله فهم كلهم يجترئون على الله يتكلمون في شيء لا سيل إلى معرفته وإن كان ما ينوه من معاني المتشابه قد أصابوا فيه ولو في كلمة واحدة ظهر خطأهم في قولهم إن المتشابه لا يعلم معناه إلا الله ولا يعلمه أحد من المخلوقين فليختر من ينصر قولهم هذا أو هذا ومعلوم أنهم أصابوا في شيء كثير مما ينصرون به المتشابه وأخطوا في بعض ذلك فيكون تفسيرهم لهذه الآية مما أخطأوا فيه العلم اليقيني فانهم أصابوا في كثير من تفسير المتشابه وكذلك ما نقل عن قتادة من أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه فكتابه في التفسير من أشهر الكتب ونقله ثابت عنه من رواية معمر عنه ورواية سعيد بن أبي عروبة عنه ولهذا كان المصنفون في التفسير عامتهم يذكرون قوله لصحة النقل ومع هذا يفسر القرآن كله محكمه ومتشابه والذي اقتضى شهرة القول عن أهل السنة بأن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ظهور التأويلات الباطلة من أهل البدع والجهمية والقدرية من المعتزلة وغيرهم فصار أولئك يتكلمون في تأويل القرآن برأيهم الفاسد وهذا أصل مغزوف لأهل البدع أنهم يفسرون القرآن برأيهم العقلي وتأويلهم الغوي فتفاسير المعتزلة مملوءة بتأويل النصوص المثبتة للصفات والقدر على غير ما أراد الله ورسوله فانكار السلف والأئمة لهذه التأويلات الفاسدة كما قال الامام أحمد في ما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأويلته على غير تأويله فهذا الذي أنكره السلف والأئمة من التأويل فجاء بعدهم قوم انتسبوا إلى السنة بغير خبرة تامة بها وما يخالفها وظنوا أن المتشابه لا يعلم معناه إلا الله فظنوا أن معنى التأويل هو معناه في اصطلاح المتأخرين وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح فصاروا في موضع يقولون وينصرون أن المتشابه لا يعلم معناه إلا الله ثم يتناقضون في ذلك من وجوه أحدها أنهم يقولون النصوص تجري على ظواهرها ولا يزيدون على المعنى الظاهر منها ولهذا يبطلون كل تأويل يخالف الظاهر ويتررون المعنى الظاهر ويقولون مع هذا أن له تأويلا لا يعلمه إلا الله والتأويل عندهم ما يناقض الظاهر فكيف يكون له تأويل يخالف الظاهر وقد قرر معناه الظاهر وهذا مما أنكره عليهم مناظروهم حتى أنكر ابن عقيل على شيخه القاضي أبي يعلى ومنها أن وجدنا هؤلاء كلهم لا يحتج عليهم

كان يفسر ما تشابه من القرآن كما فسر قوله (فأرسلنا إليها روحنا) وفسر قوله (الله نور السموات والارض) وقوله (واذا أخذ ربك) وتقل ذلك معروف عنه بالاسناد أثبت من تقل هذه القراءة التي لا يعرف لها استند وقد كان يسئل عن التشابه من معنى القرآن فيجيب عنه كما سأله عمرو وسئل عن ليلة القدر وأما قوله ان الله أنزل المجمل ليؤمن به المؤمن فيقال هذا حق لكن هل في الكتاب والسنة أو قول أحد من السلف ان الانبياء والملائكة والصحابة لا يفهمون ذلك الكلام المجمل أم العلماء متفقون على ان المجمل في القرآن يفهم معناه ويعرف ما فيه من الاجمال كما مثل به من وقت الساعة فقد علم المسلمون كلهم معنى الكلام الذي أخبر الله به عن الساعة وانها آتية لا محالة وان الله أقرد بلم وقتها فلم يطلع على ذلك أحدا ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله السائل عن الساعة وهو في الظاهر أعرابي لا يعرف قال له متى الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولم يقل ان الكلام الذي نزل في ذكرها لا يفهمه أحد بل هذا خلاف أجماع المسلمين بل والعقلاء فان اخبار الله عن الساعة واشراطها كلام بين واضح يفهم معناه وكذلك قوله (وقرؤنا بين ذلك كثيرا) قد علم المراد بهذا الخطاب وان الله خلق قرؤنا كثيرة لا يعلم عددهم الا الله كما قال (وما يعلم جنود ربك الا هو) فأى شئ من هذا ما يدل على أن ما أخبر الله به من أمر الايمان بالله واليوم الآخر لا يفهم معناه أحد لا من الملائكة والانبياء ولا الصحابة ولا غيرهم وأما ما ذكر عن عروة فرودة قد عرف من طريقه انه كان لا يفسر عامة آي القرآن الا آيات قليلة رواها عن عائشة ومعلوم انه اذا لم يعرف عروة التفسير لم يلزم انه لا يعرفه غيره من الخلفاء الراشدين وعلماء الصحابة كابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وغيرهم وأما اللغويون الذين يقولون ان الراسخين لا يعلمون معنى التشابه فهم متافضون في ذلك فان هؤلاء كلهم يتكلمون في تفسير كل شئ في القرآن ويتوسعون في القول في ذلك حتى ما منهم أحد الا وقد قال في ذلك أقوالا لم يسبق لها وهي خطأ وابن الانباري الذي بالغ في نصر ذلك القول هو من أكثر الناس كلاما في معاني الآي المتشابهات يذكر فيها من الاقوال ما لم ينقل عن أحد من السلف ويخرج لما يقوله في القرآن بالشاذ من اللغة وهو قصده بذلك الانكار على ابن قتيبة وليس هو أعلم بمعاني القرآن والحديث وتابع للسنة من ابن قتيبة ولا أفقه في ذلك وان كان ابن الانباري من أحفظ الناس للغة لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة وقد

والمعروف عن ابن مسعود أنه كان يقول ما في كتاب الله آية إلا وأنا أعلم فيما إذا أنزلت وقال أبو عبد الرحمن السلمى **حدثنا** الذين كانوا يقرؤنا القرآن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل وهذا أمر مشهور رواه الناس عامة أهل الحديث والتفسير وله أسناد معروف بخلاف ما ذكر من قراءتهما وكذلك ابن عباس قد عرف عنه أنه كان يقول أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا له يعلم تأويل الكتاب فكيف لا يعلم التأويل مع أن قراءة عبد الله أن تأويله إلا عند الله لا تناقض هذا القول فإن نفس التأويل لا يأتي به إلا الله كما قال تعالى (هل ينظرون إلا تأويله) وقال (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) وقد اشتهر عن عامة السلف أن الوعد والوعيد من المتشابه وتأويل ذلك هو مجيء الموعود به وذلك عند الله لا يأتي به إلا هو وليس في القرآن أن علم تأويله إلا عند الله كما قال في الساعة (يسئلونك عن الساعة) أي إنهم يسألونك عن الساعة التي لا يعلمها عند ربى لا يعلمها لوقتها إلا هو فقلت في السموات والأرض لا تأتكم إلا بهة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لأملك لنفسى نقما ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم القيب لاستكترت من الخير وما مسنى السوء) وكذلك لما قال فرعون لموسى فما بال القرون الأولى (قال علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) فلو كانت قراءة ابن مسعود نقي العلم عن الراسخين لكانت أن علم تأويله إلا عند الله لم يقرأ أن تأويله إلا عند الله فإن هذا حق بلا نزاع وأما القراءة الأخرى المروية عن أبي وابن عباس فقد نقل عن ابن عباس ما يناقضه وأخص أصحابه بالتفسير مجاهد وعلى تفسير مجاهد يعتمد أكثر الأئمة كالثوري والشافعي وأحمد بن حنبل والبخارى قال الثوري إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به والشافعي في كتبه أكثر الذى ينقله عن ابن عينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وكذلك البخارى في صحيحه يعتمد على هذا التفسير وقول القائل لا تصح رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد جوابه أن تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصح التفاسير بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصح من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد إلا أن يكون نظره في الصحة ثم معه ما يصدقه وهو قوله عرض المصحف على ابن عباس أفقه عند كل آية وأسأله عنها وأيضا فأبى بن كعب رضى الله عنه قد عرف أنه

فاصل بين ما يجوز أن يعلم معناه بعض الناس وبين ما لا يجوز أن يعلم معناه أحد ولو ذكر ما ذكر انتقض عليه فعلم أن المتشابه ليس هو الذي لا يمكن أحدا معرفة معناه وهذا دليل مستقل في المسئلة وأيضا فقلوله لم يحيطوا بعلمه وكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما ذم لهم على عدم الاحاطة مع التكذيب ولو كان الناس كلهم مشتركين في عدم الاحاطة بعلم المتشابه لم يكن في ذمهم بهذا الوصف فائدة وكان الذم على مجرد التكذيب فان هذا بمنزلة أن يقال أكذبتم بما لم تحيطوا به علما ولا يحيط به علما الا الله ومن كذب بما لا يعلمه الا الله كان أقرب الى العذر من أن يكذب بما يعلمه الناس فلو لم يحيط به علما الراسخون كان ترك هذا الوصف أقرب في ذمهم من ذكره ويتبين هذا بوجه آخر هو دليل في المسئلة وهو أن الله ذم الزائعين بالجهل وسوء القصد فاتهم يقصدون المتشابه يتقون تأويله ولا يعلم تأويله الا الراسخون في العلم وليسوا منهم وهم يقصدون الفتنة لا يقصدون العلم والحق وهذا كقوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) فان المعنى بقوله أسمعهم أفهمهم القرآن يقول لو علم الله فيهم حسن قصد وقبول للحق لأفهمهم القرآن لكن لو أفهمهم لتولوا عن الايمان وقبول الحق لسوء قصدهم فهم جاهلون ظالمون كذلك الذين في قلوبهم زيغ هم مذمومون بسوء القصد مع طلب علم ما ليسوا من أهله وليس اذا عيب هؤلاء على العلم ومنعوه يعاب من حسن قصده وجعله الله من الراسخين في العلم فان قيل فأكثر السلف على أن الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل وكذلك أكثر أهل اللغة يروى هذا عن ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعروة وقتادة وعمر بن عبد العزيز والفراء وأبي عبيد ونعلب وابن الانباري قال ابن الانباري في قراءة عبد الله ان تأويله الا عند الله والراسخون في العلم وفي قراءة أبي بن عباس ويقول الراسخون في العلم قال وقد أنزل الله في كتابه أشياء استأثر بعلمها كقوله تعالى (قل انما علمها عند الله) وقوله (وقرؤنا بين ذلك كثيرا) فأنزل المحكم ليؤمن به المؤمن فيسعد ويكفر به الكافر فيشقى قال ابن الانباري والذي يروى القول الآخر عن مجاهد هو ابن أبي نجيح ولا تصح روايته التفسير عن مجاهد فيقال قول القائل ان أكثر السلف على هذا قول بلا علم فانه لم يثبت عن أحد من الصحابة انه قال ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه بل الثابت عن الصحابة أن المتشابه يعلمه الراسخون وما ذكر من قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب ليس لها اسناد يعرف حتى يحتاج بها

على أن آيات الاحكام يعلم تأويلها وهي نحو خمسمائة آية وسائر القرآن خبر عن الله وأسمائه وصفاته أو عن اليوم الآخر والجنة والنار أو عن القصص وعاقبة أهل الايمان وعاقبة أهل الكفر فان كان هذا هو المتشابه الذي لا يعلم معناه الا الله فجمهور القرآن لا يعرف أحد معناه لا الرسول ولا أحد من الأمة ومعلوم ان هذا مكابرة ظاهرة وأيضا فمعلوم أن العلم بتأويل الرؤيا أصعب من العلم بتأويل الكلام الذي يخبر به فان دلالة الرؤيا على تأويلها دلالة خفية غامضة لا يهتدى لها جمهور الناس بخلاف دلالة لفظ الكلام على معناه فاذا كان الله قد علم عباده تأويل الاحاديث التي يرونها في المنام فلا أن يعلمهم تأويل الكلام العربي المبين الذي ينزله على أنبيائه بطريق الأولى والأحرى قال يعقوب ليوسف ( وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ) وقال يوسف ( رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ) وقال ( لا يأتكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتأويله قبل أن يأتكما ) وأيضا فقد ذم الله الكفار بقوله ( أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ) وقال ( ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أ كذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ) وهذا ذم لمن كذب بما لم يحيط بعلمه فاقاله الناس من الأقوال المختلفة في تفسير القرآن وتأويله ليس لأحد أن يصدق بقول دون قول بلا علم ولا يكذب بشيء منها الا أن يحيط بعلمه وهذا لا يمكن الا اذا عرف الحق الذي أريد بالآية فيعلم أن ماسواه باطل فيكذب بالبطل الذي أحاط بعلمه وأما اذا لم يعرف معناها ولم يحيط بشيء منها علما فلا يجوز له التكذيب بشيء منها مع ان الاقوال المتناقضة بعضها باطل قطعا ويكون حينئذ المكذب بالقرآن كالـكـذب بالاقوال المتناقضة والمكذب بالحق كالـكـذب بالبطل وفساد اللازم يدل على فساد الملزوم وأيضا فانه ان بنى على ما يعتقد من انه لا يعلم معاني الآيات الخبرية الا الله لزمه أن يكذب كل من احتج بآية من القرآن خبرية على شيء من أمور الايمان بالله واليوم الآخر ومن تكلم في تفسير ذلك وكذلك يلزم مثل ذلك في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان قال المتشابه هو بعض الخبريات لزمه أن يبين فصلا يتيين به ما يجوز أن يعلم معناه من آيات القرآن وما لا يجوز أن يعلم معناه بحيث لا يجوز أن يعلم معناه لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد من الصحابة ولا غيرهم ومعلوم انه لا يمكن أحدا ذكر حد

لا يعلمون تأويله وجاء عنه انه قال التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يميز أحد بمجالاته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب وهذا القول يجمع القولين ويبين ان العلماء يعلمون من تفسيره ما لا يعلمه غيرهم وان فيه ما لا يعلمه الا الله قلما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله الا الله وجعل التأويل بمعنى التفسير فهذا خطأ قطعاً وأما التأويل بالمعنى الثالث وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح فهذا الاصطلاح لم يكن بعد عرف في عهد الصحابة بل ولا التابعين بل ولا الأئمة الاربعة ولا كان التكلم بهذا الاصطلاح معروفاً في القرون الثلاثة بل ولا علمت أحداً فيهم خص لفظ التأويل بهذا ولكن لما صار تخصيص لفظ التأويل بهذا شائعاً في عرف كثير من المتأخرين فظنوا ان التأويل في الآية هذا معناه صاروا يعتقدون أن لمتشابه القرآن معاني تخالف ما يفهم منه وفرقوا دينهم بعد ذلك وصاروا شيعاء والمتشابه المذكور الذي كان سبب نزول الآية لا يدل ظاهره على معنى فاسد وانما الخطأ في فهم السامع نعم قد يقال ان مجرد هذا الخطاب لا يبين كمال المطلوب ولكن فرق بين عدم دلالة على المطلوب وبين دلالة على تقيض المطلوب فهذا الثاني هو المنفي بل وليس في القرآن ما يدل على الباطل البتة كما قد بسط في موضعه ولكن كثير من الناس يزعم ان لظاهر الآية معنى اما معنى يعتقدونه واما معنى باطلاً فيحتاج الى تأويله ويكون ما قاله باطلاً لا يدل الآية على معتقده ولا على المعنى الباطل وهذا كثير جداً وهؤلاء هم الذين يجعلون القرآن كثيراً ما يحتاج الى التأويل المحدث وهو صرف اللفظ عن مدلوله الى خلاف مدلوله \* ومما يحتاج به من قال الراسخون في العلم يعلمون التأويل ما ثبت في صحيح البخارى وغيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له وقال اللهم فقها في الدين وعلمه التأويل فقد دعا له بعلم التأويل مطلقاً وابن عباس فسر القرآن كله قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من ثلوه الى آخره أفقه عند كل آية واسأله عنها وكان يقول انا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله وأيضاً فالقول متواترة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تكلم في جميع معاني القرآن من الامر والخبر فله من الكلام في الاسماء والصفات والوعد والوعيد والقصص ومن الكلام في الامر والنهي والاحكام ما يبين انه كان يتكلم في جميع معاني القرآن وأيضاً قد قال ابن مسعود ما من آية في كتاب الله الا وأنا أعلم فيماذا أنزلت. وأيضاً فاتهم متفقون

على معرفة معناه فكيف يقال ان المتشابه لا يعرف معناه لا الملائكة ولا الانبياء ولا أحد من السلف وهو من كلام الله الذي أنزله البنا وأمرنا أن نتدبره ونعقله وأخبر انه بيان وهدى وشفاء ونور وليس المراد من الكلام الا معانيه ولولا المعنى لم يجز التكلم بلفظ لا معنى له وقد قال الحسن بما أنزل الله آية الا وهو يجب أن يعلم فيما ذا أنزلت وما ذا عني بها ومن قال ان سبب نزول الآية سؤال اليهود عن حروف المعجم في ألم بحساب الجمل فهذا نقل باطل أما أولا فلانه من رواية الكلبي وأما ثانيا فهذا قد قيل انهم قالوه في أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وسورة آل عمران انما نزل صدرها متأخرا لما قدم وقد نجران بالنقل المستفيض المتواتر وفيها فرض الحج وانما فرض سنة تسع أو عشر لم يفرض في أول الهجرة بأهراق المسلمين وأما ثالثا فلأن حروف المعجم ودلالة الحرف على بقاء هذه الامة ليس هو من تأويل القرآن الذي استأثر الله بعلمه بل اما أن يقال انه ليس مما أرواه الله بكلامه فلا يقال انه انفراد بعلمه بل دعوى دلالة الحروف على ذلك باطل واما أن يقال بل يدل عليه وقد علم بعض الناس ما يدل عليه وحينئذ فقد علم الناس ذلك أما دعوى دلالة القرآن على ذلك وان أحدا لا يعلمه فهذا هو الباطل وأيضا فإذا كانت الامور العلمية التي أخبر الله بها في القرآن لا يعرفها الرسول كان هذا من أعظم قدح الملاحدة فيه وكان حجة لما يقولونه من انه كان لا يعرف الامور العلمية أو انه كان يعرفها ولم يبينها بل هذا القول يقتضي انه لم يكن يعلمها فان ما لا يعلمه الا الله لا يعلمه النبي ولا غيره وبالجملة فالدلائل الكثيرة توجب القطع ببطلان قول من يقول ان في القرآن آيات لا يعلم معناها الرسول ولا غيره نعم قد يكون في القرآن آيات لا يعلم معناها كثير من العلماء فضلا عن غيرهم وليس ذلك في آية معينة بل قد يشكلى على هذا ما يعرفه هذا وذلك تارة يكون لتفراية اللفظ وتارة لاشتباه المعنى بغيره وتارة لشبهة في نفس الانسان تمنعه من معرفة الحق وتارة لعدم التدبر التام وتارة لغير ذلك من الاسباب فيجب القطع بان قوله (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) أن الصواب قول من يحمله معطوفا ويحمل الواو لمطوف مفرد على مفرد أو يكون كلا القولين حقا وهي قراءتان والتأويل المنفي غير التأويل المثبت وان كان الصواب هو قول من يحمله واو استئناف فيكون التأويل المنفي علمه عن غير الله هو الكيفيات التي لا يعلمها غيره وهذا فيه نظر وابن عباس جاء عنه انه قال انا من الراسخين الذين يعلمون تأويله وجاء عنه ان الراسخين



يستثنى منه شيئاً لا يتدبر ولا قال لا تدبروا المتشابه والتدبر بدون الفهم ممتنع ولو كان من القرآن مالا يتدبر لم يعرف فإن الله لم يميز المتشابه بمحد ظاهر حتى يحتجب تدبره وهذا أيضاً مما يحتجون به ويقولون المتشابه أمر نسبي إضافي فقد يشتهى على هذا مالا يشتهى على غيره قالوا لأن الله أخبر أن القرآن بيان وهدى وشفاء ونور ولم يستثن منه شيئاً عن هذا الوصف وهذا ممتنع بدون فهم المعنى قالوا ولأن من العظيم أن يقال إن الله أنزل على نبيه كلاماً لم يكن يفهم معناه لاهو ولا جبريل بل وعلى قول هؤلاء كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث بأحاديث الصفات والقدر والمعاد ونحو ذلك مما هو نظير متشابه القرآن عندهم ولم يكن يعرف معنى ما يقوله وهذا لا يظن بأقل الناس وأيضاً فالكلام إنما المقصود به الإفهام فإذا لم يقصد به ذلك كان عبثاً وباطلاً والله تعالى قد نزه نفسه عن فعل الباطل والعبث فكيف يقول الباطل والعبث ويتكلم بكلام نزله على خلقه لا يريد به إفهامهم وهذا من أقوى حجج الملحدين وأيضاً فإني في القرآن آية إلا وقد تكلم الصحابة والتابعون لهم في معانيها وبينوا ذلك وإذا قيل فقد يختلفون في بعض ذلك قيل كما قد يختلفون في آيات الأمر والنهي مما اتفق المسلمون على أن الراسخين في العلم يعلمون معانيها وهذا أيضاً مما يدل على أن الراسخين في العلم يعلمون تفسير المتشابه فإن المتشابه قد يكون في آيات الأمر والنهي كما يكون في آيات الخبر وتلك مما اتفق العلماء على معرفة الراسخين لمعانيها فكذلك الأخرى فإنه على قول النفاة لم يعلم معنى المتشابه إلا الله لا ملك ولا رسول ولا عالم وهذا خلاف إجماع المسلمين في متشابه الأمر والنهي وأيضاً فلفظ التأويل يكون للمحكم كما يكون للمتشابه كما دل القرآن والسنة وأقوال الصحابة على ذلك وهم يعلمون معنى المحكم فكذلك معنى المتشابه وأي فضيلة في المتشابه حتى ينفرد الله بعلم معناه والمحكم أفضل منه وقد بين معناه لعباده فأى فضيلة في المتشابه حتى يستأثر الله بعلم معناه وما استأثر الله بعلمه كوقت الساعة لم ينزل خطاباً ولم يذكر في القرآن آية تدل على وقت الساعة ونحن نعلم أن الله استأثر بأشياء لم يطلع عباده عليها وإنما النزاع في كلام أنزله وأخبر أنه هدى وبيان وشفاء وأمر بتدبره ثم يقال إن منه مالا يعرف معناه إلا الله ولم يبين الله ولا رسوله ذلك القدر الذي لا يعرف أحد معناه ولهذا صار كل من أعرض عن آيات لا يؤمن بمعانيها يحملها من المتشابه بمجرد دعواه ثم سبب نزول الآية قصة أهل نجران وقد اجتجوا بقوله أنا ونحن وبقوله كلمة منه وروح منه وهذا قد اتفق المسلمون

يطلبون المتشابه ويقصدونه دون المحكم مثل المستتبع للشيء الذي يتجراه ويقصده وهذا فعل من قصده الفتنة وأما من سأل عن معنى المتشابه ليعرفه ويزيل ما عرض له من الشبهة وهو عالم بالمحكم متبع له مؤمن بالمتشابه لا يقصد فتنة فهذا لم يذمه الله وهكذا كان الصحابة يقولون رضى الله عنهم مثل الأثر المعروف الذي رواه إبراهيم ابن يعقوب الجوزجاني حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا بقية ثنا عتبة بن أبي حكيم ثنى عمارة بن راشد الكنانى عن زياد عن معاذ بن جبل قال يقرأ القرآن رجلان فرجل له فيه هوى ونية يفليه فى الرأس يلتمس أن يجد فيه أمرا يخرج به على الناس أولئك شرار أمتهم أولئك يعمى الله عليهم سبل الهدى ورجل يقرأه ليس فيه هوى ولا نية يفليه فى الرأس فأتين له منه عمل به وما اشتبه عليه وكله الى الله ليتفقهن أولئك فقها مافقه قوم قط حتى لو أن أحدهم مكث عشرين سنة فليعشن الله له من يبين له الآية التى أشكلت عليه أو يفهمه إياها من قبل نفسه قال بقية استهدى ابن عيينة حديث عتبة هذا فهذا معاذ يذم من اتبع المتشابه لقصده الفتنة وأما من قصده الفقه فقد أخبر أن الله لا بد أن يفقه المتشابه فقها مافقه قوم قط قالوا والدليل على ذلك أن الصحابة كانوا إذا عرض لأحدهم شبهة في آية أو حديث سأل عن ذلك كما سأل عمر فقال ألم تكن تحدثنا أنا تأتى البيت ونطوف به وسأله أيضا عمر ما بالنا نقصر الصلاة وقد آمننا ولما نزل قوله (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق عليهم وقالوا أننا لم نظلم أنفسنا حتى بين لهم ولما نزل قوله (وان تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) شق عليهم حتى بين لهم الحكمة في ذلك ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب قالت عائشة ألم يقل الله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال إنما ذلك العرض قالوا والدليل على ما قلناه إجماع السلف فأنهم فسروا جميع القرآن وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته أفقه عند كل آية وأسأله عندها وتلقوا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن عن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا وكلام أهل التفسير من الصحابة والتابعين شامل لجميع القرآن الا ما قد يشكل على بعضهم فيتف فيه لأن أحدا من الناس لا يعلمه لكن لانه هو لم يعلمه وأيضا فان الله قد أمر بتدبر القرآن مطلقا ولم

صلى الله عليه وسلم فصارت مسألة نزاع فترد الى الله والرسول وأولئك احتجوا بانه قرن ابتغاء الفتنة بابتغاء تأويله وبأن النبي صلى الله عليه وسلم ذم مبتغى المتشابه وقال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأحدروهم ولهذا ضرب عمر بن الخطاب رضى الله عنه صبيح بن عسل لما سأله عن المتشابه ولانه قال والراسخون في العلم يقولون ولو كانت الواو واو عطف مفرد على مفرد لا واو استئناف التى تعطف جملة على جملة لقال ويقولون فاجاب الآخرون عن هذا بان الله قال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) ثم قال (والذين تيوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون) ثم قال (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) قالوا فهذا عطف مفرد على مفرد والفعل حال من المعطوف فقط وهو نظير قوله (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) قالوا ولأنه لو كان المراد مجرد الوصف بالايمان لم يخص الراسخين بل قال والمؤمنون يقولون آمنا به فان كل مؤمن يجب عليه أن يؤمن به فلما خص الراسخين في العلم بالذكور علم أنهم امتازوا بعلم تأويله فعلموه لانهم عالمون وآمنوا به لانهم يؤمنون وكان ايمانهم به مع العلم أكمل في الوصف وقد قال عقب ذلك وما يذكر الا أولو الاباب وهذا يدل على أن هنا تذكرة يختص به أولو الاباب فان كان ماتم الايمان بالالفاظ فلا يذكر لما يدلهم على ما أريد بالمتشابه ونظير هذا قوله في الآية الاخرى ( لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) فلما وصفهم بالرسوخ في العلم وانهم يؤمنون قرن بهم المؤمنين فلو أريد هنا مجرد الايمان لقال والراسخون في العلم والمؤمنون يقولون آمنا به كما قال في تلك الآية لما كان مراده مجرد الاخبار بالايمان جمع بين الطائفتين قالوا وأما الذم فاما وقع على من يتبع المتشابه لابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وهو حال أهل القصد الفاسد الذين يريدون القدح في القرآن فلا يطلبون الا المتشابه لافساد القلوب وهى فتنها به ويطلبون تأويله وليس طلبهم لتأويله لاجل العلم والاهتداء بل لاجل الفتنة وكذلك صبيح بن عسل ضربه عمر لان قصده بالسؤال عن المتشابه كان لابتغاء الفتنة وهذا كمن يورد أسئلة اشكالات على كلام الغير ويقول ماذا أريد بكذا وغرضه التشكيك والظعن فيه ليس غرضه معرفة الحق وهؤلاء هم الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ولهذا يتبعون أى

منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم والمقصود هنا أنه لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاماً لا معنى له ولا يجوز أن يكون الرسول وجميع الأمة لا يعلمون معناه كما يقول ذلك من يقوله من المتأخرين وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ سواء كان مع هذا تأويل القرآن لا يعلمه الراسخون أو كان للتأويل معنيان يعلمون أحدهما ولا يعلمون الآخر وإذا دار الأمر بين القول بأن الرسول كان لا يعلم معنى المتشابه من القرآن وبين أن يقال الراسخون في العلم يعلمون كان هذا الإثبات خيراً من ذلك التفي فان معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على أن جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره وهذا مما يجب القطع به وليس معنا قاطع على أن الراسخين في العلم لا يعلمون تفسير المتشابه فان السلف قد قال كثير منهم أنهم يعملون تأويله منهم مجاهد مع جلالة قدره والربيع بن أنس ومحمد بن جعفر بن الزبير ونقلوا ذلك عن ابن عباس وأنه قال أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله وقول أحمد فيما كتبه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأويله على غير تأويله وقوله عن الجهمية أنها تأولت ثلاث آيات من المتشابه ثم تكلم على معناها دليل على أن المتشابه عنده تعرف العلماء معناه وإن المذموم تأويله على غير تأويله فاما تفسيره المطابق لمعناه فهذا محمود ليس بمذموم وهذا يقتضي أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه عنده وهو التفسير في لغة السلف ولهذا لم يقل أحد ولا غيره من السلف أن في القرآن آيات لا يعرف الرسول ولا غيره معناها بل يتلون لفظاً لا يعرفون معناه وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقي وغيرهما وابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد واسحق والمتصيرين لمذاهب السنة المشهورة وله في ذلك مصنفات متعددة قال فيه صاحب كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث وهو أحد اعلام الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفاً وأحسنهم تصنيفاً له زهاء ثلاثمائة مصنف وكان يميل إلى مذهب أحمد واسحق وكان معاصراً لآبراهيم الحربي ومحمد بن نصر المروزي وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون من استجاز الواقعة في ابن قتيبة يتهم بالزندقة ويقولون كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لاخير فيه قلت ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة وقد نقل عن ابن عباس أيضاً القول الآخر ونقل ذلك عن غيره من الصحابة وطائفة من التابعين ولم يذكر هؤلاء على قولهم نصاً عن رسول الله

وغير ذلك من المعاني مع ان معناه قد نسخ ومن جعل المتشابه كل مالا يعمل به من المنسوخ والاقسام والامثال فلان ذلك متشابه ولم يؤمر الناس بتفصيله بل يكفيهم الايمان المجمل به بخلاف المعمول به فانه لا بد فيه من العلم المفصل وهذا بيان لما يلزم كل الأمة فانهم يلزمهم معرفة ما يعمل به مفصلا ليعملوا به وما أخبروا به فليس عليهم معرفته بل عليهم الايمان به وان كان العلم به حسنا أو فرضا على الكفاية فليس فرضا على الاعيان بخلاف ما يعمل به ففرض على كل انسان معرفة ما يلزمه من العمل مفصلا وليس عليه معرفة العمليات مفصلا وقد روى عن مجاهد وعكرمة المحكم ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك متشابه يصدق بعضه بعضا فعلى هذا القول يكون المتشابه هو المذكور في قوله كتابا متشابها مثنى والحلال مخالف للحرام وهذا على قول مجاهد ان العلماء يعلمون تأويله لكن تفسير المتشابه بهذا مع ان كل القرآن متشابه وهنا خص البعض به يستدل به على ضعف هذا القول وكذلك قوله يتبعون ما تشابه منه لو اريد بالمتشابه تصديق بعضه بعضا لكان اتباع ذلك غير محذور وليس في كونه يصدق بعضه بعضا ما يمنع ابتغاء تأويله وقد يحتاج لهذا القول بقوله متشابها فجعلها أنفسها متشابها وهذا يقتضي ان بعضها يشبه بعضا ليست مشابهة لغيرها وبجواب عن هذا بان اللفظ اذا ذكر في موضعين معينين صار من المتشابه كقوله انا ونحن المذكور في سبب نزول الآية وقد ذكر محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير لما ذكر قصة أهل نجران ونزول الآية قال المحكم مالا يحتمل من التأويل الا وجهها واحدا والمتشابه مالا يحتمل في التأويل أوجهها ومعنى هذا ان ذلك اللفظ المحكم لا يكون تأويله في الخارج الا شئ واحد وأما المتشابه فيكون له تأويلات متعددة لكن لم يرد الله الا واحدا منها وسياق الآية يدل على المراد وحينئذ فالراسخون في العلم يعلمون المراد من هذا كما يعلمون المراد من المحكم لكن نفس التأويل الذي هو الحقيقة ووقت الحوادث ونحو ذلك لا يعلمونه لامن هذا ولا من هذا وقد قيل ان نصارى نجران احتجوا بقوله كلمة الله وروح منه ولفظ كلمة الله يراد به الكلام ويراد به المخلوق بالكلام وروح منه يراد به ابتداء الغاية ويراد به التبعية فعلى هذا اذا قيل تأويله لا يعلمه الا الله المراد به الحقيقة أي لا يعلمون كيف خلق عيسى بالكلمة ولا كيف أرسل اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا ونفخ فيها من روحه وفي الصحيح صحيح البخاري عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه

فيعرفون الحساب والميزان والثواب والعقاب وغير ذلك مما أخبر الله به ورسوله معرفة بحجة فيكونون عالمين بالتأويل وهو ما يقع في الخارج على هذا الوجه ولا يعلمونه مفصلا اذ هم لا يعرفون كيفيته وحقيقته اذ ذلك ليس مثل الذي علموه في الدنيا وشاهدوه وعلى هذا يصح أن يقال علموا تأويله وهو معرفة تفسيره ويصح أن يقال لم يعلموا تأويله وكلا القراءتين حق وعلى قراءة النفي هل يقال أيضا ان المحكم له تأويل لا يعلمون تفصيله فان قوله وما يعلم تأويل ما تشابه منه الا الله لا يدل على أن غيره يعلم تأويل المحكم بل قد يقال ان من المحكم أيضا ما لا يعلم تأويله الا الله وانما خص المتشابه بالذكر لان أولئك طلبوا علم تأويله أو يقال بل المحكم يعلمون تأويله لكن لا يعلمون وقت تأويله ومكانه وصفته وقد قال كثير من السلف ان المحكم ما يعمل به والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به كما يجيء في كثير من الآثار ونعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه وكما جاء عن ابن مسعود وغيره في قوله (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) قال يخللون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه وكلام السلف في ذلك يدل على أن المتشابه أمر اضافي فقد يشته على هذا ما لا يشته على هذا فعلى كل احد أن يعمل بما استبان له ويكل ما شته عليه الى الله كقول أبيّ ابن كعب رضى الله عنه في الحديث الذي رواه الثوري عن مغيرة وليس بالضبي عن أبي العالية قال قيل لابيّ بن كعب أوصني فقال اتخذ كتاب الله اماما ارض به قاضيا وحا كما هو الذي استخلف فيكم رسوله شفيح مطاع وشاهد لايتهم فيه خبر ما قبلكم وخبر ما بينكم وذكر ما قبلكم وذكر ما فيكم وقال سفيان عن رجل حدثناه عن ابن أبزي عن أبيّ قال فما استبان لك فاعمل به وما شبه عليك فآمن به وكله الى عالمه فمنهم من قال المتشابه هو المنسوخ ومنهم من جملة الخبريات مطلقة فمن قتادة والربيع والضحاك والسدي المحكم الناسخ الذي يعمل به والمتشابه المنسوخ يؤمن به ولا يعمل به وكذلك في تفسير العوفي عن ابن عباس فقال محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخة ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به أما القول الاول فهو والله أعلم مأخوذ من قوله (فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) فقابل بين المنسوخ وبين المحكم وهو سبحانه انما أراد نسخ ما ألقاه الشيطان لم يرد نسخ ما أنزله لكن هم جعلوا جنس المنسوخ متشابهها لانه يشبه غيره في التلاوة والنظم وانه كلام الله وقرآن ومعجز

تأويل كما قال (هل ينظرون الا تأويله) ومع هذا فذلك التأويل لا يعلم وقته وكيفيته الا الله وقد يقال بل التأويل للمتشابه لانه في الوعد والوعيد وكله متشابه وأيضا فلا يلزم في كل آية ظنها بعض الناس متشابهاً أن تكون من المتشابه فقول أحمد احتجوا بثلاث آيات من المتشابه وقوله ماشكت فيه من متشابه القرآن قد يقال ان هؤلاء أو أن أحد جعل بعض ذلك من المتشابه وليس منه فان قول الله تعالى (منه آيات يحكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) لم يرد به هنا الاحكام العام والتشابه العام الذي يشترك فيه جميع آيات القرآن وهو المذكور في قوله (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) وفي قوله (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) فوصفه هنا كله بأنه متشابه أي متفق غير مختلف يصدق بعضه بعضا وهو عكس المتضاد المختلف المذكور في قوله (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وقوله (انكم لني قول مختلف يؤفك عنه من افك) فان هذا التشابه يعم القرآن كما أن احكام آياته تعمه كله وهنا قد قال (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) فجعل بعضه محكما وبعضه متشابها فصار التشابه له معنيان وله معنى ثالث وهو الاضافي يقال قد اشتبه علينا هذا كقول بني اسرائيل (ان البقر تشابه علينا) وان كان في نفسه متميزا منفصلا بعضه عن بعض وهذا من باب اشتباه الحق بالباطل كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس فدل ذلك على أن من الناس من يعرفها فليست مشتبهة على جميع الناس بل على بعضهم بخلاف ما لا يعلم تأويله الا الله فان الناس كلهم مشتركون في عدم العلم بتأويله ومن هذا ما يروى عن المسيح عليه السلام انه قال الامور ثلاثة أمرتين رشده فاتبعوه وأمرتين غيبي فاجتنبوه وأمر اشتبه عليكم فكلوه الى عالمه فهذا المشتبه على بعض الناس يمكن الآخرين أن يعرفوا الحق فيه ويبينوا الفرق بين المشتبهين وهذا هو الذي أراده من جعل الراسخين يعلمون التأويل فانه جعل المشتبهات في القرآن من هذا الباب الذي يشتبه على بعض الناس دون بعض ويكون بينهما من الفروق المانعة للتشابه ما يعرفه بعض الناس وهذا المعنى صحيح في نفسه لا ينكر ولا زيب أن الراسخين في العلم يعلمون ما اشتبه على غيرهم وقد يكون هذا قراءة في الآية كما تقدم من أن يكون فيها قراءتان لكن لفظ التأويل على هذا يراد به التفسير ووجه ذلك أنهم يعلمون تأويله من حيث الجملة كما يعلمون تأويل المحكم

الآيات آية آية فين أنها ليست متشابهة عنده بل قد عرف معناها وعلى هذا فالراسخون في العلم يعلمون تأويل هذا المتشابه الذي هو تفسيره وأما التأويل الذي هو حقيقة الموجودة في الخارج فذلك لا يعلمها الا الله ولكن قد يقال هذا المتشابه الاضافي ليس هو المتشابه المذكور في القرآن فان ذلك قد أخبر الله انه لا يعلم تأويله الا الله وانما هذا كما يشكل على كثير من الناس آيات لا يفهمون معناها وغيرهم من الناس يعرف معناها وعند هذا فقد يجاب بجوابين أحدهما أن يكون في الآية قراءتان قراءة من يقف على قوله الا الله وقراءة من يقف عند قوله والراسخون في العلم وكنتا القراءتين حق ويراد بالاولى المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله ويراد بالثانية المتشابه الاضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره وهو تأويله ومثل هذا يقع في القرآن كقوله (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وتزول فيه قراءتان مشهورتان بالنفي والاثبات وكل قراءة لها معنى صحيح وكذلك القراءة المشهورة (واتقوا فتنة لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة) وقرأ طائفة من السلف (لتصين الذين ظلموا منكم خاصة) وكلا القراءتين حق فان الذي يتعدى حدود الله هو الظالم والتارك الانكار عليه وقد يجعل غير ظالم لكونه لم يشاركه وقد يجعل ظالما باعتبار ما ترك من الانكار الواجب وعلى هذا قوله (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) فالجنى الله التاهين وأما أولئك الكارهون للذنوب الذين قالوا لم تعظون قوما فلا كثرون على أنهم نجوا لانهم كانوا كارهين فانكروا بحسب قدرتهم والجواب الثاني القطع بان المتشابه المذكور في القرآن هو تشابهها في نفسها وذلك الذي لا يعلم تأويله الا الله وأما الاضافي الموجود في كلام من أراد به المتشابه الاضافي فرادهم أنهم تكلموا فيما اشتباهه معناه وأشكل معناه على بعض الناس وأن الجهمية استدلوا بما اشتباهه عليهم وأشكل وان لم يكن هو من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله وكثيرا ما يشتباه على الرجل مالا يشتباه على غيره ويحتمل كلام الامام أحمد انه لم يرد الا المتشابه في نفسه الذي يلزمه التشابه لم يرد بشيء منه التشابه الاضافي وقال تأويله على غير تأويله أى غير تأويله الذي هو تأويله في نفس الامر وان كان ذلك التأويل لا يعلمه الا الله وأهل العلم يعلمون ان المراد به ذلك التأويل فلا يبقى مشكلا عندهم محتملا لغيره ولهذا كان المتشابه في الخبرات إما عن الله وإما عن الآخرة وتأويل هذا كله لا يعلمه الا الله بل المحكم من القرآن قد يقال له تأويل كما للمتشابه



لخر والله تعالى غنى عن العرش وعن كل شئ بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش وحمله العرش وقد روى أنهم انما أطاقوا حمل العرش لما أمرهم أن يقولوا لا حول ولا قوة الا بالله فصار لفظ الاستواء متشابها يلزمه في حق المخلوقين معاني ينزه الله عنها فتحن نعلم معناه وانه العلو والاعتدال لكن لانعم الكيفية التي اختص بها الرب التي يكون بها مستويا من غير افتقار منه الى العرش بل مع حاجة العرش وكل شئ محتاج من كل وجه وانما لم نهمل في الموجودات ما يستوى على غيره مع غناه عنه وحاجة ذلك المستوى عليه الى المستوى فصار متشابها من هذا الوجه فان بين اللفظين والمعنيين قدرا مشتركا وبينهما قدرا فارقا هو مراد في كل منهما ونحن لانعرف الفارق الذي امتاز الرب به فصرنا نعرفه من وجه ونجهله من وجه وذلك هو تأويله والاول هو تفسيره وكذلك ما أخبر الله به في الجنة من المطاعم والمشارب والملابس كالبين والسل والخمر والماء فانا لانعرف لبنا الا مخلوقا من ماشية يخرج من بين فرث ودم واذا بقي أياما يتغير طعمه ولا نعرف عسلا الا من نحل تصنعه في بيوت الشمع المسدسة فليس هو عسلا مصفى ولا نعرف حريرا الا من دود القز وهو يبلى وقد علمنا أن ما وعد الله به عباده ليس مماثلا لهذه لافي المادة ولا في الصورة والحقيقة بل له حقيقة تخالف حقيقة هذه وذلك هو من التأويل الذي لانعلمه نحن قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء لكن يقال فالملائكة قد تعلم هذا فيقال هي لانعلم ما لم يخلق بعد ولا تعلم كل ما في الجنة وأيضا فن النعم مالا نعرفه الملائكة والتأويل يتناول هذا كله واذا قدرنا أنها لاتعرف مالا نعرفه فذاك لا يكون من المتشابه عندها ويكون من المتشابه عندنا فان المتشابه قد يراد به ماهو صفة لازمة للآية وقد يراد به ماهو من الامور النسبية فقد يكون متشابها عند هذا مالا يكون متشابها عند هذا وكلام الامام أحمد وغيره من السلف يحتمل أن يراد به هذا فان أحمد ذكر في رده على الجهمية انها احتجت بثلاث آيات من المتشابه قوله (وهو الله في السموات وفي الارض) وقوله (ليس كمثل شئ) وقوله (لاتدركه الابصار) وقد فسر أحمد قوله (وهو الله في السموات وفي الارض) فاذا كانت هذه الآيات مما علمنا معناها لم تكن متشابها عندنا وهي متشابها عند من احتج بها وكان عليه أن يردها هو الى ما يعرفه من الحكم وكذلك قال أحمد في ترجمة كتابه الذي صنفه في الحبس وهو الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله ثم فسر أحمد تلك

ذلك أهل التفسير وأهل السيرة وهو من المشهور بل المتواتر فانه من المتواتر ان نصارى نجران قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى المباحلة المذكورة في سورة آل عمران فافروا بالجزية ولم يباهلوه وصدر آل عمران نزل بسبب ماجرى ولهذا عامتها في أمر المسيح وذكروا أنهم احتجوا بما في القرآن من لفظ انا ونحن ونحو ذلك على أن الآلهة ثلاثة فاتبعوا المتشابه وتركوا المحكم الذى في القرآن من أن الاله واحد ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فانهم قصدوا بذلك الفتنة وهى فتنة القلوب بالكفر وابتغاء تأويل لفظ انا ونحن وما يعلم تأويل هذه الاسماء الا الله لان هذه الاسماء انما تقال للواحد الذى له أعوان اما أن يكونوا شركاء له واما أن يكونوا بمالك له ولهذا صارت متشابهة فان الذى معه شركاء يقول فعلنا نحن كذا وانا نفعل نحن كذا وهذا ممتنع في حق الله تعالى والذى له ممالك ومطيعون يطيعونه كالملك يقول فعلنا كذا أى انا فعلت باهل ملكى وملكى وكل ماسوى الله مخلوق له مملوك له وهو سبحانه يدبر أمر العالم بنفسه وملائكته التى هى رسله في خلقه وأمره وهو سبحانه أحق من قال انا ونحن بهذا الاعتبار فان ماسواه ليس له ملك تام ولا أمر مطاع طاعة تامة فهو المستحق أن يقول انا ونحن والملوك لهم شبه بهذا فصار فيه أيضا من المتشابه معنى آخر ولكن الذى ثبت لله من هذا الاختصاص لا يماثله فيه شئ وتأويل ذلك معرفة ملائكته وصفاتهم واقدارهم وكيف يدبرهم أمر السماء والارض وقد قال تعالى (وما يعلم جنود ربك الا هو) فهذا التأويل لهذا المتشابه لا يعلمه الا هو وان علمنا تفسيره ومعناه لكن لم نعلم تأويله الواقع في الخارج بخلاف قوله (الله الذى خلق) فانها آية محكمة ليس فيها تشابه فان هذا الاسم مختص بالله ليس مثل انا ونحن التى تقال لمن له شركاء ولمن له أعوان يحتاج اليهم والله تعالى منزّه عن هذا وهذا كما قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) وقال (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبرا) فالمنى الذى يراد به هذا في حق المخلوقين لا يجوز أن يكون نظيره ثابتا لله فلهذا صار متشابهها وكذلك قوله (ثم استوى على العرش) فانه قد قال (واستوت على الجودى) (واستوى على سوقه) وقال (فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك) وقال (لتستووا على ظهوره) فهذا الاستواء كله يتضمن حاجة المستوى الى المستوى عليه وانه لو عدم من تحته

أحمد لما قال استووا وقوله

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق  
هو من هذا الباب فان المراد به بشر بن مروان واستواؤه عليها أى على كرسى ملكها  
لم يرد بذلك مجرد الاستيلاء بل استواء منه عليها اذ لو كان كذلك لكان عبد الملك  
الذى هو الخليفة قد استوى أيضا على العراق وعلى سائر مملكة الاسلام ولكان عمر  
ابن الخطاب قد استوى على العراق وخراسان والشام ومصر وسائر ما فتحه ولكان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استوى على اليمن وغيرها مما فتحه ومعلوم انه لم  
يوجد في كلامهم استعمال الاستواء في شئ من هذا وانما قيل فيمن استوى بنفسه  
على بلد فانه مستو على سرير ملكه كما يقال جلس فلان على السرير وقعد على التخت  
ومنه قوله (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) وقوله (انى وجدت امرأة تملكهم  
وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم) وقول الزمخشري وغيره استوى على كذا  
بمعنى ملك دعوى مجردة فليس لها شاهد في كلام العرب ولو قدر ذلك لكان هذا  
المعنى باطلا في استواء الله على العرش لانه أخبر انه خلق السموات والارض في ستة  
أيام ثم استوى على العرش وقد أخبر أن العرش كان موجودا قبل خلق السموات  
والارض كما دل على ذلك الكتاب والسنة وحيثئذ فهو من حين خلق العرش مالك  
له مستول عليه فكيف يكون الاستواء عليه مؤخرا عن خلق السموات والارض  
وأيا فهو مالك لكل شئ مستول عليه لا يخص العرش بالاستواء وليس هذا اختصاصه  
بالربوبية في قوله رب العرش فانه قد يخص لعظمته ولكن يجوز ذلك في سائر  
المخلوقات فيقال رب العرش ورب كل شئ وأما الاستواء المختص بالعرش فلا يقال  
استوى على العرش وعلى كل شئ ولا استعمل ذلك أحد من المسلمين في كل شئ  
ولا وجد في كتاب ولا سنة كما استعمل لفظ الربوبية في العرش خاصة وفي كل شئ  
عامة وكذلك لفظ الخلق ونحوه من الالفاظ التى تخص وتعم كقوله تعالى (اقرأ  
باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق) فالاستواء من الالفاظ المختصة بالعرش  
لاتضاف الى غيره لخصوصا ولا عموما وهذا مبسوط في موضع آخر وانما الغرض  
بيان صواب كلام السلف في قولهم الاستواء معلوم بخلاف من جعل هذا اللفظ له  
بضعة عشر معنى كما ذكر ذلك ابن عربى المعافى يبين هذا أن سبب نزول هذه الآية  
كان قدوم نصارى نجران ومناظرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في أمر المسيح كما ذكر

وعد الله به عباده المؤمنين لاتعلمه نفس هو من التأويل الذى لا يعلمه الا الله وكذلك وقت الساعة لا يعلمه الا الله واشراطها وكذلك كيفيات ما يكون فيها من الحساب والصراط والميزان والحوض والثواب والعقاب لا يعلم كيفيته الا الله فانه لم يخلق بعد حتى تعلمه الملائكة ولاله نظير مطابق من كل وجه حتى يعلم به فهو من التأويل المتشابه الذى لا يعلمه الا الله وكذلك ما أخبر به الرب عن نفسه مثل استوائه على عرشه وسمعه وبصره وكلامه وغير ذلك فان كيفيات ذلك لا يعلمها الا الله كما قال ربعة بن أبى عبد الرحمن ومالك بن أنس وسائر أهل العلم تلقوا هذا الكلام عنهما بالقبول لما قيل الرحمن على العرش استوى كيف استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة هذا لفظ مالك فاخبر أن الاستواء معلوم وهذا تفسير اللفظ وأخبر ان الكيف مجهول وهذا هو الكيفية التى استأثر الله بعلمها وكذلك سائر السلف كالماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما يبينون ان العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه فالكيفية هى التأويل الذى لا يعلمه الا الله وأما نفس المعنى الذى بينه الله فيعلمه الناس كل على قدر فهمه فانهم يفهمون معنى السمع ومعنى البصر وان مفهوم هذا ليس مفهوم هذا ويعرفون الفرق بينهما وبين العليم والقدير وان كانوا لا يعرفون كيفية سمعه وبصره بل الروح التى يعرفونها من حيث الجملة ولا يعرفون كيفيتها كذلك يعلمون معنى الاستواء على العرش وأنه يتضمن علو الرب على عرشه وارتفاعه عليه كما فسره بذلك السلف قبلهم وهذا معنى معروف من اللفظ لا يمتثل في اللغة غيره كما قد بسط في موضعه ولهذا قال مالك الاستواء معلوم ومن قال الاستواء له معان متعددة فقد أجهل كلامه فانهم يقولون استوى فقط ولا يصلونه بحرف وهذا له معنى ويقولون استوى على كذا وله معنى واستوى الى كذا وله معنى واستوى مع كذا وله معنى فتنوع معانيه بحسب صلاته وأما استوى على كذا فليس في القرآن ولغة العرب المعروفة الا بمعنى واحد قال تعالى (فآزره فاستغلف فاستوى على سوقه) وقال (واستوت على الجودى) وقال (لتستوتوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استوتتم عليه) وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم بدابة ليركبها فلما وضع رجله في المنفرز قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله وقال ابن عمر أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج لما استوى على بعيره وهذا المعنى يتضمن شيئين علوه على ما استوى عليه واعتداله أيضا فلا يسمون المائل على الشيء مستويا عليه ومنه حديث الخليل بن

فين المعنى ولم يرد أن نفس الجزء هو نفس النبأ وعن السدى قال لكل نبا مستقر  
 أى ميعاد وعدتكموه فسيأتيكم حتى تعرفونه وعن عطاء لكل نبا مستقر تؤخر  
 عقوبته ليعمل ذنبه فإذا عمل ذنبه عاقبه أى لا يعاقب بالوعيد حتى يفعل الذنب الذى  
 توعده عليه ومنه قول كثير من السلف في آيات هذه ذهب تأويلها وهذه لم يأت  
 تأويلها مثل ما روى أبو الاشهب عن الحسن والربيع عن أبى العالية أن هذه الآية  
 قرئت على ابن مسعود (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الآية) فقال ابن مسعود ليس  
 هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال ان القرآن  
 نزل حيث نزل فنه أى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه أى وقع تأويلهن على  
 عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه أى وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم بيسير  
 ومنه أى يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه أى يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه أى يقع  
 تأويلهن يوم القيامة ماذكر من الحساب والجنة والنار فادامت قلوبكم وأهوائكم  
 واحدة ولم تلبسوا شيئا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وأنهموا فإذا اختلفت القلوب  
 والأهواء والبسم شيئا وذاق بعضكم بأس بعض فأمرأ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل  
 هذه الآية فابن مسعود رضى الله عنه قد ذكر في هذا الكلام تأويل الامر وتأويل  
 الخبر فهذه الآية عليكم أنفسكم من باب الامر وما ذكر من الحساب والقيامة من باب  
 الخبر وقد تبين أن تأويل الخبر هو وجود الخبر به وتأويل الامر هو فعل المأمور به  
 فالآية التى مضى تأويلها قبل نزولها من باب الخبر يقع الشئ فيذكره الله كما ذكر ما ذكره  
 من قول المشركين للرسول وتكذيبهم له وهى وان مضى تأويلها فهى عبرة ومعناها  
 ثابت في نظيرها ومن هذا قول ابن مسعود خمس قد مضين ومنه قوله تعالى (اقتربت  
 الساعة وانشق القمر) وإذا تبين ذلك فالمتشابه من الامر لابد من معرفة تأويله لانه  
 لابد من فعل المأمور وترك المحذور وذلك لا يمكن الا بعد العلم لكن ليس في القرآن  
 ما يقتضى ان في الامر متشابهات فان قوله وأخر متشابهات قد يراد به من الخبر فالمتشابه  
 من الخبر مثل ما أخبر به في الجنة من اللحم واللبن والماء والحرير والذهب كان بين  
 هذا وبين ما في الدنيا تشابها في اللفظ والمعنى ومع هذا حقيقة ذلك مخالفة لحقيقة هذا  
 وتلك الحقيقة لانها نحن في الدنيا وقد قال الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من  
 قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى أعددت  
 لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا الذى

اختلاف الفقهاء وأهل اللغة في نهيه عن اشتغال الصماء قال والفقهاء اعلم بالتأويل يقول هم أعلم بتأويل ما أمر الله به وما نهى عنه فيعرفون أعيان الأفعال الموجودة التي أمر بها وأعيان الأفعال المحظورة التي نهى عنها وتفسير كلامه ليس هو نفس ما يوجد في الخارج بل هو بيانه وشرحه وكشف معناه فالتفسير من جنس الكلام يفسر الكلام بكلام يوضحه وأما التأويل فهو فعل المأمور به وترك المنهى عنه ليس من جنس الكلام والنوع الثاني الخبر كخبر الرب عن نفسه تعالى بأسمائه وصفاته واخباره عما ذكره لعباده من الوعد والوعيد وهذا هو التأويل المذكور في قوله (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) وهذا كقولهم (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) ومثله (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) وقوله (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدعون) ونظائره متعددة في القرآن وكذلك قوله (أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) فان ما وعدوا به في القرآن لما يأتهم بعد وسوف يأتهم فالتفسير هو الاحاطة بعلمه والتأويل هو نفس ما وعدوا به اذا أتاهم فهم كذبوا بالقرآن الذي لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وقد يحيط الناس بعلمه ولما يأتهم تأويله فالرسول صلى الله عليه وسلم يحيط بعلم ما أنزل الله عليه وان كان تأويله لم يأت بعد وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) الآية قيل انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر) قال بعضهم موضع قرار وحقيقة ومتنهي ينتهي اليه فيبين حقه من باطله وصدقه من كذبه وقال مقاتل لكل خبر يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير وقال ابن السائب لكل قول وفعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه وما كان في الآخرة فسوف يبدونكم وسوف تعلمون وقال الحسن لكل عمل جزاء فمن عمل عملا من الخير جوزى به في الجنة ومن عمل عملا سوا جوزى به في النار وسوف تعلمون ومعنى قول الحسن ان الاعمال قد وقع عليها الوعد والوعيد فالوعد والوعيد عليها هو النبأ الذي له المستقر

ذكر له ما ذكر قال (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) وهذا تأويل فعل ليس هو تأويل قوله والمراد به عاقبة هذه الأفعال بما يؤل إليه مافعلته من مصلحة أهل السفينة ومصلحة أبوى الغلام ومصلحة أهل الجدار وأما قول بعضهم ردكم إلى الله والرسول أحسن من تأويلكم فهذا قد ذكره الزجاج عن بعضهم وهذا من جنس ما ذكر من تلك الآية في لفظ التأويل وهو تفسير له بالأصطلاح الحادث لابلغة العرب فاما قدماء المفسرين فلفظ التأويل والتفسير عندهم سواء كما يقول ابن جرير القول في تأويل هذه الآية أى في تفسيرها ولما كان هذا معنى التأويل عند مجاهد وهو امام التفسير جعل الوقف على قوله والراسخون في العلم فان الراسخين في العلم يعلمون تفسيره وهذا القول اختيار ابن قتيبة وغيره من أهل السنة وكان ابن قتيبة يميل إلى مذهب أحمد واسحق وقد بسط الكلام على ذلك في كتابه في المشكل وغيره وأما متأخرو المفسرين كالثعلبي فيفرون بين التفسير والتأويل قال فعنى التفسير هو التوير وكشف المغلق من المراد بلفظه والتأويل صرف الآية إلى معنى تحتمله يوافق ما قبلها وما بعدها وتكلم في الفرق بينهما بكلام ليس هذا موضعه الا أن التأويل الذى ذكره هو المعنى الثالث المتأخر وأبو الفرج ابن الجوزى يقول اختلف العلماء هل التفسير والتأويل بمعنى واحد أم يختلفان فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى وهذا قول جمهور المفسرين المتقدمين وذهب قوم يميلون إلى الفقه إلى اختلافهما فقالوا التفسير اخراج الشئ عن مقام الخفاء إلى مقام التجلى والتأويل نقل الكلام عن وضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه مارك ظاهر اللفظ فهو مأخوذ من قولك آل الشئ إلى كذا أى صار إليه فهو لاء لا يذكرون للتأويل الا المعنى الاول والثانى وأما التأويل في لغة القرآن فلا يذكرونه وقد عرف ان التأويل في القرآن هو الموجود الذى يؤل إليه الكلام وان كان ذلك موافقا للمعنى الذى يظهر من اللفظ بل لا يعرف في القرآن لفظ التأويل مخالفا لما يدل عليه اللفظ خلاف اصطلاح المتأخرين والكلام نوعان انشاء واخبار فالانشاء الأمر والنهى والاباحة وتأويل الأمر والنهى نفس فعل المأمور ونفس ترك المحظور كما في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبمحمدك اللهم اغفر لى تأويل القرآن فكأن هذا الكلام تأويل قوله فسيح بمحمد ربك واستغفره قال ابن عينة السنة تأويل الأمر والنهى وقال أبو عبيد لما ذكر

وقوله تعالى ( بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ) قال بعضهم تصديق ما وعدوا به من الوعيد والتأويل مايؤول اليه الأمر وعن الضحاك يعني عاقبة ما وعد الله في القرآن انه كان من الوعيد والتأويل مايؤول اليه الأمر وقال الثعلبي تفسيره وليس بشئ وقال الزجاج لم يكن معهم علم تأويله وقال يوسف الصديق عليه السلام ( يأت هذا تأويل رؤياي من قبل ) فجعل نفس سجود أبويه له تأويل رؤياه وقال قبل هذا ( لا يأتكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتكما ) أى قبل أن يأتكما التأويل والمعنى لا يأتكما طعام ترزقانه في المنام كما قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرًا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزًا الا نبأتكما بتأويله في اليقظة قبل أن يأتكما التأويل هذا قول أكثر المفسرين وهو الصواب وقال بعضهم لا يأتكما طعام ترزقانه تطعمانه وتأكلانه إلا نبأتكما بتأويله بتفسيره وألوانه أى طعام أكلتم وكم أكلتم ومتى أكلتم فقالوا هذا فعل العرافين والكهنة فقال ما أنا بكاهن وإنما ذلك العلم مما يعلمنى ربي وهذا القول ليس بشئ فانه قال الا نبأتكما بتأويله وقد قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرًا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزًا أنبأنا بتأويله فطلبنا منه تأويل مآرياه وأخبرهما بتأويل ذلك ولم يكن تأويله طعام في اليقظة ولا في القرآن انه أخبرهما بما يرزقانه في اليقظة فكيف يقول قولًا عما لا يأتكما طعام ترزقانه وهذا الاخبار العام لا يقدر عليه الا الله والانباء يخبرون ببعض ذلك لا يخبرون بكل هذا وأيضا فصفة الطعام وقدره ليس تأويله وأيضا فالله انما أخبر أنه علمه تأويل الرؤيا قال يعقوب عليه السلام ( وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ) وقال يوسف عليه السلام ( رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث ) وقال ( هذا تأويل رؤياي ) من قبل ولما رأى الملك قال له الذى اذكر بعد أمة أنا أنبأكم بتأويله فارسلون والملك قال يأتها الملاء أقفونى في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين فهذا لفظ التأويل في مواضع متعددة كلها بمعنى واحد وقال تعالى ( فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ) وقال مجاهد وقتادة جزاء وثوابا وقال السدى وابن زيد وابن قتيبة والزجاج عاقبة وعن ابن زيد أيضا تصديقا لقوله هذا تأويل رؤياي من قبل وكل هذه الاقوال صحيحة والمعنى واحد وهذا تفسير السلف أجمعين ومنه قوله ( سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ) فلما



الفساد وهي التي يحفظها من يفرغ عنهم ويشنع بها عليهم وإن كان أكثرهم ينكرها ويدفعها كما في هذه المسائل المنكرة التي يقولها بعض أصحاب أحمد ومالك والشافعي فإن جماهير هذه الطوائف ينكرها وأحمد وجهور أصحابه منكرون لها وكلامهم في انكارها وردها كثير جدا لكن يوجد في أهل الحديث مطلقا من الحنبلية وغيرهم من الغلط في الإثبات أكثر مما يوجد في أهل الكلام ويوجد في أهل الكلام من الغلط في النفي أكثر مما يوجد في أهل الحديث لأن الحديث إنما جاء بأبواب الصفات ليس فيه شيء من النفي الذي انفرد به أهل الكلام والكلام المأخوذ عن الجهمية والمعتزلة مبنى على النفي المناقض لصرايح القرآن والحديث بل والعقل الصريح أيضا لكنهم يدعون أن العقل دل على النفي وقد ناقضهم طوائف من أهل الكلام وزادوا في الإثبات كالهشامية والكرامية وغيرهم لكن النفي في جنس الكلام المبتدع الذي ذمه السلف أكثر والمتسبون إلى السنة من الحنبلين وغيرهم الذين جعلوا لفظ التأويل يعم القسمين يتمسكون بما يحدثونه في كلام الأئمة في التشابه مثل قول أحمد في رواية حنبل ولا كيف ولا معنى ظنوا أن مراده أنا لا نعرف معناها وكلام أحمد صريح بخلاف هذا في غير موضع وقد بين أنه إنما ينكر تأويلات الجهمية ونحوهم الذين يتأولون القرآن على غير تأويله وصنف كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية فيما أنكروه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله فأنكر عليهم تأويل القرآن على غير مراد الله ورسوله وهم إذا تأولوه يقولون معنى هذه الآية كذا والمكيفون يثبتون كيفية يقولون أنهم علموا كيفية ما أخبروا به من صفات الرب فنفي أحمد قول هؤلاء وهؤلاء قول المكيفة الذين يدعون أنهم علموا الكيفية وقول الحرفية الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون معناه كذا وكذا وقد كتبت كلام أحمد بألفاظه كما ذكره الحلال في كتاب السنة وكذا ذكره من نقل كلام أحمد باسناده في الكتب المصنفة في ذلك في غير هذا الموضع وبين أن لفظ التأويل في الآية إنما أريد به التأويل في لغة القرآن كقوله تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) وعن ابن عباس في قوله (هل ينظرون إلا تأويله) تصديق ما وعد في القرآن وعن قتادة تأويله ثوابه وعن مجاهد جزاءه وعن السدي عاقبته وعن ابن زيد حقيقته قال بعضهم تأويله ما يؤل إليه أمرهم من العذاب وورود النار

يحرره كما يوجد لأبي المعالي وابن عقيل ولا مثلهما من اختلاف الأقوال ومن أثبت  
العلو بالعقل وجعله من الصفات العقلية كأبي محمد بن كلاب وأبي الحسن بن الزاغوني  
ومن وافقه وكالقاضي أبي يعلى في آخر قوله وأبي محمد أثبتوا العلو وجعلوا الاستواء  
من الصفات الخبرية التي يقولون لا يعلم تأويلها إلا الله وإن كانوا ممن يرى الفوقية  
والعلو أيضا من الصفات الخبرية كقول القاضي أبي بكر وأكثر الأشعرية وقول القاضي  
أبي يعلى في أول قوله وابن عقيل في كثير من كلامه وأبي بكر البيهقي وأبي المعالي  
وغيرهم سلك مسلك أولئك وهذه الأمور مبسوسة في موضعها والمقصود هنا أن كل  
طائفة تعتقد من الآراء ما يناقض ما دل عليه القرآن يجعلون تلك النصوص من  
المتشابهة ثم إن كانوا ممن يرى الوقف عند قوله إلا الله قالوا لا يعلم معناها إلا الله فيلزم  
أن لا يكون محمد وجبريل ولا أحد علم معاني تلك الآيات والأخبار وإن رأوا الوقف  
على قوله والراسخون في العلم جعلوا الراسخين يعلمون ما يسمونه هم تأويلا ويقولون  
إن الرسول إنما يبين الحق بخطابه ليجتهد الناس في معرفة الحق من غير جهته بعقولهم  
وأذهانهم ويجهدون في تخرج ألفاظه على اللغات العربية فيجتهدون في معرفة غرائب  
اللغات التي يتمكنون بها من التأويل وهذا إن قالوا أنه قصد بالقرآن والحديث معنى  
حقا في نفس الأمر وإن قالوا بقول الفلاسفة والباطنية الذين لا يرون التأويل قالوا لم  
يقصد بهذه الألفاظ إلا ما يفهمه العامة والجمهور وهو باطل في نفس الأمر لكن أراد  
أن يخيل لهم ما يتفهمون به ولم يمكنه أن يعرفهم الحق فانهم كانوا ينفرون عنه ولا يقبلونه  
وأما من قال من الباطنية الملاحدة وفلاسفتهم بالتأويل فانه يتأول كل شيء مما أخبرت  
به الرسل من أمر الإيمان واليوم الآخر ثم يؤلون العبارات كما هو معروف من تأويلات  
القرامطة الباطنية وأبي حامد في الأحياء ذكر قول هؤلاء المتأولين من الفلاسفة وقال  
انهم أسرفوا في التأويل وأسرفت الخنابلة في الجود وذكر عن أحمد بن حنبل كلاما  
لم يقله أحمد فانه لم يكن يعرف ما قاله ~~الحنابلة~~ ~~ما قاله~~ ~~غثيرة~~ من السلف في هذا الباب ولا  
ما جاء به القرآن والحديث وقد سمع مضافا إلى الخنابلة ما يقرله طائفة منهم ومن غيرهم  
من المالكية والشافعية وغيرهم في الحرف والصوت وبعض الصفات مثل قولهم إن  
الاصوات المسموعة من القراءة قديمة أزلية وإن الحروف المتعاقبة قديمة أزلية وأنه  
ينزل إلى سماء الدنيا ويخلو منه العرش حتى يبقى بعض المخلوقات فوقه وبعضها تحته  
إلى غير ذلك من المنكرات فانه ما من طائفة إلا وفي بعضهم من يقول أقوالا ظاهرها

يتكلم بأحاديث الصفات ولا يعرف معناها وهو لاء مساكين لما رأوا المشهور عن جمهور الصلف من الصحابة والتابعين ان الوقف التام عد قوله (وما يعلم تأويله الا الله) وافقوا السلف وأحسنوا في هذه الموافقة لكن ظنوا أن المراد بالتأويل هو تأويل معنى اللفظ وتفسيره أو هو التأويل الاصطلاحي الذي يجري في كلام كثير من متأخري أهل الفقه والاصول وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقتضيه به فهم قد سمعوا كلام هو لاء وهو لاء فصار لفظ التأويل عندهم هذا معناه ولما سمعوا قول الله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) ظنوا أن لفظ التأويل في القرآن معناه هو معنى لفظ التأويل في كلام هو لاء فلزم من ذلك انه لا يعلم أحد معنى هذه النصوص الا الله لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما بل كل من الرسولين على قولهم يتلو أشرف ما في القرآن من الاخبار عن الله بأسمائه وصفاته وهو لا يعرف معنى ذلك أصلاً ثم كثير منهم يذمون ويبطلون تأويلات أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهما وهذا جيد لكن قد يقولون تجرى على ظواهرها وما يعلم تأويلها الا الله فان عنوا بظواهرها ما يظهر منها من المعاني كان هذا مناقضاً لقولهم ان لها تأويلاً يخالف ظاهرها لا يعلمه الا الله وان عنوا بظواهرها مجرد الالفاظ كان معنى كلامهم انه يتكلم بهذه الالفاظ ولها باطن يخالف مظهر منها وهو التأويل وذلك لا يعلمه الا الله وفيهم من يريد باجرائها على ظواهرها هذا المعنى وفيهم من يريد الاول وعامتهم يريدون بالتأويل المعنى الثالث وقد يريدون به الثاني فانه أحياناً قد يفسر النص بما يوافق ظاهره ويبين من هذا ليس من التأويل الثالث فيأتون ذلك ويكرهون تدبر النصوص والنظر في معانيها أعني النصوص التي يقولون انه لم يعلم تأويلها الا الله ثم هم في هذه النصوص بحسب عقائدهم فان كانوا من القدرية قالوا النصوص المثبتة لكون المبد فاعلا محكمة والنصوص المثبتة لكون الله تعالى خالق أفعال العباد أو مريد الكل ما وقع نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها الا الله اذا كانوا ممن لا يتأولها فان عامة لطوائف منهم من يتأول ما يخالف قوله ومنهم من لا يتأوله وان كانوا من الصفاتية المثبتين من الصفات التي زعموا أنهم يعلمونها بالعقل دون الصفات الخبرية مثل كثير من متأخري الكلاية كأبي المعالي في آخر عمره وابن عقيل في كثير من كلامه قالوا عن النصوص المتضمنة للصفات التي لا تعلم عندهم بالعقل هذه نصوص متشابهة لا يعلم تأويلها الا الله وكثير منهم يكون له قولان وحالان تارة يتأول ويوجب التأويل أو يجوزه وتارة

به التخييل ولكن قصد معنى يعرف بالتأويل وكثير من أهل الكلام الجهمية يوافق أولئك على انه ما كان يمكنه أن يباح بالحق في باب التوحيد فخطب الجمهور بما خيل لهم كما يقولون انه لو قال ان ربكم ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا يشار اليه ولا هو فوق العالم ولا كذا ولا كذا لنفرت قلوبهم عنه وقالوا هذا لا يعرف قالوا فخطبهم بالتجسيم حتى يثبت لهم رب يعبده وان كان يعرف ان التجسيم باطل وهذا يقوله طوائف من أعيان الفقهاء المتأخرين المشهورين الذين ظنوا ان مذهب النفاة هو الصحيح واحتاجوا أن يعتذروا عما جاء به الرسول من الاثبات كما يوجد في كلام غير واحد وتارة يقولون انما عدل الرسول عن بيان الحق ليجتهدوا في معرفة الحق من غير تعريفه ويجهتدوا في تأويل ألفاظه فتعظم أجورهم على ذلك وهو اجتهادهم في عقلياتهم وتأويلاتهم ولا يقولون انه قصد به افهام العامة الباطل كما يقول أولئك المتفلسفة وهذا قول أكثر المتكلمين النفاة من الجهمية والمعتزلة ومن سلك مسلكتهم حتى ابن عقيل وأمثاله وأبو حامد وابن رشد الحفيد وأمثالهما يوجد في كلامهم المعنى الاول وأبو حامد انما ذم التأويل في آخر عمره وصنف الجاهل العوام عن علم الكلام محافظة على هذا الاصل لانه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم الا ببقاء الظواهر على ما هي عليه وان كان هو يرى ما ذكره في كتبه المضمون بها ان النفي هو الثابت في نفس الامر فلم يجعلوا مقصوده بالخطاب البيان والهدى كما وصف الله كتابه ونيه حيث قال (هدى للمتقين) وقال (هذا بيان للناس) وقال (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقال (وما على الرسول الا البلاغ المبين) وقال (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) وأمثال ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك وقال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) وقال (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم) وقال (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) وثم طائفة ثالثة كثرت في المتأخرين المنتسبين الى السنة يقولون ما يتضمن ان الرسول لم يكن يعرف معاني ما أنزل عليه من القرآن كآيات الصفات بل لازم قولهم أيضا انه كان

حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة نخلوا سبلهم) وفي الآية الأخرى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) وهذا مطابق لقوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الايمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا اله الا الله وأدناها امانة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان فالقصود ان معرفة مجاء به الرسول وما أراده بالفاظ القرآن والحديث هو أصل العلم والايمان والسعادة والنجاة ثم معرفة ما قال الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول والمعاني المخالفة لها والالفاظ نوعان نوع يوجد في كلام الله ورسوله ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله فيعرف معنى الاول ويجعل ذلك المعنى هو الاصل ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني ويرد الى الاول هذا طريق أهل الهدى والسنة وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس يجعلون الالفاظ التي أسندوها ومعانيها هي الاصل ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعاً لهم ويردونها بالتأويل والتحريف الى معانيهم ويقولون نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقلهم ورأيهم ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه ولهذا قال الامام أحمد أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس وقال يحتجب المتكلم في الفقه هذين الاصلين المحمل والقياس وهذه الطريق يشترك فيها جميع أهل البدع الكبار والصغار فهي طريق الجهمية والمعتزلة ومن دخل في التأويل من الفلاسفة والباطنية الملاحدة وأما حذاق الفلاسفة فيقولون ان المراد بخطاب الرسول انما هو أن ينجي الى الجمهور ما يتفهمون به من مصالح دنياهم وان لم يكن ذلك مطابقاً للحق قالوا وليس مقصود الرسول بيان الحق وتعريفه بل مقصوده ان ينجي اليهم ما يعتقدون ويجعلون خاصية النبوة قوة التخيل فهم يقولون أن الرسول لم يبين ولم يفهم بل ولم يقصد ذلك وهم متنازعون هل كان يعلم الامور على ما هي عليه على قولين منهم من قال كان يعلمها لكن ما كان يمكنه بيانها وهؤلاء قد يجعلون الرسول أفضل من الفيلسوف ومنهم من يقول بل ما كان يعرفها أو ما كان حاذقاً في معرفتها وانما كان يعرف الامور العلمية وهؤلاء يجعلون الفيلسوف أكمل من النبي لان الامور العلمية أكمل من العملية فهؤلاء يجعلون خبر الله وخبر الرسول انما فيه التخيل وأولئك يقولون لم يقصد

ويسمون ذلك توحيدا ويسمون علم التوحيد كما تسمى المعتزلة ومن وافقهم على نفي القدر عدلا ويسمون أنفسهم العدلية وأهل العدل ومثل هذه البدع كثير جدا يعبر بالفاظ الكتاب والسنة عن معان مخالفة لما أراد الله ورسوله بتلك الالفاظ ولا يكون أصحاب تلك الاقوال تلقوها ابتداء عن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بل عن شبه حصلت لهم وأئمة لهم وجعلوا التعبير عنها بالفاظ الكتاب والسنة حجة ولهم عمدة لهم ليظهر بذلك أنهم متابعون للرسول لا مخالفون له وكثير منهم لا يعرفون ان ما ذكره مخالف للرسول بل يظن ان هذا المعنى الذي أراد الله هو الذي أراد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهذا يحتاج المسلمون الى شيئين أحدهما معرفة ما أراد الله ورسوله بالفاظ الكتاب والسنة بان يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل وماقاله الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الالفاظ فان الرسول لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ما أراد بتلك الالفاظ وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه وقد بلغوا تلك المعاني الى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه فان المعاني العامة التي يحتاج اليها عموم المسلمين مثل معنى التوحيد ومعنى الواحد والاحد والايمان والاسلام ونحو ذلك كان جميع الصحابة يعرفون ما أحب الله ورسوله من معرفتها ولا يحفظ القرآن كله الا قليل منهم وان كان شيء من القرآن يحفظه منهم أهل التواتر والقرآن مملوء من ذكر وصف الله بأنه أحد وواحد ومن ذكر أن إلهكم واحد ومن ذكر أنه لا اله الا الله ونحو ذلك فلا بد أن يكون الصحابة يعرفون ذلك فان معرفته أصل الدين وهو أول ما دعى الرسول اليه الخلق وهو أول ما يقاتلهم عليه وهو أول ما أمر رسله ان تأمر الناس به وقد تواتر عنه انه أول ما دعى الخلق الى أن يقولوا لا اله الا الله ولما أمر بالجهاد بعد الهجرة قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وأنى رسول الله وفي الصحيحين انه لما بعث معاذ الى اليمن قال له انك تأتى قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فانهم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم ان الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فانهم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب فقال لمعاذ ليكن أول ما تدعوهم اليه التوحيد ومع هذا كانوا من أهل الكتاب كانوا يهودا فان اليهود كانوا كثيرين بأرض اليمن وهذا الذي أمر به معاذ موافق لقوله تعالى ( فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين

طوعا أو كرها لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الافعال من جنس ما شاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يقال ذلك يستلزم تفرغ مكان وشغل آخر فان نزول الروح وصعودها لا يستلزم ذلك فكيف برب العالمين وكذلك الملائكة لهم صعود ونزول من هذا الجنس فلا يجوز نفي ما أثبتته الله ورسوله من الاسماء والصفات ولا يجوز تمثيل ذلك بصفات المخلوقات لاسيما ما لا نشاهده من المخلوقات فان ما ثبت لما لا نشاهده من المخلوقات من الاسماء والصفات ليس مماثلا لما نشاهده منها فكيف برب العالمين الذي هو أبعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق وكل مخلوق فهو أشبه بالمخلوق الذي لا يماثله من الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهذا الذي نهى عليه مما يظهر به ان ما يذكره صاحب المحصل وأمثاله من تقسيم الموجودات على رأى المتفلسفة والمتكلمة كله تقسيم غير حاصر وكل من الفريقين مقصر عن سلفه اما المتكلمون فلم يسلكوا من التقسيم المسلك الذى دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة وكذلك هؤلاء المتفلسفة أتباع ارسطو لم يسلكوا مسلك الفلاسفة الاساطين المتقدمين فان أولئك كانوا يقولون بحدوث هذا العالم وكانوا يقولون ان فوق هذا العالم عالما آخر يصفونه ببعض ما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الجنة وكانوا يثبتون معاد الابدان كما يوجد هذا في كلام سقراط وتاليس وغيرهما من أساطين الفلاسفة وقبذ كروا أن أول من قال منهم بقدم العالم ارسطو وهذه الالفاظ الحديثة الجملة الثافية مثل لفظ المركب والمؤلف والمتقسم ونحو ذلك قد صار كل من أراد نفي شئ مما أثبتته الله لنفسه من الاسماء والصفات عبر بها عن مقصوده فيتوهم من لا يعرف مراده ان المراد تنزيه الرب الذى ورد به القرآن وهو اثبات أحديته وصمديته ويكون قد أدخل في تلك الالفاظ مارآه هو منفيا وعبر عنه بتلك العبارة وضاع له واصطلاح اصطلاح عليه هو ومن وافقه على ذلك المذهب وليس ذلك من لغة العرب التى نزل بها القرآن ولا من لغة أحد من الامم ثم يجعل ذلك المعنى هو مسمى الاحد والصمد والواحد ونحو ذلك من الاسماء الموجودة في الكتاب والسنة ويجعل مانفاه من المعانى التى أثبتتها الله ورسوله من تمام التوحيد واسم التوحيد اسم معظم جاءت به الرسل ونزلت به الكتب فاذا جعل تلك المعانى التى تفاهها من التوحيد ظن من لم يعرف مخالفة مراده لمراد الرسول انه يقول بالتوحيد الذى جاءت به الرسل ويسمى طائفة الموحدين كما يفعل ذلك الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم على نفي شئ من الصفات

الكلية فان هذا مكابرة ظاهرة فانها تعرف بدنها وتعرف كل ما تراه بالبدن وتشمه وتسمعه وتذوقه وتقصده وتأمر به وتحبه وتكرهه الى غير ذلك مما تصرف فيه بعلمها وعملها فكيف يقال انها لا تعرف الأمور المعينة وانما تعرف أموراً كلية وكذلك قولهم ان تعلقها بالبدن ليس الا مجرد تعلق التدبير والتصرف كتدبير الملك لمملكته من أفسد الكلام فان الملك يدبر أمر مملكته فيأمر وينهى ولكن لا يصرفهم هو بمشيئته وقدرته ان لم تحركوا هم بارادتهم وقدرتهم والملك لا يلتذ بلذة أحدهم ولا يتألم بتألمه وليس كذلك الروح والبدن بل قد جعل الله بينهما من الاتحاد والائتلاف ما لا يعرف له نظير يقاس به ولكن دخول الروح فيه ليس هو مماثل لدخول شيء من الاجسام المشهودة فليس دخولها فيه كدخول الماء ونحوه من المائعات في الاوعية فان هذه انما تلاقى السطح الداخلى في الاوعية لا بطونها ولا ظهورها وانما يلاقى الاوعية منها أطرافها دون أوساطها وليس كذلك الروح والبدن بل الروح متعلقة بجميع أجزاء البدن باطنه وظاهره وكذلك دخولها فيها ليس كدخول الطعام والشراب في بدن الآكل فان ذلك له مجار معروفة وهو مستحيل الى غير ذلك من صفاته ولا جريانها في البدن كجريان الدم فان الدم يكون في بعض البدن دون بعض ففي الجملة كل ما يذكر من النظائر لا يكون كل شيء منه متعلقاً بالآخر بخلاف الروح والبدن لكن هي مع هذا في البدن قد ولجت فيه وتخرج منه وقت الموت وتسل منه شيئاً فتخرج من البدن شيئاً فشيئاً لاتفارقه كما يفارق الملك مدينته التي يدبرها والناس لما لم يشهدوا لها نظيراً عسر عليهم التعبير عن حقيقتها وهذا تنبيه لهم على رب العالمين حيث لم يعرفوا حقيقته ولا تصوراً كيف هو سبحانه وتعالى وان ما يضاف اليه من صفاته هو على ما يليق به جل جلاله فان الروح التي هي بعض عبيده توصف بأنها تخرج اذا نام الانسان وتسجد تحت العرش وهي مع هذا في بدن صاحبها لم تفارقه بالكلية والانسان في نومه يحس بتصرفات روحه تصرفات تؤثر في بدنه فهذا الصعود الذي توصف به الروح لا يمانل صعود المشهودات فانها اذا صعدت الى مكان فارقت الاول بالكلية وحركتها الى العلو حركة انتقال من مكان الى مكان وحركة الروح بعروجها وسجودها ليس كذلك فالرب سبحانه اذا وصفه رسوله بأنه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة وانه يدنو عشية عرفة الى الحجاج وانه كلم موسى في الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة وانه استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا



التي يذكر فيها مقالات هؤلاء وهؤلاء في هذه المسائل الكبار في رب العالمين وفي ملائكته وفي أرواح بنى آدم وفي المعاد وفي النبوات ليس فيها قول يطابق العقل والشرع ولا يعرفون ما قاله السلف والأئمة في هذا الباب ولا ما دل عليه الكتاب والسنة فلهذا يغلب على فضلائهم الحيرة فانهم اذا انهموا النظر لم يصلوا الى علم لأن ما نظروا فيه من كلام الطائفتين مشتمل على باطل من الجانبين ولهذا قال أبو عبد الله الرازي في آخر عمره لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عيلا ولا تروى غيلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. اقرأ في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب والرحمن على العرش استوى وقرأ في النفي ليس كمنه شيء ولا يحيطون به علما ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وأما من اعتقد أن التحيز هو ما بين غيره فأنحاز عنه وليس من شرطه ان يكون مركبا من الاجزاء الفردة ولا أنه يقبل التفريق والتقسيم فاذا قال ان الرب متحيز بهذا المعنى أى انه بائن عن مخلوقاته فقد أراد معنى صحيحا لكن اطلاق هذه العبارة بدعة وفيها تليس فان هذا الذي أرادته ليس معنى التحيز في اللغة وهو اصطلاح له ولطائفه وفي المعنى المصطلح نزاع بين العقلاء فصار يحتل معنى فاسدا يجب تنزيه الرب عنه وليس للانسان ان يطلق لفظا يدل عند غيره على معنى فاسد ويفهم ذلك الغير ذلك المعنى الفاسد من غير بيان مراده بل هؤلاء المتكلمون الذين أرادوا بالتحيز ما كان مؤلفا من أجزاء لا تقبل القسمة وهو ما كان قابلا للقسمة اذا قالوا ان كل ممكن أو كل محدث أو كل مخلوق فهو اما متحيز واما قائم بمتحيز كان جماهير العقلاء يخالفونهم في هذا التقسيم ولم يكن أحدهم أئمة المسلمين لامن الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ولا سائر أئمة المسلمين موافقا لهم على هذا التقسيم فكيف اذا قال من قال منهم كل موجود فهو اما متحيز واما قائم بمتحيز وأراد بالتحيز ما أراد هؤلاء فان قوله حينئذ يكون أبعد عن الشرع والعقل من قول أولئك ولهذا طالبهم متأخروهم بالدليل على هذا الحصر وليس خطأ هؤلاء من جهة ما أثبتته المتفلسفة من الجواهر العقلية فان تلك قد علم بطلانها بصرح العقل أيضا وما يقوله هؤلاء المتفلسفة في النفس الناطقة من أنها لا يشار إليها ولا توصف بحركة ولا ساكن ولا صمود ولا نزول وليس داخل العالم ولا خارجه وهو أيضا كلام أبطل من كلام أولئك المتكلمين عند جماهير العقلاء ولا سيما من يقول منهم كابن سينا وأمثاله انها لا تعرف شيئا من الأمور الجزئية وانما تعرف الأمور

القوم تركوا مركزهم الى آخر يقال للاولياء انحازوا عن العدو وحاصروا الاعداء  
انهزموا وولوا مدبرين وتحاوز الفريقان في الحرب انحاز كل فريق عن الآخر  
فهذا المذكور عن أهل اللغة في هذا اللفظ ومادته تقضي ان التحيز والانحياز  
والتحوز ونحو ذلك تضمن عدولا من محل الى محل وهذا أخص من كونه يحوزه  
أمر موجود فهم يراعون في معنى الحوز ذهابه من جهة الى جهة ولهذا يقولون حزت  
المال وحزت الابل وذلك يتضمن نقله من جهة الى جهة فالشيء المستقر في موضعه  
كالجبل والشمس والقمر لا يسمونه متحيزا وأعم من هذا أن يراد بالمتحيز ما يحيط به  
حيز موجود فيسمى كل ما أحاط به غيره أنه متحيز وعلى هذا فما بين السماء والارض  
متحيز بل ما في العالم متحيز الاسطح العالم الذي لا يحيط به شيء فان ذلك ليس بمتحيز  
وكذلك العالم جملة ليس بمتحيز بهذا الاعتبار فانه ليس في عالم آخر أحاط به والمتكلمون  
يريدون بالمتحيز ما هو أعم من هذا والحيز عندهم أعم من المكان فالعالم كله في حيز  
وليس هو في مكان والمتحيز عندهم لا يعتبر فيه أنه يحوزه غيره ولا يكون له حيز  
وجودي بل كل ما أشير اليه وامتاز منه شيء عن شيء فهو متحيز عندهم ثم هم مختلفون  
بعد هذا في المتحيز هل هو مركب من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة أو هو  
غير مركب لا من هذا ولا من هذا كما تقدم نزاعهم في الجسم فالجسم عندهم متحيز  
ولا يخرج عنه الا الجوهر الفرد عند من أثبتوه وهؤلاء يعتقد كثير منهم أو أكثرهم  
أن كل متحيز فهو مركب يقبل الانقسام الى جزء لا يتجزى بل يظن بعضهم أن هذا  
اجماع المسلمين وأكثريهم يقولون المتحيزات متماثلة في الحد والحقيقة ومن كان معنى  
المتحيز عنده هذا فعليه أن ينزه الله تعالى أن يكون متحيزا بهذا الاعتبار وإذا قال  
الملائكة متحيزون بهذا الاعتبار أو الروح متحيزة بهذا الاعتبار نازعه في ذلك جمهور  
العقلاء من المسلمين وغيرهم بل لا يعرف أحد من سلف الأمة وأئمتها يقول ان  
الملائكة متحيزة بهذا الاعتبار ولا قالوا لفظا يدل على هذا المعنى وكذلك روح بنى  
آدم التي تفارقه بالموت لم يقل أحد من السلف أنها متحيزة بهذا الاعتبار ولا قال فيها  
لفظا يدل على هذا المعنى فإذا كان أثبت هذا التحيز للملائكة والروح بدعة في الشرع  
وباطلا في الشرع فلا ينبغي أن يكون ذلك بدعة وباطلا في رب العالمين بطريق الأولى  
والأخرى ومن هنا يتبين ان عامة ما يقوله المتفلسفة وهؤلاء المتكلمة في نفوس بنى  
آدم وفي الملائكة باطلة فكيف بما يقولونه في رب العالمين ولهذا توجد الكتب المصنفة

قائمة بنفسها غير البدن وأجزائه وأعراضه تنازعوا هل هي جسم متحيز على قولين كتنازعهم في الملائكة فالتكلمون منهم يقولون جسم والمتفلسفة يقولون جوهر عقلي ليس بجسم وقد أشرنا فيما تقدم الى أن ماتسميه المتفلسفة جواهر عقلية لا توجد الا في الذهن وأصل تسميتهم الجردات والمفارقات هو مأخوذ من نفس الانسان فانها لما كانت تفارق بدنه بالموت وتجرد عنه سموها مفارقة مجردة ثم أثبتوا ما أثبتوه من العقول والنفوس وسموها مفارقات ومجردات لمفارقتها المادة التي هي عندهم الجسم وهذه المفارقات عندهم مالا يكون جسما ولا قائما بجسم لكن النفس متعلقة بالجسم تعلق التدبير والعقل لا تعلق له بالاجسام أصلا ولا ريب أن جماهير العقلاء على إثبات الفرق بين البدن والروح التي تفارق والجمهور يسمون ذلك روحا وهذا جسما لكن لفظ الجسم في اللغة ليس هو الجسم في اصطلاح المتكلمين بل الجسم هو الجسد كما تقدم وهو الجسم الغليظ أو غلظه والروح ليست مثل البدن في الغلظ والكثافة ولذلك لا تسمى جسما فن جعل الملائكة والارواح ونحو ذلك جسما بالمعنى النحوي فقد أصاب في ذلك ورب العالمين أولى أن لا يكون جسما فانه من المشهور في اللغة الفرق بين الارواح والاجسام وأما أهل الاصطلاح من المتكلمة والمتفلسفة فيجعلون مسمى الجسم أعم من ذلك وهو ما أمكنت الإشارة الحسية اليه وما قيل أنه هنا وهناك وما قبل الابعاد الثلاثة ونحو ذلك وكذلك المتحيز في اصطلاح هؤلاء هو الجسم ويدخل فيه الجوهر الفرد عند من أثبتته وقد تقدم معنى الجسم في اللغة وأما المتحيز فقد قال تعالى (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرقا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله) وقال الجوهري الحوز الجمع وكل من ضم الى نفسه شيئا فقد حازه حوزا وحيازة واحتازه أيضا والحوز والحيز السوق اللين وقد حاز الابل يحوزها ويحيزها وحوز الابل ساقها الى الماء وقال الاصمعي اذا كانت الابل بعيدة المرعى عن الماء فأول ليلة يوجهها الى الماء ليلة الحوز وتحوزت الحية وتحيزت ثوت يقال مالك تحوز تحوز الحية وتحيز تحيز الحية قال سيويه هو من تفعل من حزت الشيء قال القطامي

تحيز منى خشية أن أضيفها كما انحازت الافعى مخافة ضارب

يقول تنحى عن هذه العجوز وتتأخر خشية أن أنزل عليها ضيفا والحيز ما انضم الى الدار من مرافقتها وكل ناحية حيز وأصله في الدار والحيز تخفيف حيز مثل هين وهين ولين ولين والجمع أحياز والحوزة الناحية وانحاز عنه انعدل وانحاز

مقولاً وقالوا لهم المقول ما كان في العقل وأما ما كان موجوداً قائماً بنفسه فلا بد أن يمكن الاحساس به وإن لم نحس نحن به في الدنيا كما لا نحس بالجن والملائكة وغير ذلك فلا بد أن يحس به غيرنا كالملائكة والجن وأن يحس به بعد الموت أو في الدار الآخرة أو يحس به بعض الناس دون بعض في الدنيا كالأنبياء الذين رأوا الملائكة وسمعوا كلامهم وهذه الطريقة وهو أن كل قائم بنفسه يمكن رؤيته هي التي سلكها أئمة النظر كابن كلاب وغيره وسلكها ابن الزاغوني وغيره وأما من قال إن كل موجود يجوز رؤيته أو يجوز أن يحس بسائر الحواس الخمس كما يقوله الأشعري وموافقوه كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي وغيرهما فهذه الطريقة مردودة عند جماهير العقلاء بل يقولون فسادها معلوم بالضرورة بعد التصور التام كما بسط في موضعه وكذلك نزاعهم في روح الإنسان التي تفارقه بالموت على قول الجمهور الذين يقولون هي عين قائمة بنفسها ليست عرضاً من أعراض البدن كالحياة وغيرها ولا جزءاً من أجزاء البدن كالهواء الخارج منه فإن كثيراً من المتكلمين زعموا أنها عرض قائم بالبدن أو جزء من أجزاء البدن لكن هذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والخلف ولقول جماهير العقلاء من جميع الأمم ومخالف للدلالة وهذا مما استطال به الفلاسفة على كثير من أهل الكلام قال القاضي أبو بكر أكثر المتكلمين على أن الروح عرض من الأعراض وبهذا نقول إذا لم يعم بالروح النفس فإنه قال الروح الكائن في الجسد ضربان أحدهما الحياة القائمة به والآخر النفس والنفس ربح ينبث به والمراد بالنفس ما يخرج بنفس المتفس من أجزاء الهواء المتحلل من المسام وهذا قول الاسفرائيني وغيره وقال ابن فورك هو ما يجري في تجاويف الأعضاء وأبو المعالي خالف هؤلاء وأحسن في مخالفتهم فقال إن الروح أجسام لطيفة مشابهة للأجسام المحسوسة أجرى الله العادة بحياة الأجسام ما استمرت مشابهتها لها فإذا فارقتها تعقب الموت الحياة في استمرار العادة ومذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر سلف الأمة وأئمة السنة إن الروح عين قائمة بنفسها تفارق البدن وتعم وتعذب ليست هي البدن ولا جزءاً من أجزائه كالنفس المذكور ولما كان الإمام أحمد ممن نص على ذلك كما نص عليه غيره من الأئمة لم يختلف أصحابه في ذلك لكن طائفة منهم كالقاضي أبي يعلى زعموا أنها جسم وأنها الهواء المتردد في مخاريق البدن موافقة لأحد المعنيين الذين ذكرهما الباقلاني وهذه الأقوال لما كانت من أضعف الأقوال تسلط بها عليهم خلق كثير والمقصود هنا أن الذين قالوا إنها عين

ما يعرفه الفلاسفة المتقدمون وزيادات تلقوها عن بعض أهل الكلام أو عن أهل الملة  
فلهذا صار كلام المتأخرين كابن سينا وأمثاله في الالهيات والكميات أجود من كلام  
سلفه ولهذا قربت فلسفة اليونان الى أهل الاحاد والمبتدعة من أهل الملل لما فيها  
من شوب الملة ولهذا دخل فيها بنو عبيد الملاحدة فأخذوا عن هؤلاء الفلاسفة  
الصائبة المشركن العقل والنفس وعن المجوس النور والظلمة وسموهم السابق والتالى  
وكذلك الملاحدة المنتسبون الى التصوف والتأله كابن سبعين وأمثاله سلكوا مسلكا  
جمعوا فيه يزعمهم بين الشرع والفلسفة وهم ملاحدة ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة وقد  
بسط الكلام على هؤلاء وهؤلاء في غير هذا الموضع وانما ذكرنا هنا لان أهل  
الكلام المحدث صاروا لعدم علمهم بما علمه السلف وأئمة السنة من الكتاب والسنة  
وآثار الصحابة ولما وقعوا فيه من الكلاميات الباطلة يدخل بسببهم هؤلاء الفلاسفة  
في الاسلام أمورا باطلة ويحصل بهم من الضلال والنفي ما لا يتسع هذا الموضع لذكره  
ولما أحدثت الجهمية محتهم ودعوا الناس اليها وضرب أحمد بن حنبل في سنة عشرين  
ومائتين كان مبدأ حدوث القرامطة الملاحدة الباطنية من ذلك الزمان فصارت البدع  
باب الاحاد كما أن المعاصي يريد الكفر ولبسط هذا موضع آخر والمقصود هنا الكلام  
على لفظ التحيز والجهة وهؤلاء المتكلمون المتفلسفة صار بينهم نزاع في الملائكة هل  
هى متحيزة أم لا فن مال الى الفلسفة ورأى ان الملائكة هى العقول والنفس التى  
يشتهها الفلاسفة وان تلك ليست متحيزة قال ان الملائكة ليست متحيزة لاسيا واطاقة  
من الفلاسفة لم تجعل عددها عشرة عقول وتسعة نفوس كما هو المشهور عن المشائين  
بل لادليل على نفي الزيادة ورأى النبوت قد أخبرت بكثرة الملائكة فأراد أن يثبت  
كثرتهم بطريقة فلسفية كما فعل ذلك أبو البركات صاحب المعبر والرازى في المطالب  
العالية وغيرهما وأما المتكلمون فانهم يقولون ان كل ممكن أو كل محدث أو كل مخلوق  
فهو اما متحيز واما قائم بمتحيز وكثير منهم يقول كل موجود اما متحيز واما قائم بمتحيز  
ويقول لا يعقل موجود الا كذلك كما قال طوائف من أهل الكلام والنظر ثم الفلاسفة  
كابن سينا وأتباعه والشهرستاني والرازى وغيرهم لما أرادوا اثبات موجود ليس  
كذلك كان أكبر عمدتهم اثبات الكميات كالانسانية المشتركة والحيوانية المشتركة  
واذا كانت هذه لا تكون كميات الا في الذهن فلم ينازعهم الناس في ذلك وانما نازعهم  
في اثبات موجود خارج الذهن قائم بنفسه لا يمكن الاحساس به بحال بل لا يكون الا

بأنواع الموجودات وهم لا يعرفون الا الحساب وبعض لوازمها وهذا معرفة بقليل  
الموجودات جدا فان مالا يشهد الآدميون من الموجودات أعظم قدرا وصفة مما  
يشهدونه بكثير ولهذا كان هؤلاء الذين عرفوا ماعرفته الفلاسفة اذا سمعوا اخبار  
الانبياء بالملائكة والعرش والكرسى والجنة والنار وهم يظنون أن لا موجود الا  
ما علموه هم والفلاسفة يصيرون حائرين متأولين لكلام الانبياء على ما عرفوه وان  
كان هذا لا دليل عليه وليس لهم بهذا النفي علم فان عدم العلم ليس علما بعدم لكن  
نفهم هذا كنفي الطيب للجن لانه ليس في صناعة الطب ما يدل على ثبوت الجن والا  
فليس في علم الطب ما ينفي وجود الجن وهكذا نجد من عرف نوعا من العلم وامتاز به  
على العامة الذين لا يعرفونه فيبقى بجهله نافيا لما لا يعلمه وبنو آدم ضلالهم فيما جحدوه  
ونفوه بغير علم أكثر من ضلالهم فيما أثبتوه وصدقوا به قال تعالى ( بل كذبوا بما لم  
يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ) وهذا لان الغالب على الآدميين صحة الحس والعقل فاذا  
أثبتوا شيئا وصدقوا به كان حقا ولهذا كان التواتر مقبولا من جميع أجناس بنى آدم  
لانهم يخبرون عما شاهدوه وسمعوه وهذا أمر لا يشترك الخلق العظيم في الغلط فيه ولا في  
تعمد الكذب فيه فاذا علم أنهم لم يتواطؤوا عليه ولم يأخذ به بعضهم عن بعض كما يؤخذ  
المذهب والآراء التي يتلقاها المتأخر عن المتقدم وقد علم أن هذا بما لا يغلط فيه عادة  
علم قطعا صدقهم فان الخبر اما أن يعتمد الكذب واما أن يغلط وكلاهما مأمون في  
التواترات بخلاف ما نفوه وكذبوا به فان غالبهم أو كثير منهم ينفون مالا يعلمون  
ويكذبون بما لم يحيطوا بعلمه فصار هؤلاء الذين ظنوا الموجودات ما عرفه هؤلاء  
المتفلسفة اذا سمعوا ما أخبرت به الانبياء من العرش والكرسى قالوا العرش هو الفلك  
التاسع والكرسى هو الثامن وقد تكلمنا على ذلك في مسألة الاحاطة وبيننا جهل من  
قال هذا عقلا وشرعا واذا سمعهم يذكرون الملائكة ظن أنهم العقول والنفوس التي  
يشتهها المتفلسفة والقوى التي في الاجسام وكذلك الجن والشياطين يظن أنها اعراض  
قائمة بالنفوس حيث كان هذا مبلغه من العلم وكذلك يظن ما ذكره ابن سينا وأمثاله  
من أن الغرائب في هذا العالم سببها قوة فلكية أو طبيعية أو نفسانية ويجعل معجزات  
الانبياء من باب القوى النفسانية وهي من جنس السحر لكن الساحر قصده الشر  
والنبي قصده الخير وهذا كله من الجهل بالأمور الكلية المحيطة بالموجودات وأنواعها  
ومن الجهل بما جاء به الرسول فلا يعرفون من العلوم الكلية ولا العلوم الالهية الا

قصدها هؤلاء ضل بها من لم يعرف حقيقة دين الاسلام وأن هذه معاني هؤلاء الملاحدة ليست هي المعاني التي عنها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوانه المرسلون مثل موسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين ولهذا ضل كثير من المتأخرين بسبب هذا الالتباس وعدم المعرفة بحقيقة ما جاء به الرسول وما يقوله هؤلاء حتى يضل بهم خلق من أهل العلم والعبادة والتصوف ومن ليس له غرض في مخالفة محمد صلى الله عليه وسلم بل يجب اتباعه مطلقا ولو عرف أن هذا مخالف لما جاء به لم يقبله لكن لعدم كمال علمه بمعاني ما أخبر به الرسول ومقاصد هؤلاء يقبل هذا لاسيما اذا كان المتكلم به ممن له نصيب وافر في العلم والكلام والتصوف والزهد والفقه والعبادة ورأى الطالب أن هذا مرتبته فوق مرتبة الفقهاء الذين انما يعرفون الشرع الظاهر وفوق مرتبة المحدث الذي غايته الثقل لألفاظ لا يعلم معانيها وكذلك المقرئ والمفسر ورأى من يعظمه من أهل الكلام اما موافق لهم أو خائف منهم ورأى بحوث المتكلمين معهم في مواضع كثيرة لم يأتوا بتحقيق تبيين فساد قولهم بل تارة يوافقونهم على أصول لهم تكون فاسدة وتارة يخالفونهم في أمر قاله الفلاسفة ويكون حقا مثل ما يرى كثير من المتكلمين يخالفهم في أمور طبيعية ورياضية طائفا أنه ينصر الشرع ويكون الشرع موافقا لما علم بالعقل مثل استدارة الافلاك فانه لم يعلم بين السلف خلاف في أنها مستديرة والآثار بذلك معروفة والكتاب والسنة قد دلا على ذلك وكذلك استحالة الاجسام بعضها الى بعض هو مما اتفق عليه الفقهاء كما قال هؤلاء الى أمور أخر لكن كثير من المتكلمين أو أكثرهم لا خبرة لهم بما دل عليه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم باحسان بل ينصر مقالات يظنها دين المسلمين بل اجماع المسلمين ولا يكون قد قالها أحد من السلف بل الثابت عن السلف مخالف لها فلما وقع بين المتكلمين تقصير وجهل كثير بتحقيق العلوم الشرعية وهم في العقليات تارة يوافقون الفلاسفة على باطلهم وتارة يخالفونهم في حقهم صارت المناظرات بينهم دولا وان كان المتكلمون أصح مطلقا في العقليات الالهية والكلية كما أنهم أقرب الى الشرعيات من الفلاسفة فان الفلاسفة كلامهم في الالهيات والكليات العقلية كلام قاصر جدا وفيه تخليط كثير وانما يتكلمون جيدا في الامور الحسية الطبيعية وفي كلياتها فكلامهم فيها في الغالب جيد وأما الغيب الذي تخبر به الانبياء والكليات العقلية التي تتم الموجودات كلها وتقسم الموجودات قسمة صحيحة فلا يعرفونها البتة فان هذا لا يكون الا من أحاط

في النصرانية فجاء دين المسيح صلوات الله عليه وسلامه فأبطل ما كانوا عليه من الشرك ولهذا بدل من بدل دين المسيح فوضع ديناً مركباً من دين الموحدين ودين المشركين فان أولئك كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب ويصلون لها ويسجدون فجاء قسطنطين ملك النصارى ومن اتبعه فابتدعوا الصلاة الى الشرق وجعلوا السجود الى الشمس بدلا عن السجود لها وكان أولئك يعبدون الاصنام المحسدة التي لها ظل فجاءت النصارى وصورت تماثيل القدايس في الكنائس وجعلوا الصور المرقومة في الحيطان والسقوف بدل الصور المحسدة القائمة بأنفسها التي لها ظل وأرسطو كان وزير الاسكندر بن فيلبس المقدوني نسبة الى مقدونية وهي جزيرة هؤلاء الفلاسفة اليونانيين الذين يسمون المشائين وهي اليوم خراب أو غمرها الماء وهو الذي يؤرخ له النصارى واليهود التاريخ الرومي وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة فيظن من يعظم هؤلاء الفلاسفة انه كان وزير ذى القرنين المذكور في القرآن ليعظم بذلك قدره وهذا جهل فان ذا القرنين كان قبل هذا بمدة طويلة جدا وذو القرنين بنى سد يأجوج ومأجوج وهذا المقدوني ذهب الى بلاد فارس لم يصل الى بلاد الصين فضلا عن السد والملائكة التي أخبر الله ورسوله بها لايحصي عددهم الا الله ليسوا عشرة ولا تسعة وهم عباد الله احياء ناطقون ينزلون الى الارض ويصعدون الى السماء ولا يفعلون الا بأذن ربهم كما أخبر الله عنهم بقوله ( وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ) وقال تعالى ( وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ) وأمثال هذه التصوص وهؤلاء يدعون أن العقول قديمة أزلية وان العقل الفعال هو رب كل ماتحت هذا الفلك والعقل الأول هو رب السموات والارض وما بينهما والملاحة الذين دخلوا معهم من اتباع بنى عبيد كأصحاب رسائل اخوان الصفا وغيرهم وكملاحة المتصوفة مثل ابن عربي وابن سبعين وغيرهما يحتاجون لمثل ذلك بالحديث الموضوع أول ما خلق الله العقل وفي كلام أبي حامد الغزالي في الكتب المصنونة بها على غير أهلها وغير ذلك من معاني هؤلاء قطعة كبيرة ويعبر عن مذاهبهم بلفظ الملك والملكوت والجبروت ومراده بذلك الجسم والنفس والعقل فيأخذ هؤلاء تلك العبارات الاسلامية ويودعونها معاني هؤلاء وتلك العبارات مقبولة عند المسلمين فاذا سمعوها قبلوها ثم اذا عرفوا المعاني التي



وأما الملائكة الذين أخبر الله عنهم فهذه لا يعرفها هؤلاء الفلاسفة أتباع أرسطو ولا يذكرونها بنى ولا أثبات كما لا يعرفون النبوات ولا يتكلمون عليها بنى ولا اثبات إنما تكلم في ذلك متأخروهم كابن سينا وأمثاله الذين أرادوا أن يجمعوا بين النبوات وبين الفلسفة فلبسوا ودلسوا وكذلك العلة الأولى التي يثبتونها لهذا العالم إنما أثبتوا علة غائية تحرك الفلك للتشبه بها وتحريكها للفلك من جنس تحريك الامام المقتدى به المؤتمر المقتدى إذا كان يجب أن يتشبه بامامه ويقتدى بامامه ولفظ الآله في لغتهم يراد به المتبوع الامام الذى يتشبه به فالفلك عندهم تحرك للتشبه بالآله ولهذا جعلوا الفلسفة العليا والحكمة الأولى إنما هي التشبه بالآله على قدر الطاقة وكلام أرسطو في علم مابعد الطبيعة في مقالة اللام التي هي منتهى فلسفته وفي غيرها كله يدور على هذا وتارة يشبه تحريكه للفلك تحريك المعشوق للعاشق لكن التحريك هنا قد يكون لمحبة العاشق ذات المعشوق أو لغرض يناله منه وحركة الفلك عندهم ليست كذلك بل يتحرك ليتشبه بالآله الأولى فهو يجبها أى يجب التشبه بها لا يجب أن يعبدها ولا يجب شيأ يحصل منها ويشبه ذلك أرسطو بحركة النواميس لاتباعها أى اتباع التاموس قائمون بما في التاموس ويقتدون به والتاموس عندهم هي السياسة الكلية للمدائن التي وضعها لهم ذوو الرأي والعقل لمصلحة دنياهم لئلا يتظالموا ولا تقسد دنياهم ومن عرف النبوات منهم يظن أن شرائع الانبياء من جنس نواميسهم وان المقصود بها مصلحة الدنيا بوضع قانون عدلى ولهذا أوجب ابن سينا وأمثاله النبوة وجعلوا النبوة لآبديتها لاجل وضع هذا التاموس ولما كانت الحكمة العملية عندهم هي الخلقية والمنزلية والمدنية جعلوا ما جاءت به الرسل من العبادات والشرائع والاحكام هي جنس الحكمة الخلقية المنزلية والمدنية فان القوم لا يعرفون الله بل هم أبعد عن معرفته من كفار اليهود والنصارى بكثير وأرسطو المعلم الأول من أجهل الناس برب العالمين الى الغاية لكن لهم معرفة جيدة بالامور الطبيعية وهذا بحر علمهم وله تفرغوا وفيه ضيعوا زمانهم وأما معرفة الله تعالى فخطئهم منها منخوس جدا وأما ملائكته وكتبه ورسله فلا يعرفون ذلك البتة ولم يتكلموا فيه لا بنى ولا اثبات وإنما يتكلم في ذلك متأخروهم الداخلون في الملل وأما قدماء اليونان فكانوا مشركين من أعظم الناس شركا وسحرا يعبدون الكواكب والاصنام ولهذا عظمت عنايتهم بعلم الهيئة والكواكب لاجل عبادتها وكانوا يبنون لها الهياكل وكان آخر ملوكهم بطليموس صاحب المجسطى لما دخلت الروم

حدوثها ولهذا صار طائفة ممن خلط الكلام بالفلسفة الى قدم الجواهر العقلية وحدثوا  
الاجسام وان السبب الموجب لحدوثها هو حدوث تصور من تصورات النفس وكان  
يقول بهذا بعض أعيان المصريين وكذلك الأموى صاحب الباب الذى أجاب عن  
شبهة الفلاسفة على دوام الفاعلية المتضمنة انه لا بد للحدوث من سبب فأجاب بالجواب  
الباهر الذى أخذه من كلام الرازى في المطلب العالية فانه أجاب به وهو في المطلب  
العالية يخلط كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين وهو في مسألة الحدوث والقدم جائز  
وهذا الجواب من أفسد الاجوبة فانه يقال ما الموجب لحدوث تلك التصورات دائما  
ثم ان النفس عندهم لا بد أن تكون متصلة بالجسم فيمتنع وجود نفس بدون جسم  
وأياها فالذى علم بالاضطرار من دين الرسل ان كل ماسوى الله مخلوق محدث كان  
بمدان لم يكن وأيضا لما ثبتت الفلاسفة من الجواهر العقلية انما يوجد في الذهن لافي  
الخارج وأما أكثر المتكلمين فقالوا انتفاء هذه معلوم بضرورة العقل وقد بسط  
الكلام على هذا في غير هذا الموضع فيبين أن ما تدعى الفلاسفة اثباته من الجواهر  
العقلية التى هى العقل والنفس والمادة والصورة فلا حقيقة لها في الخارج وانما هى  
أمر معقولة في الذهن مجردا العقل من الامور المعينة كما مجرد العقل الكليات  
المشتركة بين الاصناف كالحيوانية الكلية والانسانية الكلية والكليات انما تكون  
كليات في الازهان لافي الاعيان ومن هؤلاء من يظن أنها تكون في الخارج كليات  
وان في الخارج ماهيات كلية مقارنة للاعيان غير الموجودات المعينة وكذلك منهم من  
يثبت كليات مجردة عن الاعيان يسمونها المثل الافلاطونية ومنهم من يثبت دهر مجردا  
عن المتحرك والحركة ويثبت خلاء مجردا ليس هو متحيزا ولا قائما بمتحيز ويثبت  
هوى مجردة عن جميع الصور والهوى في لغتهم بمعنى المحل يقال الفضة هوى الخاتم  
والدرهم والحشب هوى الكرسي أى هذا المحل الذى تصنع فيه هذه الصورة وهذه  
الصورة الصناعية عرض من الاعراض ويدعون ان الجسم هوى محل الصورة  
الجسمية وغير نفس الجسم القائم بنفسه وهذا غلط وانما هذا يقدر في النفس كما يقدر  
امتداد مجرد عن كل ممتد وعدد مجرد عن كل معدود ومقدار مجرد عن كل مقدر  
وهذه كلها أمور مقدرة في الازهان لاجود لها في الاعيان وقد اعترف بذلك من  
عادته نصر الفلاسفة من أهل النظر كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع فالجواهر  
العقلية التى يشتهها هؤلاء الفلاسفة يعلم بصريح العقل بعد التصور التام انتفاؤها في الخارج

فمن قال ان ذلك لم نعلمه بالمقل كأبي المعالى والرازى وغيرهما لم يبق معهم دليل على  
 تنزهون به الرب عن كثير من النقائص هذا اذا لم ينف الا ما يجب نفيه عن الله مثل  
 نفيه للنقائص فانه يجب تنزيه الرب عنها وينفى عنه مماثلة المخلوقات فانه يجب تنزيه الرب  
 عن كل نقص وعيب يجب تنزيهه عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفات انكمال  
 الثابتة له وهذان النوعان يجمعان التنزيه الواجب لله وقل هو الله أحد دلت على  
 النوعين فقوله أحد من قوله لم يكن له كفوا أحد ينفي المماثلة والمشاركة وقوله صمد  
 يتضمن جميع صفات الكمال فالنقائص جنسها منفي عن الله تعالى وكل ما اختص به  
 المخلوق فهو من النقائص التي يجب تنزيه الرب عنها بخلاف ما يوصف به الرب ويوصف  
 العبد بما يليق به مثل العلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك فان هذه ليست نقائص بل  
 ماثبت لله من هذه المعاني فانه ثبت لله على وجه لا يقاربه فيه أحد من المخلوقات فضلا  
 عن أن يماثله فيه بل ما خلقه الله في الجنة من المأكل والمشرب والملابس لا يماثل  
 ما خلقه في الدنيا وان اتفقا في الاسم وكلاهما مخلوق قال ابن عباس ليس في الدنيا  
 مما في الجنة الا الاسماء فقد أخبر الله ان في الجنة لنا وخرما وعسلا وماء وحريرا  
 وذبا وفضة وتلك الحقائق ليست مثل هذه وكلاهما مخلوق فالخالق تعالى أبعد من  
 مماثلة المخلوقات من المخلوقات الى المخلوق وقدسمى الله نفسه عليما حليما رؤفا رحيم  
 سمعا بصيرا عزيزا ملكا جبارا متكبرا مؤمنا عظيما كريما غنيا شكورا كبيرا حفيظا  
 شهيدا حقا وكيفا وليا وسمى أيضا بعض مخلوقاته بهذه الاسماء فسمى الانسان سميا  
 بصيرا وسمى نبيه رؤفا رحيم وسمى بعض عباده ملكا وبعضهم شكورا وبعضهم عظيما  
 وبعضهم حليما وعليما وسائر ما ذكر من الاسماء مع العلم انه ليس المسمى بهذه الاسماء  
 من المخلوقين مماثلا للخالق جل جلاله في شيء من الاشياء وكذلك النزاع في لفظ  
 التحيز والجهة ونحو ذلك فمن الناس من يقول هو متحيز وهو في جهة ومنهم من  
 يقول ليس بمتحيز وليس في جهة ومنهم من يقول هو في جهة وليس بمتحيز ولفظ  
 المتحيز يتناول الجسم والجوهر الفرد ولفظ الجوهر قد يراد به المتحيز وقد يراد به  
 الجوهر الفرد ومن الفلاسفة من يدعى اثبات جواهر قائمة بأنفسها غير متحيزة  
 ومتأخرو أهل الكلام كالشهرستاني والرازى والآمدى ونحوهم يقولون ليس في  
 العقل ما يحيل ذلك ولهذا كان من سلك سبيل هؤلاء وهو انما ثبت حدوث العالم  
 بحدوث الاجسام يقول بتقدير وجود جواهر عقلية فليس في هذا الدليل ما يدل على

والاجسام القائمة بأنفسها وهذا القول أكثر العقلاء ينكره ويقول هو مخالف للحس والعقل والشرع فضلا عن أن يكون الجسم في لغة العرب مستلزما لهذا المعنى ثم الجسم قد يراد به الغلط نفسه وهو عرض قائم بغيره وقد يراد به الشيء الغليظ وهو القائم بنفسه فنقول هذا الثوب له جسم أى غلط وقوله وزاده بسطة في العلم والجسم قديحتج به على هذا فانه قرن الجسم بالعلم الذى هو مصدر فنقول المعنى زاده بسطة في قدره فجعل قدر بدنه أكبر من بدن غيره فيكون الجسم هو القدر نفسه لانفس المقدر \* وكذلك قوله تعجبك أجسامهم أى صورهم القائمة بأبدانهم كما تقول أعجبنى حسنه وجماله ولونه وبهاؤه فقد يراد صفة الابدان وقد يراد نفس الابدان وهم اذا قالوا هذا أجسم من هذا أرادوا به أغاظ وأعظم منه اما كونهم يريدون بذلك ان ذلك العظم والغلظ كان لزيادة الاجزاء فهذا مما يعلم قطعا انه لم يخطر ببال أهل اللغة الا من أخذ ذلك عن اعتقده من أهل الكلام المحدث الذى أحدث في الاسلام بعد انقراض عصر الصحابة وأكثر التابعين فان هذا لم يعرف في الاسلام من تكلم به أو بمضاه الا في أواخر الدولة الأموية لما ظهر جهم بن صفوان والجمد بن درهم ثم ظهر في المعتزلة فقد تبين ان من قال الجسم هو المؤلف المركب واعتقد ان الاجسام مركبة من الجواهر الفردة فقد ادعى معنى عقليا ينازعه فيه أكثر العقلاء من بنى آدم ولم ينقل عن أحد من السلف انه وافقه عليه وجعل لفظ الجسم في اصطلاحه يدل على معنى لا يدل عليه اللفظ في اللغة فقد غير معنى اللفظ في اللغة وادعى معنى عقليا فيه نزاع طويل وليس معه من الشرع ما يوافق مادعاء من معنى اللفظ ولا مادعاء من المعنى العقلى فاللغة لاتدل على ما قال والشرع لايدل على ما قال والعقل لم يدل على مسميات الالفاظ وانما يدل على المعنى المجرد وذلك فيه نزاع طويل ونحن نعلم بالاضطرار ان ذلك المعنى الذى وجب نفيه عن الله لا يحتاج نفيه الى ما أحدثه هذا من دلالة اللفظ ولا مادعاء من المعنى العقلى بل الذين جعلوا هذا عمدتهم في تنزيه الرب على نفى مسمى الجسم لا يمكنهم أن ينزهوه عن شيء من النقائص البتة فانهم اذا قالوا هذا من صفات الاجسام فكل ما يثبتونه هو أيضا من صفات الاجسام مثل كونه حيا عليما قديرا بل كونه موجودا قائما بنفسه فانهم لا يعرفون هذا في الشاهد الا جسما فاذا قال المنازع أنا أقول فيما نفتيموه نظير قولكم فيما أثبتموه انقطعوا ثم هؤلاء لهم في استحقاق الرب لصفات الكمال عندهم هل علمه بالاجماع فقط أو علمه بالعقل أيضا فيه قولان

لما كان أكثر أجزاء دل على أن لفظ الجسم عندهم المراد به المركب فمن قال جسم وليس بمركب فقد خرج عن لغة العرب قالوا وهذه تخطئة في اللفظ وان كنا لانكفروه اذا لم يثبت خصائص الجسم من التركيب والتأليف وقد نازعهم بعضهم في قولهم هذا أجسم من هذا وقالوا ليس هذا اللفظ من لغة العرب كما يحكى عن أبى زيد فيقال له لا ريب ان العرب تقول هذا جسم أى عظيم الجثة وهذا أجسم من هذا أى أعظم جثة لكن كون العرب تعتقد ان ذلك لكثرة الاجزاء التى هى الجواهر الفردة اما يكون اذا كان أهل اللغة قاطبة يعتقدون ان الجسم مركب من الجواهر الفردة والجواهر الفرد هوشى قد بلغ من الصغر والحفارة الى أنه لا يتميز يمينه من يساره ومعلوم ان أكثر العقلاء من بنى آدم لا يتصور الجواهر الفرد والذين يتصورونها أكثرهم لا يثبتونه والذين أثبتوه انما يثبتونه بطرق خفية طويلة بعيدة فيمتنع أن يكون اللفظ الشائع في اللغة التى ينطق بها خواصها وعوامها أرادوا به هذا وقد علم بالاضطرار ان أحدا من الصحابة والتابعين لهم باحسان لم ينطق باثبات الجواهر الفرد ولا بما يدل على ثبوته عنده بل ولا العرب قبلهم ولا سائر الأمم الباقين على الفطرة ولا اتباع الرسل فكيف يدعى عليهم انهم لم يقولوا لفظ جسم الا لما كان مركبا مؤلفا ولو قلت لمن شئت من العرب الشمس والقمر والسماء مركب عندك من أجزاء صفار كل منها لا يقبل التجزى أو الحيلال أو الهواء أو الحيوان أو النبات لم يتصور هذا المعنى الا بعد كلفة ثم اذا تصوره قد يكذبه بفطرته ويقول كيف يمكن أن يكون شئ لا يتميز منه جانب عن جانب وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجواهر الفرد فالفقهاء قاطبة تنكروه وكذلك أهل الحديث والتصوف ولهذا كان الفقهاء متفقين على استحالة بعض الاجسام الى بعض كاستحالة العذرة رمادا والخزير ملحاثم تكلموا في هذه الاستحالة هل تظهر أم لا تظهر والقائلون بالجواهر الفرد لاستحيل الذوات عندهم بل تلك الجواهر التى كانت في الأول هى بعينها في الثانى وانما اختلف التركيب ولهذا يتكلم بلفظ التركيب في الماء ونحوه من الفقهاء المتأخرين من كان قد أخذ هذا التركيب عن المتكلمين ويقول ان الماء يفارق غيره في التركيب فقط وكذلك القائلون بالجواهر الفرد عندهم انما لم نشاهد قط احداث الله لشيء من الاعيان القائمة بنفسها وان جميع ما يخلقه من الحيوان والنبات والمعدن والثمار والمطر والسحاب وغير ذلك انما هو جمع الجواهر وتغيير صفاتها من حال الى حال لانه يدعى شيئا من الجواهر

إذا أحدث لفظ معنى آخر والمعنى الذى يقصده إذا كان حقا عبر عنه بالعبارة التى لا لبس فيها فإذا كان معتقده ان الأجسام متماثلة وأن الله ليس كنهه شئ وهو سبحانه لاسمى له ولا كفؤ له ولا ندله فهذه عبارات القرآن تؤدى هذا المعنى بلا تليس ولا نزاع وان كان معتقده ان الأجسام غير متماثلة وان كل ما يرى ويقوم به من الصفات فهو جسم فان عليه أن يثبت ما أثبتته الله ورسوله من علمه وقدرته وسائر صفاته كقوله (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله عليه السلام في حديث الاستخارة اللهم انى استخيرك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق ويقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ترون ربكم يوم القيامة عيانا كما ترون الشمس والقمر لاتضامون في رؤيته فشبه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئى كالمرئى فهذه عبارات الكتاب والسنة عن هذا المعنى الصحيح بلا تليس ولا نزاع بين أهل السنة المتبعين للكتاب والسنة وأقوال الصحابة ثم بعد هذا من كان تبين له معنى من جهة العقل انه لازم للحق لم يدفعه عن عقله فلازم الحق حق لكن ذلك المعنى لا بد أن يدل الشرع عليه فيثبت به بالألفاظ الشرعية وان قدر ان الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب على الناس اعتقاده وحينئذ فليس لأحد ان يدعو الناس اليه وان قدر أنه في نفسه حق (ومسئلة) تماثل الأجسام وتركيبها من الجواهر الفردة قد اضطرب فيها جماهير أهل الكلام وكثير منهم يقول بهذا تارة وبهذا تارة وأكثر ذلك لاجل الالفاظ المجمة والمعانى المتشابهة وقد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع لكن المقصود هنا أنه لو قدر ان الانسان تبين له ان الأجسام ليست متماثلة ولا مركبة لامن هذا ولا من هذا لم يكن له أن يتدع في دين الاسلام قوله ان الله جسم وينظر على المعنى الصحيح الذى دل عليه الكتاب والسنة بل يكفيه اثبات ذلك المعنى بالعبارات الشرعية ولو قدر انه تبين له ان الأجسام متماثلة وان الجسم مركب لم يكن له أن يتدع القول بهذا الاسم وينظر على معناه الذى اعتقده بعقله بل ذلك المعنى المعلوم بالشرع والعقل يمكن اظهاره بعبارة لا اجمال فيها ولا تليس والذين يقولون ان الجسم مركب من الجواهر يدعى كثير منهم انه كذلك في لغة العرب لأن العرب يقولون هذا أجسم من هذا يريدون به انه أكثر أجزاء منه ويقولون هذا جسم أى كثير الأجزاء قال والتفضيل بصيغة أفعل انما يكون لما يدل عليه الاسم فاذا قيل هذا أعلم وأحلم كان ذلك دالا على الفضيلة فيما دل عليه لفظ العلم والحلم فلما قالوا أجسم

اعتقد هذا اجماع المسلمين والقول بالجواهر الفرد باطل والقول بالهولي والصورة باطل وقد بسط الكلام على هذه المقالات في موضع آخر \* وقال آخرون الجسم هو القائم بنفسه وكل قائم بنفسه جسم وكل جسم فهو قائم بنفسه وهو مشار اليه واحتلفوا في الاجسام هل هي متماثلة أم لا على قولين مشهورين واذا عرف ذلك فن قال إنه جسم وأراد أنه مركب من الاجزاء فهذا قوله باطل وكذلك ان أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل ان الله ليس كمثل شئ في شئ من صفاته فن أثبت لله مثلا في شئ من صفاته فهو مبطل ومن قال إنه جسم بهذا المعنى فهو مبطل ومن قال ليس بجسم بمعنى أنه لا يرى في الآخرة ولا يتكلم بالقرآن وغيره من الكلام ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات ولا ترفع الأيدي اليه في الدعاء ولا عرج بالرسول اليه ولا يصعد اليه الكام الطيب ولا تعرج الملائكة والروح اليه فهذا قول باطل وكذلك كل من نفى ما أثبت الله ورسوله وقال ان هذا تجسيم ففيه باطل وتسمية ذلك تجسيما تليس منه فانه ان أراد أن هذا يقتضى ان يكون جسما مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة أو ان هذا يقتضى ان يكون جسما والاجسام متماثلة قيل له أكثر العقلاء يخالفونك في تماثل الاجسام المخلوقة وفي أنها سركة فلا يقولون ان الهواء مثل الماء ولا أبدان الحيوان مثل الحديد والجيل فكيف يوافقونك على أن الرب يكون مماثلا لخلقه اذا أثبتوا له ما أثبت الكتاب والسنة والله قد نفى المماثلات في بعض المخلوقات وكلاهما جسم كقوله (وأن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) مع ان كلاهما بشر فكيف يجوز أن يقال اذا كان لرب السموات علم وقدرة انه يكون مماثلا لخلقه والله تعالى ليس كمثل شئ لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ونكتة الأمر ان الجسم في اعتقاد هذا النافي يستلزم مماثلة سائر الاجسام ويستلزم أن يكون مركبا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة وأكثر العقلاء يخالفونه في التلازم وهذا التلازم منتف بائفاق الفريقين وهو المطلوب فاذا اتفقوا على انتفاء النقص المنفى عن الله شرعا وعقلا ببقى بحجهم في الجسم الاصطلاحي هل هو مستلزم لهذا المحذور وهو بحث عقلى كبحث الناس في الارض هل تبقى أو لا تبقى وهذا البحث العقلى لم يرتبط به دين المسلمين بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر من السلف بلفظ الجسم في حق الله لانفيا ولا اثباتا فليس لأحد أن يتدع اسما مجملا يحتمل معان مختلفة لم ينطق به الشرع ويعلق به دين المسلمين ولو كان قد نطق باللغة العربية فكيف

تأنيته أى قصدت آتية وشخصه وأنشد أبو عبيدة

تجسمته من بينهن بمزهر

وتجسمت الارض اذا أخذت نحوها تريد ها وتجسم من الجسم وقال ابن السكيت تجسمت  
الأمرأى ركبت أجسمه وجسيمه أى معظمه قال وكذلك تجسمت الرمل والجبل أى  
ركبت أعظمه والأجسم الأضخم قال عامر بن الطفيل

لقد علم الحى من عامر بان لنا الذروة الاجسما

فهذا الجسم في لغة العرب وعلى هذا فلا يقال للهواء جسم ولا للنفس الخارج من  
الانسان جسم ولا لروحه المنفوخة فيه جسم ومعلوم أن الله سبحانه لا يماثل شيئاً من  
ذلك لا بدن الانسان ولا غيره فلا يوصف الله بشئ من خصائص المخلوقين ولا يطلق  
عليه من الاسماء ما يخص بصفات المخلوقين فلا يجوز أن يقال هو جسم ولا جسد  
وأما أهل الكلام فالجسم عندهم أعم من هذا وهم مختلفون في معناه اختلافاً كثيراً  
عقليا واختلافاً لفظياً اصطلاحياً فهم يقولون كلما يشار اليه إشارة حسية فهو جسم  
ثم اختلفوا بعد هذا فقال كثير منهم كلما كان كذلك فهو مركب من الجواهر الفردة  
ثم منهم من قال الجسم أقل ما يكون جوهرأ بشرط أن ينضم اليه غيره وقيل بل  
الجوهران والجواهر فصاعداً وقيل بل أربعة فصاعداً وقيل بل ستة وقيل بل ثمانية  
وقيل بل ستة عشر وقيل بل اثنان وثلاثون وهذا قول من يقول ان الاجسام كلها  
مركبة من الجواهر التى لا تنقسم \* وقال آخرون من أهل الفلسفة كل الاجسام مركبة  
من الهوى والصورة لا من الجواهر الفردة وقال كثير من أهل الكلام وغير أهل  
الكلام ليست مركبة لا من هذا ولا من هذا وهذا قول الهشامية والكلابية والضرارية  
 وغيرهم من الطوائف الكبار لا يقولون بالجواهر الفرد ولا بالمادة والصورة وآخرون  
يدعون اجماع المسلمين على اثبات الجوهر الفرد كما قال أبو المعالى وغيره اتفق  
المسلمون على أن الاجسام تنهاى في تجزئها وانقسامها حتى تصير افراداً ومع هذا فقد  
شك هو فيه وكذلك شك فيه أبو الحسين البصرى وأبو عبد الله الرازى ومعلوم ان  
هذا القول لم يقله أحد من أئمة المسلمين لا من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا  
أحد من أئمة العلم المشهورين بين المسلمين وأول من قال ذلك في الاسلام طائفة من  
الجهمية والمعتزلة وهذا من الكلام الذى ذمه السلف وعابوه ولكن حاكى هذا  
الاجماع لما لم يعرف أصول الدين الا ما في كتب الكلام ولم يجد الا من يقول بذلك



المسائل فجعلوا أثمتهم نوابا عن الرسول وقالوا هذا غاية ما قدرنا عليه فالعادل منهم لا يظلم الآخر ولا يعتدى عليه بقول ولا فعل مثل أن يدعى أن قول متبوعه هو الصحيح بلا حجة يبيدها ويذم من يخالفه مع أنه معذور وكان الذين امتحنوا أحمد وغيره من هؤلاء الجاهلين فابتدعوا كلاما متشابها نقوا به الحق فأجابهم أحمد لما ناظروه في المحنة وذكروا الجسم ونحو ذلك وأجابهم بأني أقول كما قال الله تعالى (الله أحد الله الصمد) وأما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ليس على أحد أن يتكلم به البتة والمعنى الذي يراد به مجمل ولم يبينوا مرادكم حتى نوافقكم على المعنى الصحيح فقال ما أدري ما تقولون لكن أقول (الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) يقول ما أدري ما تنون بلفظ الجسم فانا لا أوافقكم على إثبات لفظ وفيه إذا لم يرد الكتاب والسنة بآبائه ولا نفيه ان لم يدر معناه الذي غناه المتكلم فان عنى في النفي أو الإثبات ما يوافق الكتاب والسنة وافقناه وان عنى ما يخالف الكتاب والسنة في النفي والإثبات لم نوافقوه ولفظ الجسم والجوهر ونحوهما لم يأت في كتاب ولا سنة ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسائر أئمة المسلمين التكلم بهما في حق الله تعالى لا بنفي ولا إثبات ولهذا قال أحمد في رسالته الى المتوكل لأحب الكلام في شئ من ذلك الا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة والتابعين وأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محمود وذكر أيضا فيما حكاه عن الجهمية أنهم يقولون ليس فيه كذا ولا كذا وهو كما قال فان لفظ الجسم في اللغة التي نزل بها القرآن معنى كما قال تعالى (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم) وقال تعالى (وزادهم بسطة في العلم والجسم) قال ابن عباس كان طالوت أعلم بني اسرائيل بالحرب وكان يفوق الناس بمنكيه وعنفه ورأسه والبسطة السعة قال ابن قتيبة هو من قولك بسطت النئى اذا كان مجموعا ففتحته ووسعته قال بعضهم والمراد بتعظيم الجسم فضل القوة اذ العادة أن من كان أعظم جسما كان أكثر قوة فهذا لفظ الجسم في لغة العرب التي نزل بها القرآن \* قال الجوهري قال أبو زيد الانصارى الجسم الجسد وكذلك الجثمان والجثمان وقال الاصمعي الجسم والجسمان والجسد والجثمان واحد وقال جماعة جسم الانسان يقال له الجسمان وقد جسم الشيء أى عظم فهو جسم وجسم والجسام بالكسر جمع جسم قال أبو عبيدة تجسمت فلانا من بين القوم أى اخترته كأنك قصدت جسمه كما قول

أن لا يحمل بأسهم بينهم فنغنيها والبأس مشتق من البؤس قال تعالى ( قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض ) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما نزل قوله تعالى ( قل هو النادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ) قال أعوذ بوجهك (أو من تحت أرجلكم) قال أعوذ بوجهك (أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال هاتان أهون فدل على أنه لا بد أن يلبسهم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض مع براءة الرسول في هذه الحال وهم فيها في جاهلية ولهذا قال الزهري وقت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فأجهوا على أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فهو هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية وقد روى مالك بإسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول ترك الناس العمل بهذه الآية قوله تعالى ( وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ) فان المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة وجاهلية وهكذا مسائل النزاع التي تنازع فيها الأمة في الأصول والفروع اذا لم ترد الى الله والرسول لم يتبين فيها الحق بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم فان رحمهم الله أقر بعضهم بعضا ولم ييخ بعضهم على بعض كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد فيقر بعضهم بعضا ولا يعتدى عليه وان لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم فبغى بعضهم على بعض اما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه واما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله وهذه حال أهل البدع والظلم كالحوارج وأمثالهم يظلمون الأمة ويعتدون عليهم اذا نازعوه في بعض مسائل الدين وكذلك سائر أهل الأهواء فانهم يتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها كما يفعل الرافضة والمعتزلة والجهمية وغيرهم والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء ابدعوا بدعة وكفروا من خالفهم فيها واستحلوا منع حقه وعقوبته فاناس اذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول اما عادلون واما ظالمون فالعادل فيهم الذي يعمل بما وصل اليه من آثار الانبياء ولا يظلم غيره والظالم الذي يعتدى على غيره وهؤلاء يظلمون مع علمهم بانهم يظلمون كما قال تعالى ( وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم الملم بنيا بينهم ) والا فلو سلكوا ما علموه من العدل أقر بعضهم بعضا كالقلدين لأئمة الفقه الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك

من هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ( فأهل الهدى والفلاح هم المتبعون للأنبياء وهم المسلمون المؤمنون في كل زمان ومكان وأهل العذاب والضلال هم المكذبون للأنبياء بنى أهل الجاهلية الذين لم يصل اليهم ما جاءت به الأنبياء فهو لاء في ضلال وجهل وشرك وشر لكن الله يقول (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) فهو لاء لا يهلكهم الله ويعذبهم حتى يرسل اليهم رسولا وقد رويت آثار متعددة في ان من لم تبلغه الرسالة في الدنيا فانه يبعث اليه رسول يوم القيامة في عرصات القيامة وقد زعم بعضهم ان هذا يخالف دين المسلمين فان الآخرة لا تكليف فيها وليس كما قال انما ينقطع التكليف اذا دخلوا دار الجزاء الجنة والنار والا فهم في قبورهم ممتحنون ومفتنون يقال لأحدهم من ربك وما دينك ومن نيك وكذلك في عرصات القيامة يقال ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة ويقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا وفي رواية فيسألهم ويثبتهم وذلك امتحان لهم هل يتبعون غير الرب الذي عرفوا أنه الله الذي تحبلى لهم أول مرة فيثبتهم الله تعالى عند هذه المحنة كما يثبتهم في قته القبر فاذا لم يتبعوه لكونه أتى في غير الصورة التي يعرفون أنهم حينئذ في الصورة التي يعرفون فيكشف عن ساق فاذا رأوه خروا له سجدا الا من كان منافقا فانه يريد السجود فلا يستطيعه يبقى ظهره مثل الطبق وهذا المعنى مستفيض عن النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث ثابتة من حديث أبى هريرة وأبى سعيد وقد أخرجاها في الصحيحين ومن حديث جابر وقد رواه مسلم وفي حديث ابن مسعود وأبى موسى وهو معروف من رواية أحمد وغيره فدل ذلك على أن المحنة انما تنقطع اذا دخلوا دار الجزاء وما قبل دار الجزاء دار امتحان وابتلاء فاذا انقطع عن الناس نور النبوة وقصوا في ظلمة البدع وحدثت البدع والفجور ووقع الشر بينهم كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سألت ربى ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني الثالثة سألته أن لا يهلك أمتى بسنة عامة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها وسألته

ثم نظروا في الكتاب والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه وإلا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما أريد بها فجمعوا بدعهم أصلا محكما وما جاء به الرسول فرعاه ومشكلا إذا لم يوافقوه وهذا أصل الجهمية والقدرية وأمثالهم وأصل الملاحدة من الفلاسفة الباطنية جميع كتبهم توجد على هذا الطريق ومعرفة الفرق بين هذا وهذا من أعظم ما يعلم به الفرق بين الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله وبين السبيل المخالفة له وكذلك الحكم في المسائل العلمية الفقهية ومسائل أعمال القلوب وحقائقها وغير ذلك كل هذه الأمور قد دخل فيها ألفاظ ومعان محدثة وألفاظ ومعان مشتركة فالواجب أن يجعل ما أنزله الله من الكتب والحكمة أصلا في جميع هذه الأمور ثم يرد ماتكم في الناس إلى ذلك وبين ما في الألفاظ المجملة من المعاني الموافقة للكتاب والسنة فتقبل وما فيها من المعاني المخالفة للكتاب والسنة فترد ولهذا كل طاقة أنكر عليها ما ابتدعت احتجت بما ابتدعته الأخرى كما يوجد في ألفاظ أهل الرأي والكلام والتصوف وأن يجوز أن يقال في بعض الآيات أنه مشكل ومتشابه إذا ظن أنه يخالف غيره من الآيات المحكمة البينة فإذا جاءت نصوص بينة محكمة بأمر وجاء نص آخر يظن أن ظاهره يخالف ذلك يقال في هذا أنه يرد به المتشابه إلى المحكم أما إذا نطق الكتاب أو السنة بمعنى واحد لم يجوز أن يجعل ما يصاد ذلك المعنى هو الأصل ويجعل ما في القرآن والسنة مشكلا متشابها فلا يقبل ما دل عليه نعم قد يشكل على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها فتكون مشكلة بالنسبة إليهم لعجز فهمهم عن معانيها ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل أو الحس إلا وفي القرآن بيان معناه فإن القرآن جعله الله شفاء لما في الصدور وبيان للناس فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك لكن قد تخوف آتار الرسالة في بعض الامكنة والازمنة حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أما أن لا يعرفوا اللفظ وأما أن يعرفوا اللفظ ولا يعرفوا معناه فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة ومن هاهنا يقع الشرك وتفرق الدين شيئا كالفتن التي تحدث بالسيف فالفتن القولية والعملية هي من الجاهلية بسبب خفاء نور النبوة عنهم كما قال مالك بن أنس إذا قل العلم ظهر الجفاء وإذا قلت الآثار ظهرت الأهواء ولهذا شبهت الفتن بقطع الليل المظلم ولهذا قال أحمد في خطبته الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة بقايا من أهل العلم فالهدى الحاصل لأهل الأرض إنما هو من نور النبوة كما قال تعالى (فاما يأتيكم

اللفظ وأما الالفاظ التي لا توجد في الكتاب والسنة بل ولا في كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين لا اثباتها ولا نفيها وقد تنازع فيها الناس فهذه الالفاظ لا تثبت ولا تنفي الا بعد الاستفسار عن معانيها فان وجدت معانيها مما أثبتته الرب لنفسه أثبتت وان وجدت مما نفاه الرب عن نفسه نفيت وان وجدنا اللفظ أثبت به حق وباطل أو نفي به حق وباطل أو كان مجحلا يراد به حق أو باطل وصاحبه أراد به بعضها لكنه عند الاطلاق يوهم الناس أو يفهمهم ما أراد وغير ما أراد فهذه الالفاظ لا يطلق الى اثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك من الالفاظ التي تدخل في هذا المعنى فقل من تكلم بها نفيًا أو اثباتًا الا وأدخل فيها باطلا وان أراد بها حقًا والسلف والأئمة كرهوا هذا الكلام المحدث لاشتماله على باطل وكذب وقول على الله بلا علم وكذلك ذكر أحد في رده على الجهمية أنهم يفترضون على الله فيما ينفونه عنه ويقولون عليه بغير علم وكل ذلك مما حرمه الله ورسوله ولم يكره السلف هذه المجرد كونها اصطلاحية ولا كرهوا الاستدلال بدليل صحيح جاء به الرسول بل كرهوا الاقوال الباطلة المخالفة للكتاب والسنة ولا يخالف الكتاب والسنة الا ما هو باطل لا يصح بعقل ولا سمع ولهذا لما سئل أبو العباس بن سريج عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين وقال وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجوهر والاعراض وإنما بحث النبي صلى الله عليه وسلم بانكار ذلك ولم يرد بذلك انه أنكر هذين اللفظين فانهما لم يكونا قد أحدثا في زمنه وإنما أنكر ما يعنى بهما من المعاني الباطلة فان أول من أحدثها الجهمية والمعتزلة وقصدهم بذلك انكار صفات الله تعالى أو أن يرى أو أن يكون له كلام يتصف به وأنكرت الجهمية أسماءه أيضا وأول من عرف عنه انكار ذلك الجعدي درهمي فضحي به خالد بن عبد الله القسري بواسطة وقال يأيتها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعدي درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعدي علوا كبيرا ثم نزل فذبحه وكلام السلف والأئمة في ذم هذا الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره كانوا اذا ذكرت لهم أهل البدع الالفاظ المجملة كالجسم والجوهر والحيز ونحوها لم يوافقهم لاعلى اطلاق الاثبات ولا على اطلاق النفي وأهل البدع بالعكس ابتدعوا ألفاظا ومعاني اما في النفي وأما في الاثبات وجعلوها هي الاصل المعقول المحكم الذي يجب اعتقاده والبناء عليه

بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال (يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) وقال (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ثم فأعرض عنهم وعظّمهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقوله تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) وقوله تعالى (فأقم وجهك للدين خفيضا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) وقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فهذه النصوص وغيرها تبين ان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان الحق من الباطل وبيان ما اختلف فيه الناس وأن الواجب على الناس اتباع ما أنزل اليهم من ربه ورد ما يتنازعون فيه الى الكتاب والسنة وان من لم يتبع ذلك كان منافقا وان من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذلك حشر ضالا شقيا معذبا وأن الذين فارقوا دينهم قد برئ الله ورسوله منهم فاتبع الامام أحمد طريقة سلفه من ائمة السنة والجماعة المعصمين بالكتاب والسنة المتبعين ما أنزل اليهم من ربه وذلك أن ننظر فما وجدنا الرب قد أثبت لنفسه في كتابه أثبتاه وما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفينا وكل لفظ وجد في الكتاب والسنة بالآيات أثبت ذلك اللفظ وكل لفظ وجد منفي في ذلك

كانوا يعلمون ان هذه الالفاظ التي ابتدئها المتكلمون كلفظ الجسم وغيره ينبغي قوم ليتوصلوا بنفيها الى نفي ما أثبتته الله تعالى ورسوله ويثبتها قوم ليتوصلوا بأبوابها الى اثبات مانفاه الله ورسوله فالأول طريقة الجهمية من المعتزلة وغيرهم ينفون الجسم حتى يتوهم المسلمون ان قصدهم التنزيه ومقصودهم بذلك ان الله لا يرى في الآخرة وانه لم يتكلم بالقرآن ولا غيره بل خلق كلاما في غيره وانه ليس له علم يقوم به ولا قدرة ولا حياة ولا غير ذلك من الصفات قال الامام أحمد في خطبته في الرد على الجهمية والزنادقة الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتي ويصرون بنوره أهل العمى فكلم من قتل لا بليس قد أحيوه وكم ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الضالين واتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في كتاب مجتمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمشابهة من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم فعموذ بالله من فتن الضالين والثانية طريقة هشام وأتباعه يحكي عنهم انهم أثبتوا ما قد نزه الله نفسه عنه من اتصافه بالنقائص ومماثلته للمخلوقات فأجابهم الامام أحمد بطريقة الانبياء وأتباعهم وهو الاعتصام بكتاب الله الذي قال فيه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم اليينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال تعالى (المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون

يكن تعالى وتقدس \* فان ذلك يقتضى انه كان متفرقا لجمع وانه مفعول محدث مصنوع وهذه صفة مخلوقاته وأما الخالق القديم الذى يتمتع عليه أن يكون معدوما أو مفعولا أو محتاجا الى غيره بوجه من الوجوه فلا يجوز عليه شئ من ذلك فعلم أنه لم يزل صمدا ولا يزال صمدا فلا يجوز أن يقال كان متفرقا فاجتمع ولا أنه يجوز أن يفرق بل ولا ان يخرج منه شئ ولا يدخل فيه شئ وهذا مما هو متفق عليه بين طوائف المسلمين سنيهم وبدعيهم وان كان أحد من الجهال أو من لا يعرف قد يقول خلاف ذلك فمثل هؤلاء لا تضبط خيالاتهم الفاسدة كما أنه ليس في طوائف المسلمين من يقول أنه مولود ووالد وان كان هذا قد قاله بعض الكفار وقد قال المتفلسفة المنسوبون الى الاسلام من التولد والتعليل ما هو شر من قول أولئك وأما اثبات الصفات له وانه يرى في الآخرة وانه يتكلم بالقرآن وغيره وكلامه غير مخلوق فهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وأهل السنة والجماعة من جميع الطوائف والخلاف في ذلك مشهور مع الجهمية والمعتزلة وكثير من الفلاسفة والباطنية \* وهؤلاء يقولون ان اثبات الصفات بوجب أن يكون جسما وليس بجسم فلا تثبت له الصفات قالوا لان المعقول من الصفات اعراض قائمة بجسم لا تعقل صفته الا كذلك قالوا والرؤية لا تعقل الا مع الماينة فالمأينة لا تكون الا اذا كان المرئى بجهة ولا يكون بجهة الا ما كان جسما قالوا ولانه لو قام به كلام أو غيره للزم أن يكون جسما فلا يكون الكلام المضاف اليه الا مخلوقا منفصلا عنه وهذه المعاني مما ناظرها بها الامام أحمد في الحنة وكان ممن احتج على ان القرآن مخلوق بنفى التجسيم أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث تلميذ حسين النجار وهو من أكابر المتكلمين فان ابن أبى داود كان قد جمع للإمام أحمد من أمكنه من متكلمي البصرة وبغداد وغيرهم ممن يقول ان القرآن مخلوق \* وهذا القول لم يكن مختصا بالمعتزلة كما يظنه بعض الناس فان كثيرا من أولئك المتكلمين أو أكثرهم لم يكونوا معتزلة وبشر المريسي لم يكن من المعتزلة بل فيهم نجارية ومنهم برغوث \* وفيهم ضرارية وحفص الفرد الذى ناظر الشافعى كان من الضرارية اتباع ضرار بن عمرو \* وفيهم مرجئة ومنهم بشر المريسي \* ومنهم جهمية محضة \* ومنهم معتزلة \* وابن أبى داود لم يكن معتزليا بل كان جهميا بنفى الصفات والمعتزلة تنفى الصفات فنفاة الصفات الجهمية أعم من المعتزلة فلما احتج عليه برغوث بانه لو كان يتكلم ويقوم به الكلام لكان جسما وهذا منى عنه \* وأحد وأمثاله من السلف



والنصارى وعباد الاصنام فان هؤلاء يجوزون عبادة كل صنم في العالم لا يخصون بعض الاصنام بالعبادة

فصل ١٠ وقد احتج بسورة الاخلاص من أهل الكلام المحدث من يقول الرب تعالى جسم كبعض الذين وافقوا هشام بن الحكم ومحمد بن كرام وغيرهما ومن ينفي ذلك يقول ليس بجسم ممن وافق جهنم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف ونحوهما فأولئك قالوا هو صمد والصمد لاجوف له وهذا انما يكون في الاجسام المصمتة فانها لاجوف لها كما في الحبال والصخور وما يصنع من عواميد الحجارة فكما قيل ان الملائكة صمد ولهذا قيل انه لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيء ولا يأكل ولا يشرب ونحو ذلك ونفي هذا لا يعقل الا عما هو جسم وقالوا أصل الصمد الاجتماع ومنه تصيد المال وهذا انما يعقل في الجسم المجتمع وأما النفاة فقالوا الصمد الذي لا يجوز عليه التفرق والانقسام وكل جسم في العالم يجوز عليه التفرق والانقسام وقالوا أيضا الاحد الذي لا يقبل التجزى والانقسام وكل جسم في العالم يجوز عليه التفرق والتجزى والانقسام وقالوا اذا قلتم هو جسم كان مركبا مؤلفا من الجواهر الفردة أو من المادة والصورة وما كان مركبا مؤلفا من غيره كان مفتقرا اليه وهو سبحانه صمد والصمد الغنى عما سواه فالمركب لا يكون صمدا فيقال أما القول بأنه سبحانه مركب مؤلف من أجزاء وأنه يقبل التجزى والانقسام والانفصال فهذا باطل شرعا وعقلا فان هذا ينافي كونه صمدا كما تقدم وسواء أريد بذلك انه كانت الاجزاء متفرقة ثم اجتمعت أو قيل انها لم تزل مجتمعة لكن يمكن انفصال بعضها عن بعض كما في بدن الانسان وغيره من الاجسام فان الانسان وان كان لم يزل مجتمع الاعضاء لكن يمكن أن يفرق بين بعضه وبعض والله منزّه عن ذلك ولهذا قدمنا ان كمال الصمدية له فان هذا انما يجوز على ما يجوز أن يفنى بعضه أو يعدم وما قبل العدم لم يكن واجب الوجود بذاته ولا قديما أزليا فان ماوجب قدمه امتنع عدمه وكذلك صفاته التي لم يزل موصوفا بها وهي من لوازم ذاته فيمتنع أن يعدم اللازم الامع عدم المازوم وهذا قال من قال من السلف الصمد هو الدائم وهو الباقي بعد فناء خلقه فان هذا من لوازم الصمدية اذ لو قبل العدم لم تكن صمدية لازمة له بل جاز عدم صمدية فلا يبقى صمدا ولا تنفي عنه الصمدية الا بجواز العدم عليه وذلك محال فلا يكون مستوجبا للصمدية الا اذا كانت لازمة له وذلك ينافي عدمه وهو مستوجب للصمدية لم يصّر صمدا بعد ان لم

الفاسدة وأيضاً فشركو العرب مع أهل الكتاب يدعون الله ويقولون انه يسمع دعاءهم ويحييهم وهؤلاء عندهم لا يعلم شيئاً من جزئيات العالم ولا يسمع دعاء أحد ولا يجيب أحداً ولا يحدث في العالم شيئاً ولا سبب للحدوث عندهم الا حركات الفلك والدعاء عندهم يؤثر لانه تصرف النفس الناطقة في هوى العالم وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل شتمنى ابن آدم وما ينبغى له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغى له ذلك فاماشتمه اياي فقله انى اتخذت ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد وأما تكذيبه اياي فقله لن يعيدنى كما بدأنى وايس أول الخلق بأهون على من اعادته وهذا وان كان متناولا قطعاً لكفار العرب الذين قالوا هذا وهذا كما قال تعالى (ويقول الانسان اذا مات لسوف أخرج حياً) الى قوله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً ادّاً تكاد السموات يتفطرن منه) فذكر هذا وهذا فتناول النصوص لهؤلاء بطريق الاولى فان هؤلاء ينكرون الاعادة والابتداء أيضاً فلا يقولون ان الله ابتداء خلق السموات والارض ولا كان للبشر ابتداء أولهم آدم وأما شتمهم اياه بقولهم اتخذ ولدا فهوؤلاء هم عندهم الفلك كله لازم له معلول له أعظم من لزوم الولد والده والوالد له اختيار وقدرة في حدوث الولد منه وهؤلاء عندهم ليس لله مشيئة وقدرة في لزوم الفلك له بل ولا يمكنه ان يدفع لزومه عنه قائلولد الذى يثبتونه أبلغ من التولد الموجود في الخلق ولا يقولون انه اتخذ ولداً بقدرته فانه لا يقدر عندهم على تغيير شئ من العالم بل ذلك لازم له لزوماً حقيقته انه لم يفعل شيئاً بل ولا هو موجود وان سموه علة ومعلولاً فعند التحقيق لا يرجعون الى شئ محصل فان في قولهم من التناقض والفساد أعظم مما في قول النصارى وقد ذكر طائفة من أهل الكلام ان قولهم بالعلة والمعلول من جنس قول غيرهم بالوالد والولد وأرادوا بذلك أن يحملوهم من جنسهم في الذم وهذا تقصير عظيم بل أولئك خير من هؤلاء وهؤلاء اذا حققت مايقوله من هو أقربهم الى الاسلام كابن رشد الحفيد وجدت غايته ان يكون الرب شرطاً في وجود العالم لافاعلا له وكذلك من سلك مسلكتهم من المدعين للتحقيق من ملاحدة الصوفية كابن عربى وابن سبعين حقيقة قولهم ان هذا العالم موجود واجب أزلى ليس له صانع غير نفسه وهم يقولون الوجود واحد وحقيقة قولهم انه ليس في الوجود خالق خلق موجوداً آخر وكلامهم في المعاد والنبوات شر من كلام اليهود

فقد كفره الله فن أنكره مع قوله بقدّم هذا العالم فهو أعظم كفرًا عند الله وهذا كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نهى أمته عن مشابهة فارس والروم النصراني فنهى عن مشابهة اليونان المشركين والهند المشركين أعظم وأعظم وإذا كان مادخل في بعض المسلمين من مشابهة اليهود والنصارى وفارس والروم مذمومًا عند الله ورسوله فما دخل من مشابهة اليونان والهند والترك المشركين وغيرهم من الأمم الذين هم أبعد عن الإسلام من أهل الكتاب ومن فارس والروم أولى أن يكون مذمومًا عند الله تعالى وأن يكون ذمه أعظم من ذاك فهو لاء الأمم الذين ابتلى بهم أو آخر المسلمين شر من الأمم الذين ابتلى بهم أو أئمة المسلمين وذلك لأن الإسلام كان أهله أعظم علماء ودينا فإذا ابتلى بمن هو أرجح من هؤلاء غلبهم المسلمون لفضل علمهم ودينهم وأما هؤلاء المتأخرون المسلمون وإن كانوا أنقص من سلفهم فإنه يظهر رجحانهم على هؤلاء لعظم بعدهم عن الإسلام ولكن لما كثرت البدع من متأخري المسلمين استطال عليهم من استطال من هؤلاء ولبسوا عليهم دينهم وصارت شبه الفلاسفة أعظم عند هؤلاء من غيرهم كما صار قتال الترك الكفار أعظم من قتال من كان قبلهم عند أهل الزمان لأنهم إنما ابتلوا بسيف هؤلاء وألسنة هؤلاء وكان فيهم من نقص الإيمان ما أورث ضعفًا في العلم والجهاد كما كان كثير من العرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فهذا هذا ومما بين هذا أن مشركي العرب واليهود والنصارى يقولون إن الله خلق السموات والأرض بمشيئته وقدرته بل يقولون أنه خلق ذلك في ستة أيام وهو هؤلاء المتفلسفة عندهم لم يحدثها بعد أن لم تكن فضلا عن أن يكون ذلك في ستة أيام ثم يلبسون على المسلمين فيقولون العالم محدث يمتنون بمحدثه أنه معلول علة قديمة فهو بمنزلة قولهم متولد عن الله لكن هو أمر لاحق له ولا يعقل وأيضا فمشركون العرب وأهل الكتاب يقرون بالملائكة وإن كان كثير منهم يجعلون الملائكة والشياطين نوعا واحدا فن خرج منهم عن طاعة الله أسقطه وصار شيطانا وينكرون أن يكون ابليس كان أبا الجن وأن يكون الجن ينكحون ويولدون ويأكلون ويشربون فهو هؤلاء النصارى الذين ينكرون هذا مع كفرهم هم خير من هؤلاء المتفلسفة فإن هؤلاء لاحقية للملائكة عندهم إلا ما يثبتونه من العقول والنفوس أو من اعراض تقوم بالاجسام كالقوى الصالحة وكذلك الجن جمهور أولئك يثبتونها فإن العرب كانت تثبت الجن وكذلك أكثر أهل الكتاب وهؤلاء لا يثبتونها ويجعلون الشياطين القوى

لا يعقل وهم غاية ما عندهم أن يشبهوا هذا بمحدث بعض الاعراض كالشعاع عن الشمس وحركة الحاتم عن حركة اليد وهذا تمثيل باطل لان تلك ليست علة فاعلة وانما هو شرط فقط والصادر هناك لم يكن عن أصل واحد بل عن أصلين والصادر عرض لاجوهر قائم بنفسه فبين ان ما ذكره هؤلاء من التولد العقلي الذي يدعونه من أبعد الامور عن التولد والصدور وهو أبعد من قول النصارى ومشركي العرب وهم جأوا مفعولاته بمنزلة صفة أزلية لازمة لذاته وقد ذكرنا أن هذا مما يتمتع أن يقال فيه انه متولد عنه وحيث فهم في دعواهم الهية العقول والنفوس والكواكب أكفر من هؤلاء ومن جعل من المنتسبين الى الملل منهم هؤلاء هم الملكية فقله في جعل الملائكة متولدين عن شيء من قول العرب وعوام النصارى فان أولئك أثبتوا ولادة حسية وكونه صمدا يبطها لكن ما أثبتوه معقول وهؤلاء ادعوا تولدا عقليا باطلا من كل وجه أبطل مما ادعته النصارى من تولد الكلمة عن الذات فكان نفي مادعوه أولى من نفي ماداعاه أولئك لان المحال الذي يعلم امتناعه في الخارج لا يمكن تصويره موجودا في الخارج فانه يتمتع وجوده في الخارج وذلك انما يمكن اذا كان له نظير من بعض الوجوه فيقدر له في الوجود الخارجي ما يشبهه كما اذا قدر مع الله اله آخر وقدر أن له ولدا فانه يشبه من له ولد من العباد ومن له شريك من العباد ثم يبين امتناع ذلك عليه فكل ما كان المحال أبعد عن مشابهة الموجود كان أعظم استحالة والولادة التي ادعتها النصارى ثم هؤلاء الفلاسفة أبعد عن مشابهة الولادة المعلومة من الولادة التي ادعاها بعض مشركي العرب وعوام النصارى واليهود فكانت هذه الولادة العقلية أشد استحالة من تلك الولادة الحسية اذ الولادة الحسية تعقل في الاعيان القائمة بنفسها وأما الولادة العقلية فلا تعقل في الاعيان أصلا وأيضا فأولئك أثبتوا ولادة من أصلين وهذا هو الولادة المعقولة وهؤلاء أثبتوا ولادة من أصل واحد وأولئك أثبتوا ولادة بانفصال جزء وهذا معقول وهؤلاء أثبتوا ولادة بدون ذلك وهو لا يعقل وأولئك أثبتوا ولادة قاسوها على ولادة الاعيان للاعيان وهؤلاء أثبتوا ولادة قاسوها على تولد الاعراض عن الاعيان فعلم ان قول أولئك أقرب الى المعقول وهو باطل كما بين الله فساده وأنكره فقول هؤلاء أولى بالاطلاق وهذا كما ان الله اذا كفر من أثبت مخلوقا يتخذ شفيعا معبودا من دون الله فن أثبت قديما دون الله يعبد ويتخذ شفيعا كان أولى بالكفر ومن أنكر المباد مع قوله بمحدث هذا العالم

القادر ومن المتأخرين منهم من قل العلم هو المعلوم فاذا تصور العاقل أقوالهم حق التصور تبين له ان هذا الواحد الذي أثبتوه لا يتصور وجوده الا في الازهان لاني الاعيان وقد بسط الكلام عليه وبين فساد ما يقولونه في التوحيد والصفات وبين فساد شبه التركيب من وجوه كثيرة في مواضع غير هذا واذا كان كذلك فالاصل الذي بنوا عليه قولهم ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد أصل فاسد الثالث أن يقال قولهم بصدور الاشياء معما فيها من الكثرة والحدوث عن واحد بسيط في غاية الفساد \* الرابع أنه لا يعلم في العالم واحد بسيط صدر عنه شيء لا واحد ولا اثنان فهذه الدعوة الكلية لا يعلم نبوتها في شيء أصلا الخامس أنهم يقولون صدر عنه واحد وعن ذلك الواحد عقل ونفس وفلك فيقال ان كان الصادر عنه واحدا من كل وجه فلا يصدر عن هذا الواحد الا واحد أيضا فيلزم أن يكون كل ما في العالم انما هو واحد عن واحد فهو مكبرة وان كان في الصادر الاول كثرة ما بوجه من الوجوه فقد صدر عن الاول ما فيه كثرة ليس واحدا من كل وجه فقد صدر عن الواحد ما ليس بواحد ولهذا اضطرب متأخروهم فأبو البركات صاحب المعبر أبطل هذا القول ورده غاية الرد وابن رشد الحفيد زعم ان الفلك بما فيه صادر عن الاول والطوسي وزير الملاحدة يقرب من هذا فخلل الاول شرطا في الثاني والثاني شرطا في الثالث وهم مشتركون في الضلال وهو اثبات جواهر قائمة بنفسها أزلية مع الرب لم تزل ولا تزال معه لكن مسبوقة بعدم وجعل الفلك أيضا قديما أزليا وهذا وحده فيه من مخالفة صريح المعقول والكفر بما جاءت به الرسل ما فيه كفاية فكيف اذا ضم اليه غير ذلك من أقاويلهم المخالفة للعقل والثقل \* الوجه السادس ان الصوارد المعلوم في العالم انما تصدر عن اثنين وأما واحد وحده فلا يصدر عنه شيء كما تقدم التنبيه عليه في المتولدات من الاعيان والاعراض وكل ما يذكرونه من صدور الحرارة عن الحار والبرودة عن البارد والشعاع عن الشمس وغير ذلك فانما هو صدور اعراض ومع هذا فلا بد لها من أصلين وأما صدور الاعيان عن غيرها فهذا لا يعلم الا بالولادة المعروفة وتلك لا تكون الا بانفصال جزء من الاصل وهذا الصدور والتولد والمعلولية التي يدعونها في العقول والنفس والافلاك يقولون انها جواهر قائمة بأنفسها صدرت عن جوهر واحد بسيط فهذا من أبطل قول قيل في الصدور والتولد لان فيه صدور جواهر عن جوهر واحد وهذا لا يعقل وفيه صدوره من غير جزء منفصل من الاصل وهذا

لعتهم ليس مختصا بالمسيح بل عندهم ان الله قال في التوراة لاسرائيل أنت ابني بكرى والمسيح كان يقول أنى وأبيكم فيجعله أباً للجميع ويسمى غيره ابناً له كما يسمى هو ابناً له فعلم أنه لا اختصاص للمسيح بذلك ولكن التصارى يقولون هو ابنه بالطبع وغيره ابنه بالوضع فيفرون فرقا لدليل عليه ثم قولهم هو ابن بالطبع يلزم عليه من الحالات عقلا وسمعا ما يبين بطلانه

فصل ١٠ وأما ما يقوله الفلاسفة القائلون بان العالم قديم صدر عن علة موجبة بذاته وانه صدر عنه عقل ثم عقل الى تمام عشرة عقول وتسعة أنفس وقد يجعلون العقل بمنزلة الذكر والنفس بمنزلة الانثى فهؤلاء قولهم أفسد من قول مشركى العرب وأهل الكتاب عقلا وشرعا ودلالة القرآن على فساده أبلغ وذلك من وجوه أحدها ان هؤلاء يقولون بقدّم الافلاك وقدم هذه الروحانيات التى يثبتونها ويسمونها المجردات والمفارقات والجواهر العقلية وان ذلك لم يزل قديما أزليا وما كان قديما أزليا امتنع أن يكون مفعولا بوجه من الوجوه ولا يكون مفعولا الا ما كان حادثا وهذه قضية بدئية عند جماهير العقلاء وعليها الأولون والآخرون من الفلاسفة وسائر الامم ولهذا كان جماهير الامم يقولون كل ممكن أن يوجد وأن لا يوجد فلا يكون الاحادنا وانما ادعى وجود ممكن قديم معلول طائفة من المتأخرين كابن سينا ومن وافقه زعموا ان الفلك قديم معلول لعلة قديمة وأما الفلاسفة القدماء فمن كان منهم يقول بمحدوث الفلك وهم جمهورهم ومن كان قبل ارسطو فهؤلاء موافقون لاهل الملل ومن قال بقدّم الفلك كارسطو وشيعته فأنما يثبتون له علة غائية يشبهه الفلك بها لا يثبتون له علة فاعلة وما يثبتونه من العقول والنفوس فهو من جنس الفلك كل ذلك قديم واجب بنفسه وان كان له علة غائية وهؤلاء أكفر من هؤلاء المتأخرين لكن الفرض أن يعرف ان قول هؤلاء ليس قول أولئك الثانى ان هؤلاء يقولون الرب واحد والواحد لا يصدر عنه الا واحد ويمنون بكونه واحدا انه ليس له صفة ثبوتية أصلا ولا يعقل فيه معان متعددة لان ذلك عندهم تركيب ولهذا يقولون لا يكون فاعلا وقابلا لان جهة الفعل غير جهة القبول وذلك يستلزم تعدد الصفة المستلزم للتركيب ومع هذا يقولون انه عاقل ومعقول وعقل وعاشق ومعشوق وعشق ولذيق وملتذ ولذة الى غير ذلك من المعانى المتعددة ويقولون ان كل واحد من هذه الصفات هى الصفة الأخرى والصفة هى الموصوف والعلم هو القدرة وهو الارادة والعلم هو العالم وهو

بكلمته ثم بقوله كن ولم يخلق على الوجه المعتاد من البشر والا فعيسى بشر قائم بنفسه ليس هو كلاما صفة للمتكلم يقوم به وكذلك اذا قيل عن المخلوق انه امر الله فالمراد ان الله كونه بأمره كقوله (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقوله (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) فالرب تعالى أحد صمد لا يجوز أن يتبعض ويتجزأ فيصير بعضه في غيره سواء سمي ذلك روحا أو غيره فبطل ما يتوهمه النصارى من كونه ابنا له وتبين انه عبد من عباد الله وقد قيل منشأ ضلال القوم انه كان في لغة من قبلنا يعبر عن الرب بالاب والابن عن العبد المربي الذي يربه الله ويربيه فقال المسيح عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس فأمرهم أن يؤمنوا بالله ويؤمنوا بعبده ورسوله المسيح ويؤمنوا بروح القدس جبريل فكانت هذه الاسماء لله ولرسوله الملكى ورسوله البشرى قال الله تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) وقد أخبر تعالى في غير آية انه أيد المسيح بروح القدس وهو جبريل عند جمهور المفسرين كقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) فعند جمهور المفسرين ان روح القدس هو جبريل هذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى وغيرهم ودليل هذا قوله (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) وروى الضحاك عن ابن عباس انه الاسم الذى كان يحى به الموتى وعن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم انه الانجيل وقال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) فما ينزله الله في قلوب أنبيائه ما يحى به قلوبهم من الايمان الخالص يسميه روحا وهو ما يؤيد الله به المؤمنين من عباده فكيف بالمرسلين والمسيح من أولى العزم فهو أحق بهذا من جمهور الرسل والانبياء وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) وقد ذكر الزجاج في تأييده ثلاثة أوجه أحدها انه أيد به لظهور أمره ودينه الثانى لدفع بنى اسرائيل عنه اذ أرادوا قتله الثالث انه أيد في جميع أحواله ومما يبين ذلك ان لفظ الابن في

شيء منه تسمية شيء من صفات الله ابنا فمن حمل شيئا من كلام الأنبياء على ذلك فقد كذب عليهم وهذا مما يقربه علماء النصارى وما وجد عندهم من لفظ الابن في حق المسيح واسرائيل وغيرهما هو اسم الله مخلوق لالشيء من صفات الخالق والمراد به انه مكرم معظم ورايهما أن يقال فاذا قدر ان الامر كذلك فالذي حصل للمسيح ان كان هو ماعلمه الله اياه من علمه وكلامه فهذا موجود لسائر التبيين فلامعنى لتخصيصه بكونه ابن الله وان كان هو ان العلم والكلام اله اتحد به فيكون العلم والكلام جوهرًا قائما بنفسه فان كان هو الاب فيكون المسيح هو الاب وان كان العلم والكلام جوهرًا آخر فيكون الهان قائمان بأنفسهما فتبين فساد ما قالوه بكل وجه وخامسها أن يقال من المعلوم عند الخاصة والعامة ان المعنى الذي خص به المسيح انما هو ان خلق من غير أب فلما لم يكن له أب من البشر جعل النصارى الرب أباه وبهذا ناظر نصارى نجران النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان لم يكن هو ابن الله فقل لنا فمن أبوه فعلم ان النصارى انما ادعوا فيه البنوة الحقيقية وان ما ذكر من كلام علمائهم هو تأويل منهم للمذهب ليزيلوا به الشناعة التي لا يلبثها عاقل ولا فليس في جعله ابن الله وجه يختص به معقول فعلم ان النصارى جعلوه ابن الله وان الله أحبل مريم والله هو أبوه وذلك لا يكون الا بازال جزء منه فيها وهو سبحانه الصمد ويلزمهم أن تكون مريم صاحبة وزوجة له ولهذا يتولونها كما أخبر الله عنهم وأى معنى ذكره في بنوة عيسى غير هذا لم يكن فيه فرق بين عيسى وبين غيره ولا صار فيه معنى البنوة بل قالوا كما قال بعض مشركى العرب انه صاهر الجن فولدت له الملائكة واذا قالوا اتخذه ابنا على سبيل الاصطفاء فهذا هو المعنى الفعلى وسيأتى ان شاء الله تعالى ابطاله وقوله تعالى (وروح منه) ليس فيه ان بعض الله صلوا في عيسى بل من لابتداء الغاية كما قال (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) وقال (وما بكم من نعمة فمن الله) وما أضيف الى الله أو قيل هو منه فعلى وجهين ان كان عينا قائمة بنفسها فهو مملوك له ومن لابتداء الغاية كما قال تعالى (فأرسلنا اليها روحنا) وقال في المسيح (وروح منه) وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالدلم والكلام فهو صفة له كما يقال كلام الله وعلم الله وكما قال (نزله روح القدس من ربك بالحق) وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق) وألفاظ المصادر يعبر بها عن المفعول فيسمى المأمور به أمرا والمقدور قدرة والمرحوم به رحمة والمخلوق بالكلمة كلمة فاذا قيل في المسيح انه كلمة الله فالمراد به انه خلق



الرب أيضا ابنه ومتولدة وكذلك قدرته والافا الفرق بين تولد العلم وتولد الحياة والقدرة وغير ذلك من الصفات وثانيهما أن هذا إن كان من باب تولد الجواهر والاعيان القائمة بنفسها فلا بد له من أصلين ولا بد أن يخرج من الاصل جزء وأما علمنا وقولنا فليس عينا قائما بنفسه وان كان صفة قائمة بموصوف وعرضا قائما في محل كعلمنا وكلامنا فذاك أيضا لا يتولد الا عن أصلين ولا بد له من محل يتولد فيه والواحد منا لا يحدث له العلم والكلام الا بمقدمات تتقدم على ذلك وتكون أصلا للفرع ويحصل العلم والكلام في محل لم يكن حاصلًا فيه قبل ذلك فان قلتم ان علم الرب كذلك لزم أن يصير عالما بالاشياء بعد أن لم يكن عالما بها وأن تصير ذاته متكلمة بعد أن لم يكن متكلمًا وهذا مع انه كفر عند جماهير الامم من المسلمين والنصارى وغيرهم فهو باطل في صريح العقل فان الذات التي لا تكون عالمة يمتنع أن تحصل نفسها عالمة بلا أحد يعلمها والله تعالى يمتنع عليه أن يكون متعلما من خلقه وكذلك الذات التي تكون عاجزة عن الكلام يمتنع أن تصير قادرة عليه بلا احد يجعلها قادرة والواحد منها لا يولد جميع علومه بل ثم علوم خلقت فيه لا يستطيع دفعها فاذا نظر فيها حصلت له علوم أخرى فلا يقول أحد من بني آدم ان الانسان يولد علومه كلها ولا يقول أحد انه يجعل نفسه متكلمة بعد أن لم تكن متكلمة بل الذي يقدر على النطق هو الذي أنطق كل شيء فان قالوا ان الرب يولد بعض علمه وكلامه دون بعض بطل تسمية العلم الذي هو الكلمة مطلقا الابن وصار لفظ الابن انما يسمى به بعض علمه أو بعض كلامه وهم يدعون ان المسيح هو الكلمة وهو أقنوم الالم مطلقا وذلك ليس متولدا عنه كله ولا يسمى كاه ابنا باتفاق العقلاء وثالثها أن يقال تسمية علم العالم وكلامه ولد آله لا يعرف في شيء من اللغات المشهورة وهو باطل بالعقل فان علمه وكلامه كقدرته وعلمه فان جاز هذا جاز تسمية صفات الانسان كلها الحادثة متولدات عنه له وتسميتها أبناءه ومن قال من أهل الكلام القدريّة ان العلم الحاصل بالنظر متولد عنه فهو كقوله ان الشبع والرى متولد عن الاكل والشرب ثم لا يقول ان العلم ابنه وولده كما لا يقول ان الشبع والرى ابنه ولا ولده لان هذا من باب تولد الاعراض والمعاني القائمة بالانسان وتلك لا يقال انها أولاده وأبناءؤه ومن استعار فقال بنيات فكره فهو كما يقال بنيات الطريق ويقال ابن السبيل ويقال لطير الماء ابن ماء وهذه تسمية مقيدة قد عرف أنها ليس المراد بها ما هو المقول من الاب والابن والوالد والولد وأيضا فكلام الانبياء ليس في

فقولهم يظهر بطلانه من هذه الوجوه وغيرها فلو قالوا ان الرب له صفات قائمة به ولم يذكروا اتحادا ولا حلولا كان هذا قول جماهير المسلمين المتبئين للصفات وان قالوا ان الصفات أعيان قائمة بنفسها فهذا مكابرة فهم يجمعون بين المتناقضين وأيضا فجعلهم عدد الصفات ثلاثة باطل فان صفات الرب أكثر من ذلك فهو سبحانه موجود حتى عليم قدير والاقانيم عندهم التي جعلوها الصفات ليست الا ثلاثة ولهذا تارة يفسرونها بالوجود والحياة والعلم وتارة يفسرونها بالوجود والقدرة والعلم واضطرابهم كثير فان قولهم في نفسه باطل ولا يضبطه عقل عاقل ولهذا يقال لو اجتمع عشرة من التصاري لا فترقوا على احد عشر قولوا وأيضا فكلمات الله كثيرة لانهاية لها كما قال سبحانه وتعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) وهذا قول جماهير الناس من المسلمين وغير المسلمين وهذا مذهب سلف الأمة الذين يقولون لم يزل سبحانه متكلمًا بمشيئته وقول من قال انه لم يزل قادرا على الكلام لكن تكلم بمشيئته كلاما قائما بذاته حادنا وقول من قال كلامه مخلوق في غيره وأما من قال كلامه معناه شيء واحد قديم العين فهو لا منيهم من يقول انه أمور لانهاية لها مع ذلك ومنهم من يقول بل هو معنى واحد ولكن العبارات عنه متعددة وهؤلاء يتمتع عندهم أن يكون ذلك المعنى قائما بغير الله وانما يقوم بغيره عندهم العبارات المخلوقة ويتمتع أن يكون المسيح شيئا من تلك العبارات فلا يتمتع أن يكون المسيح غير كلام الله على قول هؤلاء وعلى قول الجمهور أشد امتناعا لان كلمات الله كثيرة والمسيح ليس هو جميعها بل ولا مخلوقا بجميعها وانما خلق بكلمة منها وليس هو عين تلك الكلمة فان الكلمة صفة من الصفات والمسيح عين قائم بنفسه ثم يقال لهم تسميتكم العلم والكلمة ولدا وابنا تسمية باطلة باتفاق العلماء والعقلاء ولم ينقل ذلك عن أحد من الأنبياء قالوا لان الذات يتولد عنها العلم والكلام كما يتولد ذلك عن نفس الرجل العالم منها فيتولد من ذاته العلم والحكمة والكلام فلماذا سميت الكلمة ابنا قيل هذا باطل من وجوه أحدها ان صفاتنا حادثة تحدث بسبب تعللنا ونظرنا وفكرنا واستدلنا وأما كلمة الرب وعلمه فهو قديم لازم لذاته فيمتنع أن يوصف بالتولد الا أن يدعى المدعى ان كل صفة لازمة لموصوفها متولدة عنه وهي ابن له ومعلوم ان هذا من أبطل الأمور في العقول واللغات فان حياة الانسان ونطقه وغير ذلك من صفاته اللازمة له لا يقال انها متولدة عنه وانما ابن له وأيضا فيلزم أن تكون حياة

الله انبا لا كلامه ولا غيره فتسميتهم صفة الله انبا تحريف لكلام الانبياء عن مواضعه وما نقلوه عن المسيح من قولهم عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس لم يرد بالابن صفة الله التي هي كلمته ولا بروح القدس حياته فانه لا يوجد في كلام الانبياء ارادة هذا المعنى كما قد بسط هذا في الرد على النصارى الوجه اثناني أن هذه الكلمة التي هي الابن أي صفة الله قائمة به أم هي جوهر قائم بنفسه فان كانت صفته بطل مذهبهم من وجوه أحدها أن الصفة لا تكون الها يرزق ويخلق ويحيي ويميت والمسيح عندهم اله يخلق ويرزق ويحيي ويميت فاذا كان الذي تدركه ليس بآله فهو أولى أن لا يكون الها الثاني أن الصفة لا تقوم بغير الموصوف فلا تفارقه وان قالوا نزل عليه كلام الله وقالوا انه الكلمة أو غير ذلك فهذا قدر مشترك بينه وبين سائر الانبياء الثالث أن الصفة لا تتحد وتندرع شيئا الا مع الموصوف فيكون الاب نفسه هو المسيح والنصارى متفقون على انه ليس هو الاب فان قولهم متناقض ينقض بعضه بعضا يجعلونه الها يخلق ويرزق ولا يجعلونه الاب الذي هو الاله ويقولون اله واحد وقد شبهه بعض متكلميهم كيحيى ابن عدي بالرجل الموصوف بانه طيب وحاسب وكاتب وله بكل صفة حكم فيقال هذا حق لكن قولهم ليس نظير هذا فاذا قلتم أن الرب موجود حتى عالم وله بكل صفة حكم فاعلم أن المتحد ان كان هو الذات المتصفة فالصفات كلها تابعة لها فانه اذا تدرع زيد الطيب الحاسب الكاتب درعا كانت الصفات كلها قائمة به وان كان المتدرع صفة دون صفة عاد المحذور وان قالوا المتدرع الذات بصفة دون صفة لزم افتراق انصفتين وهذا ممتنع فان الصفات القائمة بموصوف واحد وهي لازمة له لا تفترق وصفات الخلقين قد يمكن عدم بعضها مع بقاء الباقي بخلاف صفات الرب تعالى الرابع ان المسيح نفسه ليس هو كلمة الله ولا شيئا من صفاته بل هو مخلوق بكلمة الله وسمى كلمة لانه خلق بكن من غير الحبل المعتاد كما قال تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) ولو قدر أنه نفسه كلام الله كالنوراة والانجيل وسائر كلام الله لم يكن كلام الله ولا شئ من صفاته خالقا ولا ربا ولا الها فالنصارى اذا قالوا ان المسيح هو الخالق كانوا ضالين من جهة جعل الصفة خالقة ومن جهة جعله هو نفس الصفة وانما هو مخلوق بالكلمة ثم قولهم بالتثليث وان الصفات ثلاث باطل وقولهم أيضا بالحلول والاتحاد باطل

اما عوام النصارى فلا تضبط أقوالهم وأما الموجود في كلام علمائهم وكتبهم فانهم يقولون ان أقنوم الكلمة ويسمونها الابن تدرع المسيح أى اتخذ درعا كما يتدرع الانسان قيصه فاللاهوت تدرع الناسوت ويقولون باسم الأب والابن وروح القدس اله واحد قيل قصدهم ان الرب موجود حتى عايم فالموجود هو الأب والعالم هو الابن والحياة هو روح القدس هذا قول كثير منهم ومنهم من يقول بل موجود عالم قادر ويقول العلم هو الكلمة وهو المتدرع والقدرة هي روح القدس فهم مشتركون في ان المتدرع هو أقنوم الكلمة وهي الابن ثم اختلفوا في التدرع واختلفوا هل هما جوهر أو جوهران وهل هما نسبة أو نسبتان ولهم في الحلول والاتحاد كلام مضطرب ليس هذا موضع بسطه فان مقالة النصارى فيها من الاختلاف بينهم ما يتعذر ضبطه فان قولهم ليس مأخوذا عن كتاب منزل ولا نبي مرسل ولا هو موافق لعقول العقلاء فقالت اليعقوبية صار جوهر واحد وطبيعة واحدة وأقنوما واحدا كالماء في اللبن وقالت النسطورية بل هما جوهران وطبيعتان ومشيتان لكن حل اللاهوت في الناسوت حلول الماء في الظرف وقالت الملكانية بل هما جوهر واحد له مشيتان وطبيعتان أو فلان كالنار في الحديد وقد ذهب بهض الناس الى ان قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) هم اليعقوبية وفي قوله (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هم الملكانية وقوله (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) هم النسطورية وليس بشئ بل الفرق الثلاث تقول المقالات التي حكاها الله عز وجل عن النصارى فكلهم يقولون انه الله ويقولون انه ابن الله وكذلك في أمانتهم التي هم متفقون عليها يقولون اله حق من اله حق وأما قوله ثالث ثلاثة فانه قال تعالى (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) \* قال أبو الفرج ابن الجوزي في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قال المفسرون معنى الآية ان النصارى قالوا الالهية مشتركة بين الله وعيسى ومريم كل واحد منهم اله وذكر عن الزجاج الفلو مجاوزة القدر في الظلم وغلو النصارى في عيسى قول بعضهم هو الله وقول بعضهم هو ابن الله وقول بعضهم هو ثالث ثلاثة فعلماء النصارى الذين فسروا قولهم هو ابن الله بما ذكروه من ان الكلمة هو الابن والفرق الثلاثة متفقة على ذلك وفساد قولهم معلوم بصريح العقل من وجوه أحدها انه ليس في شئ من كلام الانبياء تسمية صفة

الجحيم وقال (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكركم وله الأنتى تلك إذا قسمة ضيزى ان هى الأسماء سميتموها أتم وأبأؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ) الى قوله ( ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانتى ) وقال تعالى ( وجعلوا له من عباده جزءاً ) قال بعض المفسرين جزءاً أى نصيباً وبعضاً وقال بعضهم جعلوا لله نصيباً من الولد وعن قتادة ومقاتل عدلاً وكلاً القولين صحيح فانهم يجعلون له ولداً والولد يشبه أباه ولهذا قال (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً) أى البنات كما قال في الآية الأخرى واذا بشر أحدهم بالانثى فقد جعلوها للرحمن مثلاً وجعلوا له من عباده جزءاً فان الولد جزء من الوالد كما تقدم قال صلى الله عليه وسلم انما فاطمة بضعة منى وقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال الكلبي نزلت في الزنادقة قالوا ان الله وابليس شريكان قاله خالق النور والناس والدواب والأنعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب وأما قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا فقيل هو قولهم الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جناً لاجتماعهم عن الابصار وهو قول مجاهد وقاتدة وقيل قالوا لحي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس وهم بنات الله وقال الكلبي قالوا لعنهم الله بل بذور تخرج منها الملائكة وقوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم قال بعض المفسرين كالشعبي وهم كفار العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله واليهود قالوا عزيز ابن الله

فصل في الذين كانوا يقولون من العرب ان الملائكة بنات الله وما نقل عنهم من انه صاهر الجن فولدت له الملائكة فقد نفاه عنه بامتناع صاحبة وامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد وقوله ولم تكن له صاحبة وهذا كما تقدم من أن الولادة لا تكون الا من أصلين سواء في ذلك تولد الأعيان التي تسمى الجواهر وتولد الاعراض والصفات بل ولا يكون تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد فاذا امتنع أن يكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد وقد علموا كلهم أن لا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من الانس فلم يقل أحد منهم أن له صاحبة فلهذا احتج بذلك عليهم وما حكى عن بعض كفار العرب انه صاهر الجن فهذا فيه نظر وذلك ان كان قد قيل فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة وكذلك ما قاله النصارى من أن المسيح ابن الله وما قاله طائفة من اليهود ان العزيز ابن الله فانه قد نفاه سبحانه بهذا وبهذا فان قيل

فصل ٢٢ - وهذا مما يبين ان مانزه الله نفسه ونفاه عنه بقوله لم يلد ولم يولد وبقوله (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) وقوله (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم) نعم جميع الانواع التى تذكر في هذا الباب عن بعض الامم كما ان منافاه من اتخاذ الولد نعم أيضا جميع أنواع الاتخاذات لاصطفاه كما قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير) قال السدى قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرى من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد اخرجوا كل محتون من بنى اسرائيل وقد قال تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) وقال (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل) وقال (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذرا الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخالق كل شئ فقدره تقديرا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) وقال (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياي فارهبون وله ما فى السموات والارض وله الدين وأصبا) الى قوله (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا) الى قوله (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) وقال (ولا تجعل مع الله الها آخر فقلقى فى جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذنا من الملائكة أنانا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليزكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) وقال (فاستفتحهم الربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة أنانا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان ميين فأتوا بكتابتكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسيا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون الا عباد الله المحلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتين الا من هو صال

تقلب عرضا بخلاف الاجسام فانها انما تخلق من مواد تتقلب أجساما كما تتقلب الى نوع آخر كاتقلاب الماء علقمة ثم مضغة وغير ذلك من خلق الحيوان والنبات وأما ما كان من أصل واحد كخلق حواء من ضلع القصرى وهو وان كان مخلوقا من مادة أخذت من آدم فلا يسمى هذا تولدا ولهذا لا يقال ان آدم ولد حواء ولا يقال انه أبو حواء بل خلق الله حواء من آدم كما خلق آدم من الطين وأما المسيح فيقال انه ولدته مريم ويقال المسيح ابن مريم فكان المسيح جزءا من مريم وخلق بعد نفخ الروح في فرج مريم كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) وفي الأخرى (نفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وأما حواء فخلقها الله من مادة أخذت من آدم كما خلق آدم من المادة الارضية وهى الماء والتراب والريح الذى أبيضه حتى صار صلصالا فلهذا لا يقال آدم ولد حواء ولا آدم ولده التراب ويقال في المسيح ولدته مريم فانه كان من أصلين من مريم ومن النفخ الذى نفخ فيها جبريل قال الله تعالى (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) الى آخر القصة فهى انما حملت به بعد النفخ لم تحمل به مدة بلا نفخ ثم نفخت فيه روح الحيات كسائر الادميين ففرق بين النفخ للحمل وبين النفخ لروح الحياة فتبين ان ما يقال انه متولد من غيره من الالعيان القائمة بنفسها فلا يكون الا من مادة تخرج من ذلك الوالد ولا يكون الا من أصلين والرب تعالى صمد فيمتنع أن يخرج منه شئ وهو سبحانه لم يكن له صاحبة فيمتنع أن يكون له ولد وأما ما يستعمل من تولد الاعراض كما يقال تولد الشعاع وتولد العلم عن الفكر وتولد الشيع عن الاكل وتولدت الحرارة عن الحركة ونحو ذلك فهذا ليس من تولد الالعيان مع ان هذا لا بد له من محل ولا بد له من أصلين ولهذا كان قول النصارى ان المسيح ابن الله مستلزما لمن يقولوا ان مريم صاحبة الله فيجعلون له زوجة وصاحبة كما جعلوا له ولدا بأى معنى فسروا كونه ابنه فانه يفسر الزوجة بذلك المعنى والادلة بتزيهه عن الصاحبة توجب تنزيهه عن الولد فاذا كانوا يصفونه بما هو أبعد عن اتصافه به كان اتصافه بما هو أقل بعدا لازما لهم وقد بسط هذا في الرد على النصارى

الحك فهذه النار استحالته عن الهواء وتلك الاجزاء بسبب قدح أحد الزندين بالآخر وكذلك النور الذي يحصل بسبب انعكاس الشعاع على ما يقابل المضئ كالشمس والنار فان لفظ التور والضوء يقال تارة على الجسم القائم بنفسه كالنار التي في رأس المصباح وهذه لا تحصل الا بمادة تنقلب نارا كالخطب والدهن ويستحيل الهواء أيضا نارا ولا يتقلب الهواء نارا الا بنقص المادة التي اشتعلت أو نقص الزندين وتارة يراد بلفظ التور والضوء والشعاع الشعاع الذي يكون على الارض والحيطان من الشمس أو من النار فهذا عرض ليس بجسم قائم بنفسه لا بد له من محل يقوم به يكون قابلا له فلا بد في الشعاع من جسم مضئ ولا بد من شيء يقابله حتى ينعكس عليه الشعاع وكذلك النار الحاصلة في ذبالة المصباح فاذا وضعت في النار أو وضع فيها خطب فان النار تحل أولا المادة التي هي الدهن أو الخطب فيسخن الهواء المحيط بها فينقلب نارا وانما يتقلب بعد نقص المادة وكذلك الريح التي تحرك النار مثل ما تهب الريح فيشتعل في الخطب ومثل ما ينفخ في الكبر وغيره تبقى الريح المنفوخة تضرم النار لما في محل النار كالخشب والفحم من الاستعداد لا تقلا به نارا وما في حركة الريح القوية من تحريك النار الى المحل القابل له وقد يتقلب أيضا الهواء القريب من النار فان الالهيب هو الهواء اقلب نارا مثل ما في ذبالة المصباح ولهذا اذا طفت صار دخانا وهو هواء مختلط بنار كالبخار وهو هواء مختلط بماء والغبار هواء مختلط بتراب وقد يسمى البخار دخانا ومنه قوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان) قال المفسرون بخار الماء كما جاءت الآثار ان الله خلق السموات من بخار الماء وهو الدخان فالدخان الهواء المختلط بشيء حار ثم قد لا يكون فيه ماء وهو الدخان الصرف وقد يكون فيه ماء فهو دخان وهو بخار كبخار القدر وقد يسمى الدخان بخارا فيقال لمن استجمر بالطيب تجر وان كان لارطوبة هنا بل دخان الطيب سمي بخارا قال الجوهري بخار الماء ما يرتفع منه كالدهان والبخور بالفتح ما يتبخر به لكن انما يصير الهواء نارا بعد أن تذهب المادة التي اقلبت نارا كالخطب والدهن فلم تتولد النار الا من مادة كما لم يتولد الحيوان الا من مادة

فصل ٢٠ — والمقصود أن كل ما يستعمل فيه لفظ التولد من الاعيان القائمة فلا بد أن يكون من أصلين ومن انفصال جزء من الاصل واذا قيل في الشبع والرى انه متولد أو في زهوق الروح ونحو ذلك من الاعراض انه متولد فلا بد في جميع ما يستعمل فيه هذا اللفظ من أصلين لكن العرض يحتاج الى محل لا يحتاج الى مادة



قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) وقد ذكر المفسرون ان جبريل نفخ في جيب درعها والhib هو الطوق الذى في العنق ليس هو ما يسميه بعض العامة حيا وهو ما يكون في مقدم الثوب لوضع الدراهم ونحوها وموسى لما أمره الله أن يدخل يده في جيبه هو ذلك الحيب المعروف في اللغة وذكر أبو الفرج وغيره قولين هل كانت النفخة في جيب الدرع أو في الفرج فان من قال بالأول قال في فرج درعها وان من قال هو مخرج الولد قال انها كناية عن غير مذكور لأنه انما نفخ في درعها لاني فرجها وهذا ليس بشئ بل هو عدول عن صريح القرآن وهذا النقل ان كان ثابتا لم يناقض القرآن وان لم يكن ثابتا لم يلتفت اليه فان من نقل ان جبريل نفخ في جيب الدرع فراده انه لم ينكشف بدنها وكذلك جبريل كان اذا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة متجردة لم ينظر اليها متجردة فنفخ في جيب الدرع فوصلت النفخة الى فرجها والمقصود انما هو النفخ في الفرج كما أخبر الله به في آيتين والا فالنفخ في الثوب فقط من غير وصول النفخ الى الفرج مخالف للقرآن مع انه لا تأثير له في حصول الولد ولم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ولا نقله أحد عن عالم معروف من السلف والمقصود هنا ان المسيح خلق من أصلين من نفخ جبريل ومن أمه مريم وهذا النفخ ليس هو النفخ الذى يكون بعد مضي أربعة أشهر والحين مضى فان ذلك نفخ في بدن قد خلق وجبريل حين نفخ لم يكن المسيح خلق بعد ولا كانت مريم حملت وانما حملت به بعد النفخ بدليل قوله (قال انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا) فلما نفخ فيها جبريل حملت به ولهذا قيل في المسيح روح منه باعتبار هذا النفخ وقد بين الله سبحانه أن الرسول الذى هو روحه وهو جبريل هو الروح الذى خاطبها وقال انما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا فقوله ونفختا فيها أو فيه من روحنا أى من هذا الروح الذى هو جبريل وعيسى روح من هذا الروح فهو روح من الله بهذا الاعتبار ومن لا ابتداء الغاية والمقصود هنا أنه قد يكون الشئ من أصلين بانقلاب المادة التى بينهما اذا التقيا بينهما مادة فتقلب وذلك لقوة حك أحدهما بالآخر فلا بد من نقص أجزائها وهذا مثل تولد النار بين الزنادين اذا قدح الحجر بالحديد أو الشجر بالشجر كالمرخ والعفارقاة بقوة الحركة الحاصلة من قدح أحدهما بالآخر يستحيل بعض أجزائها ويسخن الهواء الذى بينهما فيصير نارا والزندان كما قدح أحدهما بالآخر نقصت احدهما بقوة

ولا يقول عاقل من العقلاء ان هذه الشهادة على مثله أو على غيره ولو قدر أن المعين حيوان أو نبات وشهد ان هذا الحيوان قبضه هذا من هذا وان هذا الشجر سلمه هذا الى هذا كان كلاما معقولا مع الاستحالة وإذا كانت الاستحالة غير مؤثرة فقول القائل يعيده على صفة ما كان وقت موته أو سمنه أو هزاله وغير ذلك جهل منه فان صفة تلك النشأة الثانية ليست مماثلة لصفة هذه النشأة حتى يقال ان الصفات هي المغيرة اذ ليس هناك استحالة ولا استقراغ ولا امتلاء ولا سمن ولا هزال لاسيما أهل الجنة اذا دخلوها فاتهم يدخلونها على صورة أبيهم آدم طول أحدهم ستون ذراعا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما وروى ان عرضه سبعة أذرع وهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخضون وليست تلك النشأة من اخلاط متضادة حتى يستلزم مفارقة بعضها بعضا كما هي هذه النشأة ولا طعامهم مستحيلا ولا شرابهم مستحيلا من التراب والماء والهواء كما هي أطعماتهم في هذه النشأة ولهذا أبقي الله طعام الذي مر على قرية وشرابه ماء عام لم يتغير ودلنا سبحانه بهذا على قدرته فاذا كان في دار الكون والفساد يبقى الطعام الذي هو رطب وغنب أو نحو ذلك والشراب الذي هو ماء أو مافيه ماء مائة عام لم يتغير فقدرته سبحانه وتعالى على أن يجعل الطعام والشراب في النشأة الأخرى لا يتغير بطريق الأولى والأحرى وهذه الأمور لبسطها موضع آخر

فصل في المقصود هنا ان التولد لابد له من أصلين وان ظن ظان ان نفس الهواء الذي بين الزنادين يستحيل نارا بسخوته من غير مادة تخرج منهما تنقلب نارا فقد غلط وذلك لانه لا تخرج نار ان لم يخرج منهما مادة بالحك ولا تخرج النار بمجرد الحك وأيضا فاتهم يقدحون على شيء أسفل من الزنادين كالصوفان والحراق فتزل النار عليه وانما ينزل الثقيل فلولا أن هناك جزأ ثقيلا من الزناد الحديد والحجر لما نزلت النار ولو كان الهواء وحده انقلب نارا لم ينزل لان الهواء طبعه الصعود لا الهبوط لكن بعد أن تنقلب المسادة الخارجة نارا قد ينقلب الهواء القريب منها نارا اما دخانا واما لهيبا والمقصود أن المتولدات خلقت من أصلين كما خلق آدم من التراب والماء والا فالتراب المحض الذي لم يختلط به ماء لا يخلق منه شيء لحيوان ولا نبات والنبات جميعه انما يتولد من أصلين أيضا والمسيح خلق من مريم ونفخة جبريل كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقال (والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) وقال فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا

بأعجب من انقلاب النطفة علقته والعلقة مضغة وحقيقة كل منهما خلاف حقيقة الأخرى  
وأما البدن المتحلل فالأجزاء الثانية تشابه الأولى وتمائلها وإذا كان في الإعادة لا يحتاج  
إلى انقلابه من حقيقة إلى حقيقة فكيف بانقلابه بسبب التحلل ومعلوم أن من رأى  
شخصاً وهو شاب ثم رآه وهو شيخ علم أن هذا هو ذاك مع هذه الاستحالة وكذلك  
سائر الحيوان والنبات كمن غاب عن شجرة مدة ثم جاء فوجدها علم أن هذه هي  
الأولى مع أن التحلل والاستحالة ثابت في سائر الحيوان والنبات كما هو في بدن  
الإنسان ولا يحتاج عاقل في اعتقاده أن هذه الشجرة هي الأولى وأن هذه الفرس  
هي التي كانت عنده من سنين ولا أن هذا الإنسان هو الذي رآه من عشرين سنة إلى  
أن يقدر بقاء أجزاء أصلية لم تحلل ولا يخطر هذا ببال أحد ولا يقتصر العقلاء في  
قولهم هذا هو ذاك على تلك الأجزاء التي لا تعرف ولا تتميز عن غيرها بل إنما  
يشيرون إلى جملة الشجرة والفرس والإنسان مع أنه قد يكون كان صغيراً فكبر ولا  
يقال إنما كان هو ذاك باعتبار أن النفس الناطقة واحدة كما زعمه من ادعى أن البدن  
الثاني ليس هو الأول ولكن المقصود جزاء النفس بنعيم أو عذاب ففي أي بدن كانت  
حصل المقصود فإن هذا أيضاً باطل مخالف للكتاب والسنة واجماع السلف مخالف  
للمعقول من الإعادة فأنافذ ذكرنا أن العقلاء كلهم يقولون هذا الفرس هو ذاك وهذه  
الشجرة هي تلك التي كانت من سنين مع علم العقلاء أن النبات ليس له نفس ناطقة  
تفارقه وتقوم بذاتها وكذلك يقولون مثل هذا في الحيوان وفي الإنسان مع أنه لم يخطر  
بقلوبهم أن المشار إليه بهذا وذاك نفس مفارقة بل قد لا يخطر هذا بقلوبهم فدل على  
أن العقلاء كانوا يعلمون أن هذا البدن هو ذاك مع وجود الاستحالة وعلم بذلك أن  
ما ذكر من الاستحالة لا ينافي أن يكون البهمن الذي يعاد في النشأة الثانية هو هذا  
البدن ولهذا يشهد البدن المعاد بما عمل في الدنيا كما قال تعالى (اليوم نختم على أفواههم  
وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) وقال تعالى (حتى إذا ماجأوها شهد  
عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا  
أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) ومعلوم أن الإنسان لو قال أو فعل فعلاً أو رأى غيره  
يفعل أو سمعه يقول ثم بعد ثلاثين سنة شهد على نفسه بما قال أو فعل وهو الإقرار  
الذي يؤخذ بموجبه أو شهد على غيره من الأموال وأقر به من الحقوق لكانت  
الشهادة على عين ذلك المشهود عليه مقبولة مع استحالة بدنه في هذه المدة الطويلة

الفرق لا يمنع أن يكون قد أعيد الأول <sup>للإنسان</sup> الجسد الثاني مبين للأول من كل وجه كما زعم بعضهم ولأن النشأة الثانية كالأولى من كل وجه كما ظن بعضهم وكما أنه سبحانه خلق الإنسان ولم يكن شيئاً كذلك يعيده بعد أن لم يكن شيئاً وعلى هذا فالإنسان الذي صار تراباً ونبت من ذلك التراب نبت أكله إنسان آخر وهلم جرا! والإنسان الذي أكله إنسان أو حيوان وأكل ذلك الحيوان إنساناً آخر ففي هذا كله قد عدم هذا الإنسان وهذا الإنسان فصار كل منهما تراباً كما كان قبل أن يخلق ثم يعاد هذا ويعاد هذا من التراب إنما يبقى عجب الذنب منه خلق ومنه يركب وأما سائر قدمه فيعاد من المادة التي استحالت إليها فإذا استحالت في القبر الواحد ألف ميت وصاروا كلهم تراباً فانهم يعادون ويقومون من ذلك القبر وينشئهم الله تعالى بعد أن كانوا عدماً محضاً كما أنشأهم أولاً بعد أن كانوا عدماً محضاً وإذا صار ألف إنسان تراباً في قبر أنشأ هؤلاء من ذلك القبر من غير أن يحتاج أن يخلقهم كما خلقهم في النشأة الأولى التي خلقهم منها من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة وجعل نشأتهم بما يستحيل إلى أبدانهم من الطعام والشراب كما يستحيل إلى بدن أحدهم ما يأكله من نبات وحيوان وكذلك لو أكل إنساناً أو أكل حيواناً قد أكل إنساناً فالنشأة الثانية لا يخلقهم فيها بمثل هذه الاستحالة بل يعيد الأجساد من غير أن ينقلهم من نطفة إلى علقه إلى مضغة ومن غير أن يغذوها بدم الطمث ومن غير أن يغذوها بلبن الأم وبسائر ما يأكله من الطعام والشراب فمن ظن أن إعادة محتاج إلى إعادة الأغذية التي استحالت إلى أبدانهم فقد غلط وحينئذ فإذا أكل إنسان إنساناً قائماً صار غذاء له كسائر الأغذية وهو لا يحتاج إلى إعادة الأغذية ومعلوم أن الغذاء ينزل إلى المعدة طعام وشراب ثم يصير كلوساً كالزردة ثم كيموساً كالحريره ثم ينطبخ دماً فيقسمه الله تعالى في البدن كله ويأخذ كل جزء من البدن نصيبه فيستحيل الدم إلى شبيه ذلك الجزء العظم عظماً واللحم لحماً والعرق عرقاً وهذا في الرزق كاستحالتهم في مبدأ الخلق نطفة ثم علقه ثم مضغة وكما أنه سبحانه لا يحتاج في إعادة إلى أن يحيل أحدهم نطفة ثم علقه ثم مضغة فكذلك أغذيتهم لا يحتاج أن يجعلها فاكهة ولحماً ثم يجعلها كلوساً وكيموساً ثم دماً ثم عظماً ولحماً وعروقاً بل يعيد هذا البدن على صفة أخرى لنشأة ثانية ليست مثل هذه النشأة كما قال وتشتكم فيما لا تعلمون ولا يحتاج مع ذلك إلى شيء من هذه الاستحالات التي كانت في النشأة الأولى وبهذا يظهر الجواب عن قوله البدن دائماً في التحلل فإن تحلل البدن ليس

- القول عليه أنه مثله بل قد قال تعالى (قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً وإن كان يسمى مثلاً مقيداً حتى يقال لمن حكى كلام غيره هكذا قال فلان أى مثل هذا قال ويقال فعل هذا عوداً على بدء إذا فعله مرة ثانية بعد أولى ومنه البئر البدى والبئر العادى فالبدى التى ابتدأت والعادى التى أعيدت وليست بنسبة الى عاد كما قيل ويقال استعدته الشيء فأعاده اذا سأله أن يفعله مرة ثانية ومنه سميت العادة يقال عادته واعتاده وتعوده أى صار عادة له وعود كلبه الصيد فتعوده وهو من المعاودة والمعاودة الرجوع الى الأمر الأول ويقال الشجاع معاود لانه لا يمل المراس وعودته الحى وعأوده بالمسئلة أى سأله مرة بعد مرة وتعاود القوم في الحرب وغيره اذا عاد كل فريق الى صاحبه والعواد بالضم مأعيد من الطعام بعد ما أكل منه مرة أخرى وعواد بمعنى عد مثل نزال بمعنى أنزل ففي جميع هذه المواضع يستعمل لفظ الاعادة باعتبار الحقيقة فان الحقيقة الموجودة في المرة الثانية هي الأولى وإن تعدد الشخص ولهذا يقال هو مثله ويقال هذا هو هذا وكلاهما صحيح وأعنى بالحقيقة الأمر الذى يختص بذلك الشخص ليس المراد القدر المشترك بين الفاعلين فان من فعل مثل فعل غيره لا يقال أعاده وإنما يقال حاكاه وشابهه بخلاف ما اذا فعل ثانياً مثل ما فعل أولاً فانه يقال أعاد فعله وكذلك يقال لمن أعاد كلام غيره قد أعاده ولا يقال لمن أنشأ مثله قد أعاده ويقال قرئ على هذا وأعاد على هذا وهذا يقرأ أى يدرس وهذا يعيدولو كان كلاماً آخر مما يمانه لم يقل فيه يعيد وكذلك من كسر خاتماً أو غيره من المصوغ يقال أعاده كما كان ويقال لمن هدم داراً أعدها كما كانت بخلاف من أنشأ أخرى مثلاً فان هذا لا يسمى معيد والمعاد يقال فيه هذا هو الأول بعينه ويقال هذا مثل الأول من كل وجه ونحو ذلك من العبارات الدالة على أنه هو من وجه وهو مثله من وجه وبهذا تزول الشبهات الواردة على هذا الموضع كقول من قال الاعادة لا تكون الا مع اعادة ذلك الزمان ونحو ذلك مما يمنع اعادته في صريح العقل وإنما يعاد بالاثبات بمثله وان قال بعض المتكلمين انه لامغايرة أصلاً بوجه من الوجوه والاعادة التى أخبر الله بها هي الاعادة المعقولة في هذا الخطاب وهي الاعادة التى فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي التى يدل عليها لفظ الاعادة والمعاد هو الأول بعينه وان كان بين لوازم الاعادة ولوازم البدأ فرق فذلك

هو قدرته على اعادتهم كما اخبر بذلك في قوله (أو لم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى) فان القوم ما كانوا ينازعون في أن الله يخلق في هذه الدار ثانيا امثالهم فان هذا هو الواقع المشاهد يخلق قرنا بعد قرن يخلق الولد من الوالدين وهذه هي النشأة الاولى وقد علموها وبها احتج عليهم على قدرته على النشأة الآخرة كما قال (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) وقال (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقال (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم) ولهذا قال (على أن تبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) قال الحسن بن الفضل البجلي الذى عندي في هذه الآية وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى بخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون كيف شئت وذلك انكم علمتم النشأة الاولى كيف كانت في بطون الامهات وليست الآخرة كذلك ومعلوم أن النشأة الأولى كان الانسان نطفة ثم علقه ثم مضغة مخلقة ثم ينفخ فيه الروح وتلك النطفة من منى الرجل والمرأة وهو يغذيه بدم الطمث الذى يريه الله به في ظلمات ثلاث ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن والنشأة الثانية لا يكونون في بطن امرأة ولا يغذون بدم ولا يكون أحدهم نطفة رجل وامرأة ثم يصير علقه بل ينشؤون نشأة أخرى وتكون المادة من التراب كما قال (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وقال تعالى (فيها يحيون وفيها تमوتون ومنها تخرجون) وقال (والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) وفي الحديث ان الارض تمطر مطرا كفى الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات كما قال تعالى كذلك الخروج كذلك التشور وكذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون فعلم ان النشأتين نوعان تحت جنس يتفقان ويتمثلان ويتشابهان من وجه ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر ولهذا جعل المعاد هو المبدأ وجعل مثله أيضا فباعتراف اتفاق المبدأ والمعاد فهو هو وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله وهكذا كل ما أعيد فلغظ الاعادة يقتضى المبدأ والمعاد سواء في ذلك اعادة الاجسام والاعراض كاعادة الصلاة وغيرها فان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يصلى خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة ويقال للرجل أعد كلامك وفلان قد أعاد كلام فلان بعينه ويعيد الدرس فالكلام هو الكلام وان كان صوت الثانى غير صوت الأول وحركته ولا يطلق

البصري ومجاهد كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تمودون يوم القيامة أحياء وقال قتادة بدأهم من التراب والى التراب يمودون كما قال تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وقال (فيها يحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) وهو قد شبه سبحانه إعادة الناس في النشأة الثانية بأحياء الأرض بدموتها في غير موضع كقوله (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) وقال (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي) الى قوله (وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) وقال تعالى (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفي ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير) وقال تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) وهو سبحانه مع إخباره أنه يعيد الخلق وأنه يحيي العظام وهي رميم وأنه يخرج الناس من الأرض تارة أخرى هو يخبر أن المعاد هو المبدأ كقوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) ويخبر أن الثاني مثل الأول كقوله تعالى (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وقال تعالى (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يبعثنا قل الذي فطركم أول مرة فيستحيون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوك فتستحيون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) وقال تعالى (أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) وقال تعالى (أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير) وقال (افرايتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشكم فيما لا تعلمون ولقد علمت النشأة الأولى فلو لا تذكرون) والمراد بقدرته على خلق مثلهم

الذين بنوا على أصول الجهمية والقدرية في مسائل الخلق والبعث والمبدأ والمعاد وكلا الطريقين فاسد إذ بنوه على مقدمات فاهية والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء من أن الاجسام تنقلب من حال الى حال انما يذكره عن الفلاسفة والاطباء وهذا القول وهو القول في خلق الله للاجسام التي يشاهد حدوثها انه يقلبها ويحييها من جسم الى جسم هو الذي عليه السلف والفقهاء قاطبة والجمهور ولهذا يقول الفقهاء في النجاسة هل تطهر بالاستحالة أم لا كما تستحيل العذرة رمادا والحزير وغيره ملحا ونحو ذلك والمنى الذي في الرحم يقلبه الله علقه ثم مضغه وكذلك الثمر يخلق بقلب المادة التي يخرجها من الشجرة من الرطوبة مع الهواء والماء الذي نزل عليها وغير ذلك من المواد التي يقلبها ثمرة بمشيئته وقدرته وكذلك الحبة يقلبها وتقلب المواد التي يخلقها منها سنبلة وشجرة وغير ذلك وهكذا خلقه لما يخلقه سبحانه وتعالى كما خلق آدم من الطين فقلب حقيقة الطين فجعلها عظما ولحما وغير ذلك من أجزاء البدن وكذلك المضغة يقلبها عظاما وغير عظام قال الله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) وكذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد نارا كما قال (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) فنفس تلك الاجزاء التي خرجت من الشجر الاخضر جعلها الله نارا من غير أن يكون كان في الشجر الاخضر نار أصلا كما لم يكن في الشجرة ثمرة أصلا ولا كان في بطن المرأة جنين أصلا بل خلق هذا الموجود من مادة غيره بقلبه تلك المادة الى هذا وبما ضمه الى هذا من مواد آخر وكذلك الاعادة يعيده بعد أن يبلى كله الإعجب الذنب كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل ابن آدم يبلى الإعجب الذنب منه خلق ابن آدم ومنه يركب وهو اذا أعاد الانسان في النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة ماثلة لهذه فان هذه كائنة فاسدة وتلك كائنة لافاسدة بل باقية دائمة وليس لاهل الجنة فضلات فاسدة تخرج منهم كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون ولا يتمخطون وانما هو رشح كرش المسك وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) فهم يعودون غلفا لا مخونين وقال الحسن



- الاعراض الى جنس آخر فلو قالوا أن الاجسام مخلوقة وان المخلوق ينقلب من جنس آخر لزم انقلاب الاجناس فهو لا يقولون ان التولد الحاصل في الرحم والنثر الحاصل في الشجر والنار الحاصلة في الزناد هي جواهر كانت في المادة التي خلق منها وهي بعينها باقية لكن غرت صفتها بالاجتماع والافتراق والحركة والسكون ولهذا لما ذكر أبو عبد الله الرازي أدلة اثبات الصانع ذكر أربعة طرق امكان الذوات وحدوثها وامكان الصفات وحدوثها والطرق الثلاثة الاول ضعيفة بل باطلة فان الذوات التي ادعوا حدوثها أو امكانها وامكان صفاتها ذكروها بألفاظ مجملة لا يتميز فيها الخالق عن المخلوق ولم يقيموا على ما ادعوه دليلاً صحيحاً وأما الطريق الرابع وهو الحدوث لما يعلم حدوثه فهو طريق صحيح وهو طريق القرآن لكن قصروا فيه غاية التقصير فانهم على أصلهم لم يشهدوا حدوث شيء من الذوات بل حدوث الصفات وطريقة القرآن تبين ان كل ما سوى الله مخلوق وانه آية لله وقد بسط الكلام على ما في القرآن من البراهين والآيات التي لم يصل اليها هؤلاء المتكلمة والمتفلسفة وان كل ما عندهم من حق فهو جزء مما دل عليه القرآن في غير موضع والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا أصلهم في ابتداء الخلق وهو القول بآبائ الجواهر الفرد كان أصلهم في المعاد مبني عليه فصاروا على قولين منهم من يقول بعدم الجواهر ثم تعادو منهم من قال تفرق الاجزاء ثم تجتمع فالورد عليهم الانسان الذي يأكله حيوان وذلك الحيوان أكله انسان آخر فان أعيدت تلك الاجزاء من هذا لم تعد من هذا وأورد عليهم ان الانسان يتحلل دائماً فإذا الذي يعاد هو الذي كان وقت الموت فان قيل بذلك لزم أن يعاد على صورة ضعيفة وهو خلاف ما جاءت به النصوص وان كان غير ذلك فليس بعض الابدان بأولى من بعض فادعى بعضهم أن في الانسان أجزاء أصلية لا تتحلل ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني والعلاء يعلمون ان بدن الانسان نفسه كله يتحلل ليس فيه شيء باق فصار ما ذكره في المعاد مما قوى شهة المتفاسفة في إنكار معاد الابدان وأوجب ان صار طائفة من النظر الى أن الله يخلق بدنًا آخر تعود الروح اليه والمقصود تعميم الروح وتعذيبها سواء كان في هذا البدن أو في غيره وهذا أيضاً مخالف للنصوص الصريحة باعادة هذا البدن وهذا المذكور في كتب الرازي فليس في كتبه وكتب أمثاله في مسائل أصول الدين الكبار القول الصحيح الذي يوافق المنقول والمعقول الذي بعث الله به الرسول وكان عليه سلف الامة وأتمها بل يذكر بحوث المتفلسفة الملاحدة وبحوث المتكلمين المبتدعة

والمعدن والمطر والنار التي توري بالزناد وغير ذلك هل تحدث اعيان هذه الاجسام فتقلب هذا الجنس الى جنس آخر كما يقلب المني علقته ثم مضغة أولا تحدث الاعراض وأما الاعيان التي هي الجواهر فهي باقية بغير صفاتها بما يحدثه فيها من الاكوان الاربعة الاجتماع والافتراق والحركة والسكون على قولين فالقائلون بان الاجسام مركبة من الجواهر المفردة التي لا تقبل التجزى كما يقوله كثير من أهل الكلام وأما من جواهر لانهاية لها كما يحكي عن النظام فالقائلون بان الاجسام مركبة من الجواهر يقولون ان الله لا يحدث شيئا قائما بنفسه وانما يحدث الاعراض التي هي الاجتماع والافتراق والحركة والسكون وغير ذلك من الاعراض ثم من قال منهم بان الجواهر محدثة قال ان الله أحدثها ابتداء ثم جميع ما يحدثه انما هو احداث اعراض فيها لا يحدث الله بعد ذلك جواهر وهذا قول أكثر المعتزلة والجهمية والاشعرية ونحوهم ومن أكبر هؤلاء من يظن ان هذا دين المسلمين ويذكر اجماع المسلمين عليه وهو قول لم يقل به أحد من سلف الامة ولا جمهور الامة بل جمهور الامة حتى من طوائف أهل الكلام ينكرون الجوهر الفرد وتركب الاجسام من الجواهر وابن كلاب امام اتباعه هو ممن ينكر الجوهر الفرد وقد ذكر ذلك أبو بكر بن فورك في مصنفه الذي صنفه في مقالات ابن كلاب وما بينه وبين الاشعرى من الخلاف وهكذا في الجوهر الفرد قول الهشامية والضرارية وكثير من الكرامية والتجارية أيضا وهؤلاء القائلون بان الاجسام مركبة من الجواهر المفردة المشهور عنهم بان الجواهر متماثلة بل ويقولون أو أكثرهم ان الاجسام متماثلة لأنها مركبة من الجواهر المتماثلة وانما اختلفت باختلاف الاعراض وتلك صفات عارضة لها ليست لازمة فلا تنفي التماثل فان حد المثلين أن يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه وكذلك الاجسام المؤلفة من الجواهر ولهذا اذا أثبتوا حكما لجسم قالوا هذا ثابت لجميع الاجسام بناء على التماثل وأكثر العقلاء ينكرون هذا وحذاقهم قد أبطلوا الحجج التي احتجوا بها على التماثل كما ذكر ذلك الرازي والآمدى وغيرهما وقد بسط الكلام على هذا في مواضع والاشعرى في كتاب الابانة جعل القول بتمائل لاجسام من أقوال المعتزلة التي أنكرها وهؤلاء يقولون ان الرب يخص أحدا الجسمين المتماثلين باعراض دون الآخر بمجرد المشيئة على أصل الجهمية أو لم يأت آخر مما يقوله القدريه ويقولون بمتنع انقلاب الاجناس فلا ينقلب الجسم عرضا ولا جنسا من

واحد من كونه أحدا ومن كونه صمدا يمنع أن يكون والدا ويمنع أن يكون مولودا بطريق الاولى والأخرى وكما أن التوالد من الحيوان لا يكون الا من أصلين سواء كان الاصلان من جنس الولد وهو الحيوان المتولد أو من غير جنسه وهو المتولد فكذلك في غير الحيوان كالنار المتولدة من الزندين سواء كانا خشبتين أو كانا حجرا وحديدا أو غير ذلك قال الله تعالى (فالمرقيات قدحا) وقال تعالى (أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين) وقال تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) قال غير واحد من المفسرين هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ والاخرى العفار فن أراد منهما النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضرا وان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتخرج منهما النار باذن الله تعالى وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال بعض الناس في كل شجرة نار الا العناب فإذا أنتم منه توقدون فذلك زنادهم وقد قال أهل اللغة الجوهري وغيره الزند الذي يقدح به النار وهو أعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهي الانثى فإذا اجتمعا قيل زندان وقال أهل الخبر بهذا أنهم يسحقون الثقب الذي في الانثى بالاعلى كما يفعل ذكر الحيوان في أنثاه فبذلك السحق والحك يخرج منهما أجزاء ناعمة تنقدح منها النار فتتولد النار من مادة الذكر والانثى كما يتولد الولد من مادة الرجل والمرأة وسحق الانثى بالذكر وقدحها به يقتضى حرارة كل منهما ويتحالم من كل منهما مادة تنقدح منها النار كما ان ايلاج ذكر الحيوان في انثاه بقدح وحك فرجها بفرجه فتقوى حرارة كل منهما ويتحالم من كل منهما مادة يتمزج بالأخرى ويتولد منهما الولد ويقال علقت النار في المحل الذي يقدح عليه الذي هو كالرحم للولد وهو الحراق والصوفان ونحو ذلك مما يكون أسرع قبولاً للنار من غيره كما علقت المرأة من الرجل وقد لا تعلق النار كما قد لا تعلق المرأة وقد لا تنقدح نار كما لا ينزل منى والنار ليست من جنس الزنادين بل تولد النار منهما كتولد حيوان من الماء والطين فان الحيوان نوعان متوالد كالانسان وبهيمة الانعام وغير ذلك مما يخلق من ابوين ومتولد كالذئب يتولد من الفأكة والحل وكالتمل الذي يتولد من وسخ جلد الانسان وكالفار والبراغيث وغير ذلك مما يخلق من الماء والتراب وقد تنازع الناس فيما يخلق الله من الحيوان والنبات

الا لعبدون ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون ان الله هو الرازق) \* ومن مخلوقاته الملائكة وهم صمد لا يأكلون ولا يشربون فالخالق لهم جل جلاله أحق بكل غنى وكمال جعله لبعض مخلوقاته فلماذا فسر بعض السلف الصمد بأنه الذى لا يأكل ولا يشرب والصمد المصمد الذى لا جوف له فلا يخرج منه عين من الاعيان فلا يلد ولذلك قال من قال من السلف هو الذى لا يخرج منه شئ ليس مرادهم انه لا يتكلم وان كان يقال في الكلام انه خرج منه كما قال في الحديث ما تقرب العباد الى الله بشئ أفضل مما خرج منه يعنى القرآن وقال أبو بكر الصديق لما سمع قرآن مسيلة ان هذا لم يخرج من إلّا فخرج الكلام من المتكلم هو بمعنى أنه يتكلم به فيسمع منه ويبلغ الى غيره ليس بمخلوق في غيره كما يقول الجهمية ليس بمعنى ان شيئاً من الاشياء القائمة به يفارقه وينتقل عنه الى غيره فان هذا ممتنع في صفات المخلوقين ان تفارق الصفة عملها وتنتقل الى غير عملها فكيف بصفات الخالق جل جلاله وقد قال تعالى في كلام المخلوقين (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) وتلك الكلمة هى قائمة بالمتكلم وسمعت منه ليس خروجها من فيه ان مقام بذاته من الكلام فارق ذاته وانتقل الى غيره فخرج كل شئ بحسبه ومن شأن العلم والكلام اذا استفيد من العالم والمتكلم أن لا ينقص من محله ولهذا شبه بالنور الذى يقبّس منه كل أحد الضوء وهو باق على حاله لم ينقص فقول من قال من السلف الصمد هو الذى لم يخرج منه شئ كلام صحيح بمعنى أنه لا يفارقه شئ منه ولهذا امتنع عليه أن يلد وأن يولد وذلك ان الولادة والمتولد وكل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون الا من أصليين وما كان من المتولد عينا قائمة بنفسها فلا بد لها من مادة تخرج منها وما كان عرضاً قائماً بغيره فلا بد له من محل يقوم به فالأول نفاء بقوله أحد فان الاحدهو الذى لا كفو له ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة والتولد انما يكون بين شيئين قال تعالى (أتى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخالق كل شئ وهو بكل شئ عليم) فنفى سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه فان انتفاء الازم يدل على انتفاء المازوم وبأنه خالق كل شئ وكل ماسواه مخلوق له ليس فيه شئ مولود له والثاني نفاء بكونه سبحانه الصمد وهذا المتولد من أصليين يكون مجزئين ينفصلان من الأصليين كتولد الحيوان من أبيه وأمه بالمنى الذى ينفصل من أبيه وأمه فهذا التولد يفتقر الى أصل آخر والى أن يخرج منهما شئ وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى فانه أحد فليس له كفو يكون صاحبة ونظيراً وهو صمد لا يخرج منه شئ فكل

كان أعرف بالحديث وعلمه وأفقّه في معانيه من مسلم ونحوه وذكر ابن الجوزي في مواضع آخر أن هذا قول ابن اسحق وقال ابن الأنباري وهذا اجماع أهل العلم وذكر قولاً ثالثاً في ابتداء الخلق أنه يوم الاثنين وقال قال ابن اسحق وهذا تناقض وذكر أن هذا قول أهل الأنجيل والابتداء يوم الاحد قول أهل التوراة وهذا النقل غلط على أهل الأنجيل كما غلط من جعل الاول اجماع أهل العلم من المسلمين وكأن هؤلاء ظنوا أن كل أمة تجعل اجتماعها في اليوم السابع من الايام السبعة التي خلق الله فيها العالم وهذا غلط فإن المسلمين إنما اجتماعهم في آخر يوم خلق الله فيه العالم وهو يوم الجمعة كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة والمقصود هنا أن لفظ الاحد لم يوصف به شيء من الالعيان الا الله وحده وإنما يستعمل في غير الله في النفي قال أهل اللغة يقول لأحد في الدار ولا تقل فيها أحد ولهذا لم يحىء في القرآن الا في غير الموجب كقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) وكقوله (لستن كاحد من النساء) وقوله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره) وفي الاضافة كقوله فابشروا أحدكم وجعلنا لآدمهما جنتين وأما اسم الصمد فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين كما تقدم فلم يقل الله صمد بل قال الله الصمد فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ماسواه فانه المستوجب لغايته على الكمال والمخلوق وان كان صمداً من بعض الوجوه فان حقيقة الصمدية منتفية عنه فانه يقبل التفرق والتجزئة وهو أيضاً محتاج الى غيره فان كل ماسوى الله محتاج اليه من كل وجه فليس أحد يصمد اليه كل شيء ولا يصمد هو الى شيء الا الله وليس في المخلوقات الا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق ويتقسم وينفصل بعضه من بعض والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك بل حقيقة الصمدية وكما له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه كما لا يمكن تنية أحديته بوجه من الوجوه فهو أحد لا يماثله شيء من الاشياء بوجه من الوجوه كما قال في آخر السورة ولم يكن له كفواً أحد استعملها هنا في النفي أي ليس شيء من الاشياء كفواً له في شيء من الاشياء لانه أحد وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أنت سيدنا فقال السيد الله ودل قوله الاحد الصمد على انه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فان الصمد هو الذي لا جوف له ولا أحشاء فلا يدخل فيه شيء فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى كما قال (أفـير الله اتخذ ولياً فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم) وفي قراءة الاعشى وغيره ولا يطعم بالفتح وقال تعالى (وما خلقت الجن والانس

وان كان قد قيل ان المراد به أنها تنصدع فيموتون فانه كقيل في مثل ذلك قد انصدع قلبه وقد تفرق قلبي وقد تشتت قلبي وقد تقسم قلبي ومنه يقال للخوف قد فرق قلبه ويقال بازاء ذلك هو ثابت القلب مجتمع القلب مجموع القلب

**فصل** قال الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد فادخل اللام في الصمد ولم يدخلها في أحد لانه ليس في الموجودات ما يسمى أحدا في الإثبات مفردا غير مضاف بخلاف النبي وما في معناه كالشرط والاستفهام فانه يقال هل عندك أحد وما جاءني أحد الا أكرمه وانما استعمل في العدد المطلق يقال أحد اثنان ويقال احدى عشر وفي أول الايام يقال يوم الاحد فان فيه على أصح القولين ابتداء الله خلق السموات والارض وما بينهما كما دل عليه القرآن والأحاديث الصحيحة فان القرآن أخبر في غير موضع أنه خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وقد ثبت في الحديث الصحيح المتفق على صحته ان آخر المخلوقات كان آدم خلق يوم الجمعة واذا كان آخر الخلق كان يوم الجمعة دل على أن أوله كان يوم الاحد لانها ستة وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله خلق التربة يوم السبت فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره قال البخاري الصحيح انه موقوف على كعب وقد ذكر تعليقه البيهقي أيضا وبينوا انه غلط ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مما أنكر الحذاق على مسلم اخراجه اياه كما أنكروا عليه اخراج أشياء يسيرة وقد بسط هذا في موضع آخر وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في قوله خلق الارض في يومين قال ابن عباس خلق الارض في يوم الاحد والاثنتين وبه قال عبد الله بن سلام والضحاك ومجاهد وابن جريج والسدي والاكثرون وقال مقاتل في يوم الثلاثاء والاربعاء قال وقد أخرج مسلم حديث أبي هريرة خلق التربة يوم السبت قال وهذا الحديث مخالف لما تقدم وهو أصح فصحح هذا لفظه صحة الحديث إذ رواه مسلم ولكن هذا له نظائر روى مسلم أحاديث قد عرف انها غلط مثل قول أبي سفيان لما أسلم أريد أن أزوجه أم حبيبة ولاخلاف بين الناس انه تزوجها قبل اسلام أبي سفيان ولكن هذا قليل جدا ومثل ما روى في بعض طرق حديث صلاة الكسوف انه صلاها بثلاث ركوعات وأربع والصواب انه لم يصلها الا مرة واحدة بركوعين ولهذا لم يخرج البخاري الا هذا وكذلك الشافعي وأحمد بن حنبل في احدى الروايتين عنه وغيرهما والبخاري سلم من مثل هذا فانه اذا وقع في بعض الروايات غلط ذكر الروايات المحفوظة التي تين غلط الغلط فانه

آخر ومنه قول ابن عباس إنما حرم من الحرير المصمت فالمصمد والمصمت متفقان في الاشتقاق الأكبر وليست الدال منقلبة عن التاء بل الدال أقوى والمصمد أكمل في معناه من المصمت وكلما قوى الحرف كان معناه أقوى فان لغة العرب في غاية الاحكام والتناسب ولهذا كان الصمت امساكا عن الكلام مع امكانه والانسان أجوف يخرج الكلام من فيه لكنه قد يصمت بخلاف الصمد فانه انما استعمل فيما لا تفرق فيه كالصمد والسيد والصمد من الارض وصمد القارورة ونحو ذلك فليس في هذه الالفاظ المتناسبة أكمل من ألفاظ الصمد فان فيه الصاد والميم والدال وكل من هذه الحروف الثلاثة لها مزية على ما يناسبها من الحروف والمعاني المدلول عليها بمثل هذه الحروف أكمل ومما يناسب هذه المعاني معنى الصبر فان الصبر فيه جمع وامساك ولهذا قيل الصبر حبس النفس عن الجزع يقال صبر وصبرته أنا ومنه قوله تعالى (واصبر نفسك) وكذلك معنى السيد الصمد خلاف معنى الجزوع المتنوع ومنه الصبرة من الطعام فانها مجتمعة بمكومة والصبارة الحجارة وصبر الشيء غلظه وضده الجزع وفيه معنى التقطع والتفرق يقال جزع له جزءة من المال أى قطع له قطعة والجزوعة القطعة من الغنم واجتزعت من الشجر عودا أى اقتطعته واكتسرتة وجزعت الوادى اذا قطعتة عرضا والجزع منعطف الوادى ومنه الجزع وهو الخرز اليماني الذي فيه بياض وسواد وكذلك جزع البسر تجزيعا اذا أرطب نصفه ثلثاه وهو خلاف قولهم مصمت للون الواحد لما في ذلك من الاجتماع وفي هذا من التفرق \* وقد قال تعالى (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) قال الجوهري الهلع أخش الجزع وقال غيره هو في اللغة أشد الحرص واسوأ الجزع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم شرماني المرء شح هالع وجبن خالع \* وناق هلوع اذا كانت سريعة السير خفيفة وذئب هلع بع والهلع من الحرص والبلع من الابتلاع ولهذا كان كلام السلف في تفسيره يتضمن هذه المعاني فروى عن ابن عباس قال هو الذي اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وروى عنه انه قال هو الخريص على ما لا يحل له وعن سعيد بن جبير شحيحا وعن عكرمة ضجورا وعن جعفر حريصا وعن الحسن والضحاك بخيلا وعن مجاهد شرها وعن الضحاك أيضا الهلوع الذي لا يشبع وعن مقاتل ضيق القلب وعن عطاء عجولا وهذه المعاني كلها تنافي الثبات والقوة والاجتماع والامساك والصبر وقد قال تعالى (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم) وهذا

قاصد وقد استد الشيء\* استقام قال الشاعر

أعلمه الرماية كل يوم ۞ فلما استد ساعده رمانى

\* وقال الاصمعي اشتد بالشين المعجدة ليس بشئ وتعيرهم عن السداد بالقصد يدلك على ان لفظ القصد فيه معنى الجمع والقوة والقصد العدل كما أنه السداد والصواب وهو المطابق الموافق الذى لا يزيد ولا ينقص وهذا هو الجامع المطابق ومنه قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) أى السبيل القصد وهو السبيل العدل أى إليه تنهى السبيل العادلة كما قال تعالى (إن علينا للهدى) أى الهدى إلينا هذا أصح الاقوال في الآيتين وكذلك قوله تعالى (قال هذا صراط على مستقيم) ومنه في الاشتقاق الاوسط الصدق فان حروفه حروف القصد فنه الصدق في الحديث لمطابقته مخبره كما قيل في السديد والصدق بالفتح الصلب من الرماح ويقال المستوى فهو معتدل صلب ليس فيه خلل ولا عوج والصندوق واحد الصناديق فانه يجمع ما يوضع فيه ومما ينبغي أن يعرف في باب الاشتقاق أنه اذا قيل هذا مشتق من هذا فله معنيان أحدهما ان بين القولين تناسباً في اللفظ والمعنى سواء كان اهل اللغة تكلموا بهذا بعد هذا أو بهذا بعد هذا وعلى هذا فكل من القولين مشتق من الآخر فان المقصود أنه مناسب له لفظاً ومعنى كما يقال هذا الماء من هذا الماء وهذا الكلام من هذا الكلام وعلى هذا فاذا قيل ان الفعل مشتق من المصدر أو المصدر مشتق من الفعل كان كلا القولين صحيحاً وهذا هو الاشتقاق الذى يقوم عليه دليل التصريف وأما المعنى الثانى في الاشتقاق وهو أن يكون أحدهما أصلاً للآخر فهذا اذا عنى به ان أحدهما تكلم به قبل الآخر لم يقم على هذا دليل في الاكثر من المواضع وان عنى به ان أحدهما متقدم على الآخر في العقل لكون هذا مفرداً وهذا مركباً فالفعل مشتق من المصدر والاشتقاق الاصغر اتفاق القولين في الحروف وترتيبها والاوسط اتفاقهما في الحروف لافى الترتيب والاكبر اتفاقهما في أعيان بعض الحروف وفي الجنس في الباقي كاتفاقهما في كونهما من حروف الحلق اذا قيل حزر وعزر وازر فان الجميع فيه معنى القوة والشدة وقد اشتركت الراء والزاي والحاء في ان الثلاثة حروف حلقية وعلى هذا فاذا قيل الصمد بمعنى المصمت وانه مشتق منه بهذا الاعتبار فهو صحيح فان الدال أخت التاء في ان الصمت السكوت وهو امساك واطباق للفم عن الكلام قال أبو عبيد المصمت الذى لا جوف له وقد أصمته أنا وباب مصمت قد أبهم اغلاقه والمصمت من الخيل البهم أى لون كان لا يخالط لونه لون



الشيء خالصه حيث لم يدخل اليه ما يفوقه ويضعفه يقال صميم الحر وصميم البرد وفلان من صميم قومه والصمصام الصارم القاطع الذي لا ينثنى وصمم في السير وغيره أى مضى ورجل صمصم أى غليظ ومنه في الاشتقاق الأكبر الصوم فان الصوم هو الامساك \* قال أبو عبيدة كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم لان الامساك فيه اجتماع والصائم لا يدخل جوفه شيء \* ويقال صام الفرس اذا قام في غير اعتلاف \* قال النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلق اللجما  
\* وكذلك السد والسداد والسؤدد والسواد \* وكذلك لفظ الصمد فيه الجمع والجمع فيه القوة فان الشيء كلما اجتمع بعضه الى بعض ولم يكن فيه خلل كان أقوى مما اذا كان فيه خلل \* ولهذا يقال للمكان الغليظ المرتفع صمد لقوته وتماسكه واجتماع أجزائه والرجل الصمد هو السيد المصمود أى المقصود يقال قصده وقصدت له وقصدت اليه وكذلك هو مصمود ومقصود له واليه والناس انما يقصدون في حوائجهم من يقوم بها وانما يقوم بها من يكون في نفسه مجتمعا قويا ثابتا وهو السيد الكريم بخلاف من يكون هلوعا جزوعا يتفرق ويلحق ويتمزق من كثرة حوائجهم وثقلها فان هذا ليس بسيد صمد يصمدون اليه في حوائجهم فهم انما سموا السيد من الناس صمدا لما فيه من المعنى الذى لاجله يقصده الناس في حوائجهم فليس معنى السيد في لغتهم معنى اضافي فقط كلفظ القرب والبعد بل هو معنى قائم بالسيد لاجله يقصده الناس والسيد من السؤدد والسواد وهذا من جنس السداد في الاشتقاق الأكبر فان العرب تعاقب بين حرف العلة والحرف المضاعف كما يقولون تقضى البازى وتقضض والساد هو الذى يسد غيره فلا يبقى فيه خلل ومنه سداد القارورة وسداد الثغر بالكسر فهما وهو ما يسد ذلك ومنه السداد بالفتح وهو الصواب ومنه القول السديد قال الله تعالى (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) قالوا قصدا حقا وعن ابن عباس صوابا وعن قتادة ومقاتل عدلا وعن السدى مستقيما وكل هذه الاقوال صحيحة فان القول السديد هو المطابق الموافق فان كان خبرا كان صدقا مطابقا لخبره لا يزيد ولا ينقص وان كان أمرا كان أمرا بالعدل الذى لا يزيد ولا ينقص ولهذا يفسرون السداد بالقصد والقصد بالعدل قال الجوهري التسديد التوفيق للسداد وهو الصواب والقصد في القول والعمل ورجل مسدد اذا كان يعمل بالسداد والقصد والمسدد المقوم وسدد رحمة وأمر سديد وأسدأى

\* يغادر الصمد كظهر الاجزل \*

وأصل هذه المادة الجمع والقوة ومنه يقال يصمد المال أى يجمعه وكذلك السيد أصله سيود اجتمعت ياء وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت كما قيل ميت وأصله ميوت والمادة في السواد والسؤدد تدل على الجمع واللون الاسود هو الجامع للبصر وقد قال تعالى وسيدا وحصورا \* قال أكثر السلف سيدا حلما وكذلك يروى عن الحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء وأبى الشعثاء بن أنس ومقاتل \* وقال أبو روق عن الضحاك إنه الحسن الخلق \* وروى سالم عن سعيد بن جبير أنه التقي ولا يسود الرجل الناس حتى يكون في نفسه مجتمع الخلق نابتا \* وقال عبد الله بن عمر ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية ف قيل له ولا أبو بكر ولا عمر قال كان أبو بكر وعمر خيرا منه وما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية \* قال أحمد بن حنبل يعنى به الحلم أو قال الكرم ولهذا قيل اذا شئت يوما ان تسود قبيلة \* فبالحلم سد لابلتسرع والشم

ولهذا فسر طائفة من السلف السيد بأنه سيد قومه في الدين وقال ابن زيد هو الشريف وقال الزجاج الذى يفوق قومه في الخير وقال ابن الانبارى السيد هنا الرئيس والامام في الخير وعن ابن عباس ومجاهد هو الكريم على ربه وعن سعيد بن المسيب هو الفقيه العالم وقد تقدم انهم يقولون لعفاص القارورة صماد قال الجوهري العفاص جلد يلبسه رأس القارورة وأما الذى يدخل في فمه فهو الصمام وقد غفست القارورة شددت عليها العفاص \* قلت وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في اللقطة ثم أعرف عفاصها ووكاءها والمراد بالعفاص ما يكون فيه الدراهم كالخرقة التى تربط فيها الدراهم والوكاء مثل الخيط الذى يربط به وهذا من جنس عفاص القارورة ولفظ العفاص والسد والصمد والجمع والسؤدد معانيها متشابهة فيها الجمع القوة ويقال طعام غفص وفيه عفوصة أى تقبض ومنه الغفص الذى يتخذ منه الخبر \* وقد قال الجوهري هو مولد ليس من كلام أهل البادية وهذا لا يضر لانه لم يكن عندهم غفص يسمونه بهذا الاسم لكن التسمية به جارية على أصول كلام العرب وكذلك تسميتهم لما يدخل في فمه صمام فان هذه المادة فيها معنى الجمع والسد \* قال الجوهري صمام القارورة سدادها والحجر الاصم الصلب المصمت والرجل الاصم هو الذى لا يسمع لان سداد سمعه والرجل الصمة الشجاع والصمة الذكرك من الحيات وصميم

الذى لاجوف له **صد ثنا** أبو كريب ثنا وكيع عن منصور سواء **صد ثنا** الحارث  
 ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **صد ثنا** ابن بشار ثنا عبد  
 الرحمن ثنا الربيع بن مسلمة عن الحسن قال الصمد الذى لاجوف له وهذا الاسناد  
 عن ابراهيم بن ميسرة قال أرسلنى مجاهد الى سعيد بن جبير أسأله عن الصمد فقال  
 الذى لاجوف له **صد ثنا** ابن بشار ثنا يحيى ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبي  
 قال الصمد الذى لا يطعم الطعام ورواه يعقوب عن هشيم عن اسمعيل عنه قال لا يأكل  
 الطعام ولا يشرب الشراب **صد ثنا** بشار وزيد بن أخزم قالا ثنا ابن داود عن  
 المستقيم بن عبد الملك عن سعيد بن المسيب قال الصمد الذى لاحشوه له **صد ثنا**  
 الحسين ثنا أبو معاذ ثنا عيسى قال سمعت الضحاك يقول الصمد الذى لاجوف له  
 وروى عن ابن بريدة فيه حديثا مرفوعا لكنه ضعيف قال وقال آخرون هو  
 الذى لا يخرج منه شيء **صد ثنا** يعقوب بن أبى عليه عن أبى رجاء سمعت عكرمة قال  
 في قوله الصمد لم يخرج منه شيء لم يلد ولم يولد **صد ثنا** ابن بشار ثنا محمد بن جعفر  
 ثنا شعبة عن أبى رجاء محمد بن يوسف عن عكرمة قال الصمد الذى لا يخرج منه شيء  
 \* وقال آخرون لم يلد ولم يولد وذكر حديث أبى بن كعب الذى رواه ابن أبى حاتم  
 والذى فيه أنه سبحانه لا يموت ولا يورث قال وقال آخرون هو السيد الذى انتهى في  
 سؤده \* وقال وثنا أبو السائب ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق قال الصمد  
 هو السيد الذى انتهى في سؤده **صد ثنا** أبو كريب وابن بشار وابن عبد الأعلى  
 قالوا ثنا وكيع عن الأعمش عن أبى وائل قال الصمد السيد الذى انتهى في سؤده  
**صد ثنا** ابن حميد ثنا مهران عن سفيان عن الأعمش عن أبى وائل مثله **صد ثنا**  
 أبو صالح ثنا معاوية عن على عن ابن عباس في قوله الصمد قال السيد الذى كمل في  
 سؤده وذكر مثل الحديث الذى رواه ابن أبى حاتم كما تقدم \* قلت الاشتقاق  
 يشهد للقولين جميعا قول من قال ان الصمد الذى لاجوف له وقول من قال انه السيد  
 وهو على الأول أدل فان الأول أصل للثاني ولفظ الصمد يقال على مالا جوف له في  
 اللغة \* قال يحيى بن أبى كثير الملائكة صمد والآدميون جوف وفي حديث آدم ان  
 ابليس قال عنه انه أجوف ليس بصمد \* وقال الجوهري المصمدة في المصمت  
 وهو الذى لاجوف له \* قال والصماد عفاص القارورة \* وقال الصمد المكان  
 المرتفع الغايظ قال أبو النجم

الله عليه وسلم منهم كعب بن الاشرف وحي بن أخطب وجدى بن أخطب فقالوا  
يا محمد صف لنا ربك الذى بعثك فأنزل الله قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد فيخرج  
ابنه الولد ولم يولد فيخرج منه شئ وقال ابن جرير الطبرى في تفسيره **حدَّثَنَا** احمد  
من منيع المروزى ومحمود بن خدّاش الطالقانى فذكر مثل اسناد ابن أبى حاتم عن  
أبى بن كعب سؤال المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم إنسب لنا ربك فأنزل الله قل  
هو الله أحد **حدَّثَنَا** ابن حميد ثنا يحيى بن واضح ثنا الحسين عن يزيد عن  
عكرمة ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن صفة ربك ما هو  
ومن أى شئ هو فأنزل الله هذه السورة ورواه أيضا عن أبى العالية وعن جابر بن  
عبد الله **حدَّثَنَا** شريح ثنا اسمعيل بن مجاهد عن الشعبي عن جابر فذكره قال وقيل  
هو من سؤال اليهود **حدَّثَنَا** ابن حميد ثنا سلمة ثنا ابن اسحق عن محمد بن سعيد  
قال أتى رهط من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق  
فمن خلقه فنضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه  
فجاءه جبريل فسكنه وقال اخفض عليك جناحك يا محمد وجاءه من الله جواب ماسأله  
عنه قال يقول الله قل هو الله أحد الى آخرها فلما تلاها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم  
قالوا له صف لنا ربك كيف خلقه كيف عضده كيف ساعده وكيف ذراعه فنضب  
النبي صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول وساورهم فأتاه جبريل فقال له مثل  
مقاتلة الاولى وأتاه بجواب ماسأله فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره وروى الحكم  
ابن معبد في كتاب الرد على الجهمية قال ثنا عبد الله بن محمد بن النعمان ثنا سلمة بن  
شبيب ثنا يحيى بن عبد الله ثنا ضرار عن أبان عن أنس قال أتت يهود خيبر الى  
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم  
من حمأ مسنون وابلis من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء  
فأخبرنا عن ربك قال فلم يجبهم النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل فقال يا محمد قل  
هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ليس له عروق شعب  
اليها الصمد ليس بأجوف لا يأكل ولا يشرب ليس شئ يعتدل مكانه يمسك السموات  
والارض أن تزولا الحديث وقال ابن جرير ثنا عبد الرحمن بن الاسود ثنا محمد  
ابن ربيعة عن سلمة بن سابور عن عطية عن ابن عباس قال الصمد الذى ليس بأجوف  
**حدَّثَنَا** ابن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد الصمد المصمت

كامل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد هو الله سبحانه هذه  
 صفته لا تنبغي لاحد الا له ليس له كفؤ وليس كمثل شئ سبحانه الله الواحد القهار  
 • حدثنا كثير بن شهاب المذحجي القزويني ثنا محمد بن سعيد بن سابق ثنا أبو  
 جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله الصمد قال الذي لم يلد ولم يولد حدثنا  
 أبو سعيد الأشج ثنا بن علية عن أبي رجاء عن عكرمة في قوله الصمد قال الذي لم  
 يخرج منه شئ حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو أحمد ثنا مندل بن علي عن أبي  
 روق عطية بن الحارث عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن مسعود قال  
 الصمد الذي ليس له أحشاء وروى عن سعيد بن المسيب مثله حدثنا أبي ثنا محمد  
 ابن عمر بن عبد الله الرومي ثنا عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش عن صالح بن حيان  
 عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال لأعلمه الا قد رفعه قال الصمد الذي لا خوف له  
 وروى عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود في إحدى الروايات والحسن  
 وعكرمة وعطية وسعيد بن جبير ومجاهد في إحدى الروايات والضحاك مثل ذلك  
 حدثنا أبي ثنا قيسة ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال الصمد المصمت الذي  
 لا خوف له حدثنا أبو عبد الله الطهراني ثنا حفص بن عمر العدني ثنا الحكم بن  
 أبان عن عكرمة في قوله الصمد قال الصمد الذي لا يطعم حدثنا أبي ثنا علي بن  
 هاشم بن مرزوق ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي انه قال الصمد  
 الذي لا يأكل ولا يشرب الشراب حدثنا أبي وأبو زرعة قال ثنا أحمد بن منيع  
 ثنا محمد بن ميسرة يعني أبا سعد الصفاني ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس  
 عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله الصمد قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه  
 ليس شئ يلد الا يموت وليس شئ يموت الا يورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم  
 يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثل شئ حدثنا علي بن  
 الحسين ثنا محمود بن خداش ثنا أبو سعد الصفاني ثنا أبو جعفر الرازي عن  
 الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا لمن أنسب لنا ربك  
 فأنزل الله هذه السورة حدثنا أبو زرعة ثنا العباس بن الوليد ثنا يزيد بن زريع  
 عن سعيد عن قتادة ولم يكن له كفوا أحد قال ان الله لا يكافئه من خلقه أحد  
 حدثنا علي بن الحسين ثنا أبو عبد الله الجرجسي ثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى  
 ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال إن اليهود جاءت الى النبي صلى

في الحوائج وقال قتادة الصمد الباقي بعد خلقه وقال مجاهد ومعر هو الدائم وقد جعل الخطابي وأبو الفرج ابن الجوزي الاقوال فيه أربعة هذين والذين تقدما وسنين ان شاء الله أن بقاءه ودوامه من تمام الصمدية وعن مرة الهمداني هو الذي لا يبلى ولا يفنى وعنه أيضا قال هو الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه \* وقال ابن عطاء هو المتعالي عن الكون والفساد وعنه أيضا قال الصمد الذي لم يتين عليه أثر فيما أظهر يريد قوله وما مسنا من لغوب وقال الحسين ابن الفضل هو الازلي بلا ابتداء وقال محمد بن علي الحكيم الترمذي هو الاول بلا عدد والباقي بلا أمد والقائم بلا عمد وقال أيضا الصمد الذي لا تدركه الابصار ولا تحويه الافكار ولا تبلغه الاقطار وكل شئ عنده بمقدار وقيل هو الذي جل عن شبه المصورين وقيل هو بمعنى نفى التجزى والتأليف عن ذاته وهذا قول كثير من أهل الكلام وقيل هو الذي أيسر العقول من الاطلاع على كيفيته وكذلك قيل هو الذي لا تدرك حقيقة نعمته وصفاته فلا يتسع له اللسان ولا يشير اليه البنان وقيل الذي لم يعط خلقه من معرفته الا الاسم والصفة وعن الجنييد قال الذي لم يجعل لاعدائه سبيلا الى معرفته ونحن نذكر ما حضرنا من ألفاظ السلف بأسانيدها فروى ابن أبي حاتم في تفسيره قال ثنا أبي ثنا محمد بن موسى بن نفع الجرشى ثنا عبد الله بن عيسى يعني أبا خلف الخزاز ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله الصمد قال الصمد الذي يصمد اليه الناس الاشياء اذا نزل بهم كربة أو بلاء **حَدَّثَنَا** أبو زرعة ثنا محمد بن ثعلبة بن سواء السدوسي ثنا محمد بن سواء ثنا سعيد بن أبي عروبة عن أبي معشر عن ابراهيم قال الصمد الذي يصمد العباد اليه في حوائجهم **حَدَّثَنَا** أبي ثنا عبد الرحمن بن الضحاك ثنا شريك بن عبد العزيز ثنا سفيان بن حسين عن الحسن قال الصمد الحى القهوم الذي لا زوال له **حَدَّثَنَا** أبي ثنا نصر بن علي ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن الحسن قال الصمد الباقي بعد خلقه وهو قول قتادة **حَدَّثَنَا** أبو سعيد الاشج ثنا بن نمير عن الاعمش عن شقيق في قوله الصمد قال السيد الذي قد انتهى سؤدده **حَدَّثَنَا** أبي ثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله الصمد \* قال السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والمعلم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد

الصمد الى آخر السورة \* قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث \* وأما تفسيره بانه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج فهذا أيضا مروى عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا فهو من تفسير الوالي عن ابن عباس قال الصمد السيد الذي كمل في سؤدده وهذا مشهور عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال هو السيد الذي انتهى سؤدده وعن أبي اسحق الكوفي عن عكرمة الصمد الذي ليس فوقه أحد ويروى هذا عن علي وعن كعب الاحبار الذي لا يكافئه من خلقه أحد وعن السدي أيضا هو المقصود اليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب وعن أبي هريرة رضى الله عنه هو المستغنى عن كل أحد المحتاج اليه كل أحد وعن سعيد بن جبير الكامل في جميع صفاته وأفعاله وعن الربيع الذي لا تتريه الآفات وعن مقاتل بن حيان الذي لا عيب فيه وعن ابن كيسان هو الذي لا يوصف بصفته أحد قال أبو بكر الانباري لاختلاف بين أهل اللغة ان الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد الذي يصمد اليه الناس في حوائجهم وأمورهم \* وقال الزجاج هو الذي ينتهى اليه السؤدد فقد صمد له كل شيء أى قصد قصده وتأويل صمود كل شيء له ان في كل شيء أثر صنعه \* قلت وقد أنشدوا في هذا بيتين مشهورين أحدهما

ألا بكر الناعى بخير بنى أسد      بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد  
(وقال الآخر)

علوته بحسامى ثم قلت له      خذها حذيف فأتى السيد الصمد  
قال بعض أهل اللغة الصمد هو السيد المقصود في الحوائج تقول العرب صمدت فلانا أصمده (بكسر الميم) وأصمده (بضم الميم) صمدا بسكون الميم اذا قصصته والمصمود صمد كالقبض بمعنى المقبوض والنقض بمعنى المنقوض ويقال بيت مصمود ومصمد اذا قصده الناس في حوائجهم قال طرفة

وان يلتق الحى الجميع تلاقى      الى ذروة البيت الرفيع المصمد

وقال الجوهري صمده يصمده صمدا اذا قصده والصمد السيد لانه يقصد في الحوائج ويقال بيت مصمد بالتشديد أى مقصود وقال الخطابي أصح الوجوه انه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج لان الاشتقاق يشهد له فان أصل الصمد القصد يقال أصمد صمدا فلان أى أقصد قصده فالصمد السيد الذي يصمد اليه في الامور ويقصد

١٢٦-٦٥٥  
٥٤٢

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نستعينه ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له. ومن يضل فلا هادي له. ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما

**فصل** في تفسير قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والاسم الصمد فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة وليست كذلك بل كلها صواب \* والمشهور منها قولان أحدهما ان الصمد هو الذي لا جوف له والثاني انه السيد الذي يصمد اليه في الحوائج والاول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة \* والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين والآثار المنقولة عن السلف بأسانيدھا في كتب التفسير المسندة وفي كتب السنة وغير ذلك وقد كتبنا من الآثار في ذلك شيئا كثيرا بإسناده فيما تقدم وتفسير الصمد بانه الذي لا جوف له معروف عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا وعن ابن عباس والحسن البصري ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والسدي وقادة وبمعنى ذلك قال سعيد بن المسيب قال هو الذي لا حشو له وكذلك قال ابن مسعود هو الذي ليست له أحشاء وكذلك قال الشعبي هو الذي لا يأكل ولا يشرب وعن محمد بن كعب القرظي وعكرمة هو الذي لا يخرج منه شيء وعن ميسرة قال هو المصمت قال ابن قتيبة كأن الدال في هذا التفسير مبدلة من تاء والصمت من هذا \* قلت لا ابدال في هذا ولكن هذا من جهة الاشتقاق الأكبر وسنين إن شاء الله وجه هذا القول من جهة الاشتقاق واللغة والحديث المأثور في سبب نزول هذه الآية رواه الامام أحمد في المسند وغيره من حديث أبي سعد الصغاني **صَدَّثَنَا** أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنسب لنا ربك فأنزل الله قل هو الله أحد الله



# كِتَابُ

﴿ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْاِخْلَاصِ ﴾

لشيخ الاسلام وعلم الأعلام حافظ الامة وأستاذ

الأئمة أبي العباس تقي الدين أحمد الشهير

بإبن تيمية الحراني الدمشقي الحلبي

تفهمه الله برحمته واسكنه

فسيح جنته

طبع على نسخة قرئت على الأستاذ الفاضل مرجع أهل العراق

على الإطلاق آلومي زاده السيد محمود شكرى افندى منع الله بجهاته

﴿ عَنِ بِنْتِ صَاحِبِهِ ﴾

السيد محمد بدر الدين أبو فراس النصاني الحلبي

﴿ الطبعة الأولى ﴾

على نفقة محمد أمين الخانجي المكتبي وشركائه بمصر والاستانة

١٣٢٣ هـ

﴿ طبع بالمطبعة الحسينية المصرية ﴾

بجوار مسجد الامام الحسين رضى الله تعالى عنه

﴿ ادارة محمد افندى عبد اللطيف الخطيب ﴾

مخيفه

- ١١١ مطلب في وجوب الاقتداء بالسلف
- ١١٣ مطلب فيما دل عليه لفظ الاحد من نفى المثل والتد
- ١١٤ مطلب في سبب نزول قل هو الله أحد
- ١١٦ مطلب في بدء عبادة الاوثان
- ١١٧ مطلب في تصور الشيطان للانسان لاضلاله
- ١١٩ مطلب في أن الخوارق قد تقع بمساعدة الشياطين
- ١٢٠ مطلب في النهي عن اتخاذ القبور مساجد
- ١٢١ مطلب في ان قبر الحليل لم يكن على عهد السلف
- ١٢٢ مطلب في ان الصحابة والتابعين لم يبنوا قبرا على قبر مسجدا
- ١٢٣ مطلب في ان السلف لم يقصدوا شيئا من المساجد والمزارات في المدينة
- ١٢٤ مطلب في زيارة قبور الانبياء والصالحين
- ١١٦ مطلب في معنى متابته صلى الله عليه وسلم
- ١٢٧ مطلب في زيارته صلى الله عليه وسلم المشاهر
- ١٢٨ مطلب في ان زيارة قبر المؤمن من جنس الصلاة على جنازته
- ١٢٩ مطلب في مشروعية الرمل بالسعي
- ١٣٠ مطلب في بيان وجه مشروعية الذبح
- ١٣٢ مطلب في مشروعية التداوى بالحجامة وشرب العسل والكي
- ١٣٣ مطلب فيما ورد من النهي عن التشبه بالكفار
- ١٣٤ مطلب تنازع العلماء في الارض التي فتحت غنوة
- ١٣٥ مطلب في بيان المقصود بالجهاد وأن تأليف القلوب نوع منه
- ١٣٧ مطلب في ان قصد المشاهد بدعة
- ١٣٩ مطلب في ان مشهد الحسين بالقاهرة لا أصل له
- ١٤٠ مطلب سبب ايراد قوله لم يلد ولم يولد آخر السورة

(تمت)

- ٤٥ مطلب كره السلف علم الكلام المحدث  
٤٦ مطلب ليس في القرآن ما يخالف العقل والحس  
٤٧ مطلب في ان الله تعالى يبعث في الآخرة رسولا لمن لم تبلغه الدعوة  
٤٧ مطلب في اشتقاق البأس من البؤس  
٤٩ مطلب في بيان معنى الجسم في اللغة العربية  
٥٠ مطلب القول بالجواهر الفرد وتركب الاجسام منه باطل  
٥١ مطلب ابطال القول بتماثل الاجسام  
٥٣ مطلب أنكر الفقهاء الجوهر الفرد وقالوا باستحالة الاجسام  
٥٤ مطلب في الجسم والجوهر  
٥٥ مطلب في التحيز والجهة  
٥٦ مطلب في تعريف الهيولى  
٥٧ مطلب في بيان الثاموس عند المتكلمين واضرابهم  
٥٨ مطلب فيما طرأ على الدين المسيحي من التبديل  
٥٩ مطلب المتكلمون لبسوا الدين على المسلمين  
٦٠ مطلب غلط ابن سينا وأمثاله في الأمور الالهية  
٦١ مطلب ابطال القول بالجواهر المجردة  
٦٢ مطلب في بيان حقيقة الروح  
٦٣ مطلب في بيان معنى الحيز في اللغة العربية  
٦٤ مطلب في بيان معنى الحيز عند المتكلمين  
٦٦ مطلب في بيان حقيقة اتصال الروح بالجسم ومفارقة  
٦٧ مطلب في بيان معنى نزول الرب واستوائه  
٦٨ مطلب في ان المسلمين يحتاجون الى شيئين في عقائدهم  
٧١ مطلب في مباحث المتكلمين في التأويل  
٧٣ مطلب في بيان معنى التأويل في القرآن  
٧٧ مطلب في بيان معنى الاستواء  
٨١ مطلب في بحث المتشابه من القرآن

فهرس كتاب تفسير سورة الاخلاص لشيخ الاسلام ابن تيمية الحراني

صحيفة

- ٢ خطبة الكتاب
- ٢ فصل في تفسير قل هو الله أحد
- ٣ مطلب في تفسير الصمد
- ٧ مطلب في تفسير السيد
- ٩ رجوع الى تفسير الصمد
- ١٠ مطلب في الاشتقاق
- ١١ مطلب في بيان معنى الصبر
- ١٢ مطلب في الأحاديث المتقدمة على صحيح مسلم
- ١٣ مطلب في ان لفظ الاحد لا يطلق الا على الله
- ١٤ مطلب في تحقيق معنى الولادة
- ١٥ مطلب الحيوان متوالد ومتولد
- ١٦ مطلب القول في تماثل الاجسام والجواهر الفردة
- ١٧ مطلب أدلة اثبات الصانع
- ١٨ مطلب في كيفية المعاد
- ٢٤ مطلب التولد لا بد له من أصلين
- ٢٨ مطلب في تنزيهه سبحانه عن الوالد والولد
- ٣٠ مطلب في ابطال التثليث
- ٣٣ مطلب في فساد قول النصارى في نبوة المسيح
- ٣٦ مطلب في ابطال قول الفلاسفة بقدم العالم
- ٣٧ مطلب قال الفلاسفة الواحد لا يصدر عنه الا واحد
- ٤٠ مطلب جعل الفلاسفة أسباب الحوادث حركات الافلاك
- ٤١ مطلب في احتجاج من يقول الرب جسم
- ٤٢ مطلب في الرؤية والكلام والصفات
- ٤٣ مطلب في خطبة الامام أحمد في كتاب الرد على الجهمية
- ٤٤ مطلب النصوص الدالة على الغرض المقصود من البعثة

t.-p. after 4 p.



Princeton University Library



32101 076411410

